# الباب الأول

# أسباب الشقاء

obeikandl.com

# أسباب[1] الشفاء

## تمهيد

الدنيا دار كدر وطبع عيشها على نكد وأهلها دائماً على وجل فهم ما بين نعمة زائلة أومصيبة قاضية ، فالسعيد من عافاه الله من بلواها ووقاه من فجورها وألهمه تقواها.

وحينما تدفعنا عاطفة مؤمنة وحاجات للحياة ملحة إلى الضرب فى الأرض والمشى فى مناكبها نجتمع على خير ونبتغى من فضل الله ، فما أحوجنا إلى أن يكون سعينا على هدى وبصيرة ننشد به سعادة الدنيا وخير الآخرة.

ونحن حينما نبنى مجتمعنا الجديد على إيمان بالله وعمل صالح فإنما نقف بذلك على أرض صلبة لم نبعد عن فطرتنا ، ولم نحد عن غايتنا ، ولم نضل عن هدفنا ولم نتخلف عن ركب الحياة ، نضمن من كل فرد عملاً بغير رقيب ، وإنتاجاً محسناً بغير ترغيب ولا ترهيب. نقدم للإنسانية ونضمن لها مجتمعاً متماسكاً لا تطرف فيه ولا شقاء.

---

[1]تعريف السبب :

يقول الأصفهانى :" السَبَبُ الحبل الذى يُصعد به النخل وجمعه أسباب قال تعالى :﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ سورة ص الآية ١٠وسمى كل ما يتوصل به إلى شىء سبباً ، قال تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۞فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سورة الكهف الآيتان ٨٤، ٨٥. ومعناه أن الله تعالى آتاه من كل شىء معرفة وذريعة يتوصل بها ، فأتبع واحداًمن تلك الأسباب ، وعلى ذلك قوله تعالى﴿ لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ سورة غافر الآيتان ٣٦، ٣٧. أى لعلى أعرف الذرائع والأسباب الحادثة فى السماء ، فأتوصل بها إلى معرفة ما يدعيه موسى".يراجع التعريفات للأصفهانى كتاب السين ، مادة سبب صـ٢٢٠

وجاء فى المعجم الوسيط : " السبب فى اللغة : كل شىء يتوصل به إلى غيره . وفى التنزيل العزيز :﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۞فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سورة الكهف الآيتان٨٤ ،٨٥. ويقال مالى إليك سبب : طريق. وفى الشرع : ما يوصّل إلى الشىء ولا يؤثر فيه ، كالوقت للصلاة . والجمع : أسباب وأسباب السماء : مراقيها أو نواحيها . وفى التنزيل العزيز:﴿ لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ سورة غافر الآيتان ٣٦، ٣٧. ويقال : تقطعت بهم :أعيتهم الحيل . وأسباب الحكم ( فى القضاء ) ما تسوقه المحكمة من أدلة واقعية وحجج قانونية لحكمها." المعجم الوسيط ١ / ٤٢٧ .

أى أن السبب فى اللغة : " اسم لما يتوصل به إلى المقصود ، وفى الشريعة : عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير المؤثر فيه " الجرجانى ، كتاب التعريفات ، باب السين ص١١٧.

إن مشكلة الحضارة فى العصر الحديث هو الإنسان نفسه حين يتجه بالحياة إلى إفراط أو تفريط إلى مادية طاغية ينضب فيها معين العقيدة فى نفسه أو إلى رهبانية قاتلة يقف بهاأمام تيارالحياة الزاجروموجها الهادر، كلا الطرفين لا يستقيم معه معاش ولا معاد.

وفى تزاحم الأحداث التى تنتاب العالم من أمن مهدد ، وسلام منشود ورخاء مأمول لن تجد الإنسانية عوضاً ولا بديلاً عن الإيمان بربها والسير على مناهجه.

ويوم افتقدت هذا الإيمان يوم أن قامت حضارتها أشبه ما تكون ببيت العنكبوت يخدع بنسيجه ويجذب إليه الذباب ثم يعتصره ولايجد له مأمناً من جوع ولا أماناً من خوف.

وهذا سر ما تعانيه الإنسانية فى عصرنا هذا من قلق وحيرة وشقاء وخوف ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[1]

**وقد عقدت لذلك فصولاً ثلاثة :**

**الفصل الأول** : الإغترار بالشيطان.

**الفصل الثانى** : الركون إلى شهوات الدنيا.

**الفصل الثالث** : اقتراف الذنوب والمعاصى.

---

[1] سورة النحل الآية ١١٢

obeikandl.com

# الفصل الأول

# الإغترار بالشيطان

## ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: التعريف بالشيطان.**

**المبحث الثانى: وسائل الشيطان فى الكيد**

**المبحث الثالث: معونة الله تعالى لعباده المؤمنين فى مواجهة الكيد الشيطانى**

obeikandl.com

# المبحث الأول

# التعريف بالشيطان (أسمائه- أوصافه- أساليبه)

obeikandl.com

# التعريف بالشيطان

## مقدمة

إن السعادة كل السعادة فى تقوى الله ﷻ واتباع منهجه ، والشقاء كُلّ الشقاء فى معصيته سبحانه واتباع خطوات الشيطان.

والحديث عن الشيطان الرجيم، أو عن إبليس اللعين حديث طويل قديم ، بدأ مع بداية خلق الله للإنسان واستخلافه فى الأرض، وينتهى يوم أن تنتهى الدنيا، ويرث الله الأرض ومن عليها ، ويستقر أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، وفيها يقف الشيطان اللعين خطيباً بين أتباعه وأوليائه فى الدنيا ، معلناً لهم تلك الحقيقة المرة التى تزيدهم عذاباً فوق العذاب ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم ﴾[١]

لذا فقد حذرنا الله ﷻ من اتباع خطوات الشيطان ، وحذرنا من الوقوع فى مكائده، فقال جل شأنه :- ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾[٢]

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [٣]

لذا كان لزاماً على أهل الإيمان التنبه إلى مكائده ، وأخذ الحذر من الوقوع فيها. وبتتبع حديث القرآن الكريم عن الشيطان ووسائله فى الكيد والإغواء يمكن استظهار **خطوات منهج القرآن الكريم فى تثبيت المؤمنين فى مواجهة هذا الكيد فيما يلى :**

* التعريف بأسمائه.
* بيان وسائله فى الكيد.
* معونة الله تعالى للمؤمنين فى مواجهة هذا الكيد.

---

[١] سورة إبراهيم الآية ٢٢.
[٢] سورة الأعراف الآية ٢٧.
[٣] سورة فاطر الآية ٦.

التعريف بأسمائه- عليه اللعنة -

"جاء حديث القرآن الكريم عن الشيطان واسعاً منتشراً ، حيث ورد ذكره مفرداً ومجموعاً معرفاً ومنكراً ثمانٍ وثمانين مرة ، حفل القرآن المكى منها بثلاث وخمسين مرة." (١)

هذا الورود المتكرريشير إلى اهتمام القرآن الكريم ببيان خطر الشيطان على الإنسان، وكيفية اتقاء هذا الخطر، كما أن تباين هذا الورود وزيادته فى القرآن المكى عنه فى القرآن المدنى يشير إلى أن الشيطان ومكائده من أكد العقبات وأشدهاعلى طريق الإيمان، لذا جاء القرآن المكى حافلاً بالحديث عنها فى المراحل الأولية للدعوة ، وجاء تحذيره منه أكثر من تحذيره من النفس وهذا هو الذى لا ينبغى غيره.

أ- " فإن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته ، فهى مركبه ، وموضع شره، ومحل طاعته.

ب- وقد أمر الله سبحانه بالإستعاذه منه عند قراءة القرآن وغير ذلك ، وهذا لشدة الحاجة إلى التعوذ منه ، ولم يأمر بالإستعاذة من النفس فى موضع واحد ، وإنما جاءت الإستعاذة من شرها فى خطبة الحاجة فى قوله ﷺ (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)".(٢)

هذا وقد غلب حديث القرآن الكريم عن الشيطان بهذ الإسم ، كما ذكره باسم إبليس ووردت له أسماء أخرى مستوحاة من أفعاله ، سمى بها على سبيل المبالغة فى الفعل ومنها : الوسواس ، كما جاء فى قوله سبحانه﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾(٣) ومنها الغرور كقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (٤)

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى مادة شطن صـ ٢٨٢- ٢٨٣ ط مطابع الشعب.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تأليف الإمام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق وتعليق مجدى فتحى السيد دار الحديث صـ١٠٠، أخرجه النسائى فى المشتبه كتاب الجمعة- باب كيفية الخطبة (١٠٤/٣)، وأبو داوود فى كتاب النكاح فى خطبة النكاح (٢٣٨/٢) رقم ٢١١٨، والترمذى فى كتاب النكاح باب ما جاء فى خطبة النكاح (٤١٣/٣) رقم ١١٠٥، ورواه الدارمى كتاب النكاح رقم ٢٠، وابن ماجة فى كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٦٠٩/١) رقم ١٨٩٢ وإسناده صحيح.

(٣) سورة الناس الآية ٤

(٤) سورة فاطر الآية ٥

ومنها الطاغوت كما فى قوله سبحانه﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١)، ومنها القرين كما فى قوله سبحانه ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢)

"على أن أشهر أسمائه: إبليس والشيطان، ويؤيد ذلك تكرر الورود، فقد ورد اسم إبليس فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وورد اسم الشيطان ثمان وثمانين مرة " (٣)

ولعل إبليس هو الإسم العلم، والشيطان: اسم جامع لصفاته الذميمة وأفعاله القبيحة، لذا فإنى سأقصر الحديث على هذين الإسمين لاحتمال العلمية فى الأول ، ولغلبة الورود فى الثانى.

## ١- إبليس

جاء **فى لسان العرب** : "وأبلس من رحمة الله أى يئس وندم ومنه سمى إبليس وكان إسمه عزازيل ، وفى التنزيل﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤)(٥)

"قال **ابن عباس** – رضى الله عنهما – أى ييأس المجرمون، وقال مجاهد – رحمه الله – يفتضح المجرمون، وروى يكتئب المجرمون." (٦)

وقال **ابن جرير**– رحمه الله – "وإبليس فعيل من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن. وذكر ممن قال بذلك ابن عباس – رضى الله عنهما– حيث قال إبليس أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبةً لمعصيته".(٧)

ويقول **العلامة ابن عاشور**– رحمه الله – : "وإبليس اسم الشيطان الأول الذى هو مولد الشياطين فكان إبليس لنوع الشياطين والجن بمنزلة آدم لنوع الإنسان".(٨)

"وقد ورد هذا الإسم فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، تسعاً منها فى قصة آدم عليه السلام ولعل فى ذلك إشارة إلى كونه الاسم العلم للعين فإنا نلاحظ فى قصة آدم عليه السلام فى البقرة والأعراف وطه أن الله ﷻ ذكره أولاً باسم إبليس، فلما أبى السجود وتمرد على أمر ربه

---

(١) سورة النساء الآية ٧٦.
(٢) سورة الزخرف الآية ٣٦.
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة بلس صـ١٣٤ ، مادة شطن صـ٣٨٢ _ ٣٨٣.
(٤) سورة الروم الآية ١٢.
(٥) لسان العرب لابن منظور ١ / ٣٤٣ .
(٦) مختصر ابن كثير٣ /٥٠ تحقيق الشيخ محمد على الصابونى ط دار التراث العربى للطباعة والنشر ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م.
(٧) جامع البيان للطبرى ١ /١٨٠.
(٨) جامع البيان للطبرى ١ /١٨٠.

ذكره باسم الشيطان الذى يدل على التمرد والعتو، والإباء والبعد عن رحمة الله تعالى، فلعل هذا يرجح أن ما ذكره الله أولاً هو الإسم العلم".[١]

**٢- الشيطان :**

قال **صاحب اللسان:** "والشيطان فيعال من شطن إذا بعد ، فالنون فيه أصلية، وقولهم الشياطين دليل ذلك، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان، وتشيطن الرجل إذا صار كالشيطان وفعل فعله وقيل الشيطان : فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق.

قال الأزهرى [٢] والأول أكثر، وقال والدليل على أنه من شطن قول أمية بن أبى الصلت [٣] يذكر سليمان النبى ﷺ :

أيما شاطن عصاه عكاه ** ورماه فى السجن والأغلال

أراد أيما شيطان ، وفى التنزيل ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [٤] [٥]

ومعنى الكلمة يدور فطرياً على معنى القبح والإستهجان، فإذا استقبح المرء شيئاً شبهه بالشيطان. روى الإمام ابن جرير بسند حسن عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه. أنه ركب برذوناً [٦] فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلاَّ تبختراً، فنزل عنه وقال: ما حملتمونى إلاَّ على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسى" [٧]

---

[١] المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ، تحت عنوان من حديث القرآن عن الشيطان للأستاذالدكتور / محمد متولى إدريس العدد ٦ / ٥٢١ بتصرف جمادى الأولى ١٤١٤ هـ – نوفمبر ١٩٩٣م.

[٢] العلامة ابو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرى الهروى اللغوى الشافعى ، ارتحل فى طلب العلم ، وسمع من أبى القاسم البغوى وابن السراج وغيرهما ، وكان رأساً فى اللغة والفقه ، ثقة ثبتاً ديناً ، وله كتاب تهذيب اللغة المشهور ، كتاب فى التفسير ، علل القراءات وغيرها ، ت ٣٧٠ عن ٨٨ سنة ، "سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٩٥".

[٣] هو أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الدانى صاحب الكتب العلامة الفيلسوف الطبيب الشاعر المجود ت ٥٢٨ هـ.

[٤] سورة الشعراء الآية ٢١٠.

[٥] لسان العرب ٢٢٦٥/٤ ومعنى عكاه أى ربطه وشد وثاقه من قولهم عكا يعكوه.

[٦] البرذون :يطلق على غير العربى من الخيل والبغال ، من الفصيلة الخيلية ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء، قوى الأرجل ، عظيم الحوافر (المعجم الوجيز صـ٤٤ ) ، والتبختر التمايل والتثنى من قولهم تبخترت المرأة إذا تمايلت وتثنت ، والمراد به هنا عدم استقرار الدابة فى مشيها ( المرجع السابق صـ٣٨ ).

[٧] تفسير جامع البيان للطبرى ٣٨/١.

وقد خاطب القرآن الكريم الناس على أساس من هذا الإعتبار كما فى قوله تعالى بشأن شجرة الزقوم﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[١]، وما للناس عهد برءوس الشياطين ولم يروها، لكن الفطرة من دواخلهم ناطقة باستهجانها ومزيد قبحها.

جاء **فى مختار الصحاح:** "قوله تعالى ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ قال الفراء فيه ثلاثة أوجه. أحدها: أنه شبه طلعها فى قبحه برءوس الشياطين لأنها موصوفة بالقبح. الثانى: أن العرب تسمى بعض الحيات شيطاناً وهو ذو عرف قبيح الوجه. الثالث: قيل إنه نبت قبيح يسمى رءوس الشياطين".[٢]

ويقول **صاحب اللسان:** "قوله تعالى﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ وجهه أن الشىء إذا استقبح شبه بالشياطين فيقال كأنه وجه شيطان أو رأس شيطان، والشيطان لا يرى، ولكن يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولو رئى لرئى فى أقبح صورة".[٣]

وقال **الإمام أبو السعود**[٤]: "﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفاتن الحسن بالملك. وقيل: الشياطين: الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها أعراف، وقيل إن شجراً يقال له (الأستن) خشناً منتناً مراً منكر الصورة يسمى ثمره رءوس الشياطين".[٥]

ويظهر مما سبق أن الشيطان فى اللغة يطلق على كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب وبه قال الأجلة من العلماء.

فقد قال **الإمام ابن جرير:** "والشيطان فى كلام العرب: كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شىء ..... ثم قال: وإنما سمى المتمرد من كل شىء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبعده من الخير." [٦]

---

[١] سورة الصافات الآية ٦٥.
[٢] مختار الصحاح مادة شطن صـ٣٣٨.
[٣] لسان العرب ٢٢٦٥/٤ بتصرف.
[٤] الإمام العلامة المولى أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادى الحنفى : اجتهد فى العلم والتحصيل حتى انتهى إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ كما تقلد القضاء فى القسطنطينية وغيرها حتى لقب بقاضى القضاة، وصاحب تصانيف منها تفسيره المسمى ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ) و(تحفة الطلاب)، (رسالة المسح على الخفين) ت: ٩٨٢ هـ " شذرات الذهب ٣٩٥/٨ ، الأعلام ٥٩/٧".
[٥] تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لقاضى القضاة الإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى ١٩٤/٧ دار إحياء التراث العربى – بيروت– لبنان – بدون
[٦] جامع البيان للطبرى ٣٧/١ ، ٣٨.

وقال **الإمام القرطبى:** "وسمى الشيطان شيطاناً لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان." [١]

وقد صرح القرآن الكريم بهذا العموم كما فى قوله سبحانه:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون ﴾.[٢]

فجعل من الإنس شياطين كما جعل من الجن شياطين، وكم فى قوله تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [٣]

ويقول **صاحب التحرير:** "وحقيقة الشيطان أنه نوع من المخلوقات المجردة طبيعته االحرارة النارية، وهم من جنس الجن ويطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر"[٤]

وأياً ما كان فكل الذى ذكره الإمام مثل فى القبح وغاية فى السوء، ولا يخفى ما فى هذه المعانى من التحذير من الشيطان وكيده ، تلك المعانى التى تفتقر إلى الذهن وتلتقى بدواخل الفطرة بمجرد سماع لفظ الشيطان، وذكره اسمه فضلاً عن كشف سوء خلاله، وقبيح أفعاله كما سيتبين بعد.

## التعريف بأوصافه:

لقد جاء وصف اللعين فى القرآن العظيم بالعديد من الأوصاف التى تحدد طبيعته، وترسم ملامح شخصيته بما يزيد المؤمن معرفة بهذا العدو الألد الخصم.

**وبالنظر فى هذه الأوصاف أمكن تقسيمها إلى قسمين :**

**الأول: أوصاف الإستطالة والطغيان فى الشر:**

وجاء ذلك فى قول الله سبحانه:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[٥]

فقد جمعت هذه الآية المباركة ثلاثة أوصاف هى الإباء، والإستكبار، والكفر.

---

[١] جامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ١٣٧/١.
[٢] سورة الأنعام الآية ١١٢.
[٣] سورة الناس الآية بتمامها.
[٤] التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩٠/١.
[٥] سورة البقرة الآية ٣٤.

**أ- والإباء:** شدة الإمتناع عن قصد واختيار، قال العلامة أبو السعود: "والإباء: الإمتناع بالإختيار"[١]. فهو امتناع عن الفعل مع القدرة عليه والتمكن منه، وقد سجل الله تعالى هذا الوصف على اللعين فى مواضع أخرى فى القرآن الكريم كما فى قوله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٢] وقوله سبحانه:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾.[٣] وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ بيان لعلة عدم السجود وأنه لم يكن للتردد ولا التأمل وإنما كان أنفة واستكباراً.

يقول **الإمام أبو السعود:** "﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الإستثناء وأنه لم يكن للتردد أو التأمل...، وتقديم الإباء على الإستكبار مع كونه مسبباً عنه لظهوره ووضوح أثره" [٤]

فإن الإستكبار إنما هو حالة فى القلب، والإباء مظهر له وفرع.

**ب- والإستكبار:** التكبر، قال **الراغب:** "و الكبر والتكبر والإستكبار تتقارب.... ثم قال: والإستكبار يقال على وجهين:

**أحدهما:** أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً وذلك متى كان على ما يجب، وفى المكان الذى يجب، وفى الوقت الذى يجب فمحمود.

**والثانى:** أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله سبحانه ﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾[٥]: وقوله ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾[٦]

يقول **صاحب التحرير والتنوير:** "ومن لطائف اللغة العربية أن مادة الإتصاف بالكبر لم تجئ منها إلاَّ بصيغة الإستفعال أو التفعل إشارة إلى أن صاحب صفة الكبرلا يكون إلاَّ متطلباً الكبر أو متكلفاً له وما هو بكبير حقاً" [٧]

---

[١] تفسير أبى السعود ٨٩/١.
[٢] سورة الحجر الآيتان ٣٠-٣١.
[٣] سورة طه الآية ١١٦.
[٤] تفسير أبى السعود ٨٩/١.
[٥] سورة طه الآية ١١٦.
[٦] سورة البقرة الآية ٨٧.
[٧] التحرير و التنوير لابن عاشور ٤٢٥/١.

obeikandl.com

وهو استنتاج دقيق طيب المخرج، غير أنه تجدر الإشارة إلى استثناء ما وصف الله به ذاته العلية كما فى قوله سبحانه: ﴿ الْمُتَكَبِّرُ ﴾[١] فإن دلالة التفعل هنا تنصرف إلى لازم التكلف وهو القوة والإتقان لا إلى التكلف نفسه.

قال **العلامة الألوسي**: "المتكبر، البليغ الكبرياء والعظمة لأنه سبحانه برئ من التكلف الذى تؤذن به الصيغة فيرجع إلى لازمه من أن الفعل الصادر عن تأنق أقوى وأبلغ." [٢]

وما قاله **العلامة ابن عاشور**: من أن الكبر لا يكون إلاَّ من متكلف يصدق أول ما يصدق على الشيطان ذلك أنه- عليه اللعنه- ومن اتصف بصفته من كراهية الحق وتسفيه أهله ليس لديه أى مقومات أو مبررات لهذا الكبر بل كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٣]

والمعنى: "إن الذين يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ما فى صدروهم إلاَّ كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه – من إخماد الحق وإعلاء الباطل – بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع فاستعذ بالله من حال مثل هؤلاء أو من شر هؤلاء المجادلين فى آيات الله بغير سلطان." [٤]

وقد كشف الحق سبحانه عن حجة اللعين الواهية وشبهته الفاسدة فى قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [٥] وفى قوله ﷻ ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [٦] وقوله سبحانه﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[٧]

وسجل عليه عناده وسوء أدبه ولجاجه فى القول فقال سبحانه :﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٨]

---

[١] سورة الحشر الآية ٢٣.
[٢] تفسير روح المعانى للشهاب الألوسي ٦٣/٢٨ ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – بدون.
[٣] سورة غافر الآية ٥٦.
[٤] مختصر تفسير ابن كثير ٢٤٨/٣.
[٥] سورة الأعراف الاية ١٢.
[٦] سورة الحجر الاية ٣٣.
[٧] سورة الإسراء الاية ٦١.
[٨] سورة الإسراء الاية ٦٢.

"وتحت هذا الكلام من الإعتراض معنى أخبرنى: لم كرمته على؟ وغور هذا الإعتراض: أن الذى فعلته ليس بحكمة ولا صواب، وأن الحكمة كانت تقتضى أن يسجد هو لى، لأن المفضول يخضع للفاضل، فلما خالفت الحكمة؟ "[١]

فمنطلقه فى الإستكبار تمسكه بشرف الأصل – بزعمه – وإلاَّ فإن الله تعالى شرَّف آدم –عليه السلام – من جهة مادة الخلق وكيفيته والغاية منه، فخلق آدم من طين ونفخ فيه من روحه، وسوَّاه بيديه، وجعله خليفة فى الأرض ثم إن عنصر الطين أشرف من النار لثباته واضطرابها، ولبقائه ونفاذها، وغناه عنها وحاجتها إليه إلى غير ذلك.

قال **الشيخ الشنقيطى**– رحمه الله– : "مثل قياس إبليس – يعنى قوله: ﴿ **قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ** ﴾ قياس فاسد الإعتبار، فكل من رد نصوص الوحى بالأقيسة فسلفه فى ذلك إبليس، وقياس إبليس هذا – لعنه الله – باطل من ثلاثة وجوه:

**الأول:** أنه فاسد الإعتبار لمخالفة النص الصريح وهو قوله تعالى: ﴿ **اسْجُدُواْ لآدَمَ** ﴾

**الثانى:** أنالا نسلِّم أن النار خيرمن الطين، بل الطين خير من النار، لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة، والنواة فيعطيكها نخلة.

**الثالث:** أنا لو سلمنا جدلاً أن النار خير من الطين، فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم، لأن شرف الأصل لا يقتضى شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعاً والفرع وضيعاً"[٢]

ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة، حقيقة عدم اطراد هذه الصفة بين الأصل والفرع فقد يُعقبُ الله الكافر مؤمناً والمؤمن كافراً كما قال سبحانه:﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾[٣] وبين سبحانه ذلك بقوله: ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ** ﴾ [٤] وصورة ذلك واضحة فى نوح عليه السلام وابنه، وإبراهيم عليه السلام وأبيه.

---

[١] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان صـ٥٧١.

[٢] أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ /محمد الأمين محمد المختار الشنقيطى ٦٢/١ طبعة مكتبة ابن تيمية.

[٣] سورة فاطر الآيتان ١٦ – ١٧.

[٤] سورة الأنعام الآية ١٣٣.

ج – **الكفر:** وسجله الله عليه فى قوله سبحانه:﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١] أى فى علم الله سبحانه، على أن كان على بابها من حيث خلوصها وتمحضها للدلالة على المضى، أو أن المعنى: وصار من الكافرين، على أن (صار) من معانى (كان) وقد استحسن ذلك **العلامة ابن عاشور** فقال: "وأمثلهم طريقة الذين جعلوا (كان) بمعنى (صار) فإنه استعمال من استعمالات فعل (كان)، قال تعالى:﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [٢] وقال سبحانه:﴿ وَبُسَّتْ الْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾.[٣]

والمعنى صار كافراً بعدم السجود لأن امتناعه نشأ عن استكباره على الله سبحانه، واعتقاده أن ما أمر به غير جار على حق الحكمة." [٤]

وهذا يقتضى أن يكون العطف بالفاء، وإنما عدل عنه إلى الواو لحكمة بالغة قال فيها **العلامة أبو السعود** –رحمه الله–: "وإيثار العطف بالواو على الفاء للدلالة على أن محض الإباء والإستكبار كفر، لا أنهما سببان له كما تفيد الفاء." [٥] فكل من الإباء والإستكبار، والكفر جريمة مستبشعة فى ذاتها.

"وقال ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل سبحانه (وكفر) للدلالة على المبالغة فى كفره، فالعدول عن مقتضى الظاهر لدلالة (كان) فى مثل هذا الإستعمال على رسوخ معنى الخبر فى اسمها، والمعنى: أبى واستكبر وكفر كفراً عميقاً فى نفسه." [٦]

فهو كقوله سبحانه:﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[٧] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾[٨]، فأفاد المبالغة فى الوصف بالإتيان بالفعل (كان) وبالوصف بصيغة المبالغة.

يقول **الإمام ابن القيم الجوزية:** "وهذه سنته تعالى فى خليقته وهو الحكيم العليم، ومنها استخراجه تعالى ما كان كامناً فى نفس عدوه إبليس من الكبر والمعصية الذى ظهر عند أمره بالسجود فاستحق اللعنة والطرد والإبعاد.

---

[١] سورة البقرة الآية ٣٤.
[٢] سورة هود الآية ٤٣.
[٣] سورة الواقعة الآيتان ٥-٦.
[٤] تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٤٢٦.
[٥] تفسير أبى السعود ٨٩/١.
[٦] التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٢٧/١ بتصرف.
[٧] سورة الإسراء الآية ٢٧.
[٨] سورة مريم الآية ٤٤.

فكان أمره بالسجود لآدم -عليه السلام- مع الملائكة مظهراً للخبث والكفر الذى كان كامناً فيه ولم تكن الملائكة تعلمه فأظهر لهم سبحانه ما كان يعلمه وكان خافياً عنهم من أمره فكأن بالأمر بالسجود له تكريماً لخليقته الذى أخبرهم بجعله فى الأرض وتأديباً للملائكة وإظهاراً لما كان مستخفياً فى نفس إبليس وكان ذلك سبباً لتميز الخبيث من الطيب".[١]

وفى معنى الكفر: **الفسوق** وقد سجله الله تعالى عليه فى قوله سبحانه:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢] أى خرج عن امتثال أمر ربه له بالسجود لآدم عليه السلام، "وأصل الفسق الخروج، يقال فسقت الرطبة عن قشرتها أى خرجت".[٣]

يقول **صاحب اللسان**: "الفسق هو العصيان والترك لأمر الله ﷻ، والخروج عن طريق الحق، وقيل الفسوق: الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية". [٤]

"والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً وأكثر ما يقال الفاسق: لمن التزم حكم الشرع وأقربه، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصلى فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الضرورة". [٥]

وفى معنى الكفر أيضاً **التمرد** "وهو العصيان فى عناد وإصرار"[٦] وقد وصف به صراحةً فى آيتين كريمتين من كتاب الله تعالى هما.

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾[٨]

والمارد والمريد: يطلقان على كل خبيث عاص متمرد من الجن.

ففى **لسان العرب**: "المارد العاتى، وأصله من مردة الجن والشياطين والمريد: الخبيث المتمرد الشرير، وشيطان مارد ومريد واحد". [٩]

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ١٣٨/٣باختصار ، دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان.
(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.
(٣) روح المعانى للألوسى ٢٩٤/١٥ ط دار الفكر.
(٤) لسان العرب ١٨٢/١٢، ١٨٣.
(٥) مفردات غريب القرآن ، تأليف أبى القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى صـ ٧٥٢ ، الطبعة الأخيرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.
(٦) المعجم الوجيز صـ ٥٧٧.
(٧) سورة النساء الآية ١١٧.
(٨) سورة الصافات الآية ٧.
(٩) لسان العرب ٤٠٧/٤.

وقال **الراغب**: "والمارد والمريد من شياطين الجن والإنس، المتعرى من الخيرات من قولهم: شجر أمرد: إذا تعرى من الورق". [١]

د- ومن أوصافه كذلك **الكذب**، وقد سجله الله تعالى عليه فى قوله سبحانه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[٢]

"والغرور: تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب، والمضرة بما يشعرأنها عين المنفعة" [٣]

يقول **الإمام الحافظ ابن كثير** فى بيانه بهذه الآية الكريمة: "هذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم الفائزون فى الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى فى ذلك ولهذا قال تعالى:﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ ".[٤]

"فوعده: ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلوا على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها، فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأمانى الباطلة والوعود الكاذبة، وتفرح بها فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيه فإن الشيطان يمنى أصحابها الظفر بالحق وإدراكه، ويعدهم الوصول إليه :﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[٥].

ويسوق القرآن الكريم صوراً واقعية يظهر من خلالها هذا الخلق المرذول لإبليس- عليه اللعنة- ومن ذلك قوله تعالى فى شأن وسوسة إبليس- اللعين- لآدم وحواء- عليهما السلام-:﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[٦].

وهذا أسوأ الكذب إذ أقسم اللعين بالله تعالى كاذباً على أنه لهما من الناصحين، وما كان كذلك وإنما غرهما بهذا القسم فنزل بهما عن رتبة الطاعة إلى دركة المعصية كما قال سبحانه: ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[٧].

---

(١) المفردات ٧٠٦.
(٢) سورة النساء الآية ١٢٠.
(٣) الفتوحات الإلهية للجمل ٢/ ٦٢٥ ط دار المنار - القاهرة - بدون.
(٤) مختصر ابن كثير ٤٣٩/١.
(٥) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان صـ١١٦.
(٦) سورة الأعراف الآية ٢١.
(٧) سورة الأعراف الآية ٢٢.

ومنه أيضاً قوله سبحانه:﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

فقد ظهر كذبه، وأخلف المشركين وعده، حيث غرهم يوم بدر بالجوار، وزين لهم كثرتهم المفضية إلى نصرهم على المسلمين – بزعمه– وما كان الأمر كذلك، فما أن رأى جند الله تعالى من الملائكة حتى ولى هارباً قائلاً: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

قال **الإمام ابن كثير:** "قال قتادة (٢) وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة فقال ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ﴾ وكذب عدو الله، والله ما به من مخافة، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعه وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستفاد له حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسلِّم، وتبرأ منهم عند ذلك"(٣)

وعدَّه الله ﷻ مثلاً فى الكذب وإخلاف الوعد فقال سبحانه:﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(٤)

يقول **القرطبى:** "هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود، فى تخاذلهم وعدم الوفاء فى نصرتهم"(٥)

والمعنى: مثل اليهود فى اعتزازهم بوعود المنافقين كمثل من اغتر بوعد الشيطان إذ زين له الكفر ثم تبرأ منه مدعياً الخوف من الله تعالى، وكذب عدوالله فى وعده أولاً وفى ادعائه الخوف من الله ثانياً، ويسوق سبحانه إقراره واعترافه بالكذب وخلف الوعد ذلك الذى يقع منه بعد فوات الآوان، فيقول سبحانه:﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤٨.

(٢) هو الحافظ العلامة قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى البصرى الضرير المفسر ، كان رأساً فى العربية وأيام العرب والنسب ، وكان أحفظ الناس ، لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه ، وله تفسير ، مات بالطاعون سنة ١١٨ هـ " تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢ ، طبقات المفسرين للداوودى ٢/ ٤٧".

(٣) مختصر ابن كثير ١١٢/٢.

(٤) سورة الحشر الآية ١٦.

(٥) الجامع لأحكام البيان للقرطبى ٢٧/٨.

تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

ويؤكد المؤمنون من الجن هذا الوصف عند سفهائهم الشياطين الذين خدعوهم وأمعنوا فى إضلالهم بالوعود الكاذبة، كما جاء فى قوله سبحانه يقص نبأ ذلك: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [٢]، فهم يعتذرون عن شركهم قبل الإيمان ظناً منهم أن أحداً لن يكذب على الله تعالى، فانخدعوا بوعود هؤلاء.

يقول **ابن عاشور**- رحمه الله تعالى-:"وتأكيد المظنون بـ (لن) المفيدة لتأبيد النفى يفيد أنهم كانوا متوغلين فى حسن ظنهم بمن ضللوهم"[٣]

وهذا يفيد بدوره مدى إمعان هؤلاء الشياطين وتفننهم فى أساليب الكذب والخداع.

يتحصل من ذلك أن القسم الأول من أوصاف إبليس- عليه اللعنة- يجمع أوصاف الطغيان فى الشر والبعد فيه وهى الإباء والإستكبار والكفر والفسوق والتمرد والكذب، وكلها أوصاف تنبىء عن طبيعته العنادية وتظهر بجلاء تطاوله فى الشر، ومثل هذا البيان لايخفى أثره فى تحذير المؤمنين منه، وحثهم على اتقاء خطره.

**الثانى: أوصاف الإذلال والتحقير**

وقد وصف الله تعالى بها الشيطان معاملة له بنقيض قصده، فلما أبى واستكبر وتمرد كان حرياً أن يوصف باللعن والرجم والذأم والدحر.

قال **الراغب**: "اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط ، وذلك من الله تعالى فى الآخرة عقوبة، وفى الدنيا انقطاع من رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره"[٤]

ووصف الله تعالى اللعين بهذا الوصف فى قوله سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ۞ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[٥].

فقوله سبحانه: ﴿ لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ صفة للشيطان وهو عام فى الدنيا والآخرة، فأما فى الدنيا فواضح فى قول الله سبحانه:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[٦] وأما فى الآخرة فظاهر فى قوله سبحانه: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٧]

---

[١] سورة إبراهيم الآية ٢٢.
[٢] سورة الجن الآية ٥.
[٣] التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٤/٢٩.
[٤] المفردات للراغب صـ٤٦٦.
[٥] سورة النساء الآيتان ١١٧-١١٨.
[٦] سورة الحجر الآية ٣٥.
[٧] سورة ص الآيتان ٨٤- ٨٥.

وفى معنى اللعن **الرجم** وهو الرمى بالرجام أى الحجارة ومعناه القتل، وسمى بذلك لأنهم كانوا إذا قتلوا رجلاً رموه بالحجارة "[١]. ومنه جاء وصف الشيطان الرجيم.

وهو فعيل بمعنى مفعول أى مرجوم إما باللعن والطرد كما فى قول الله سبحانه: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[٢].

وإما بالشهب كما قال ﷻ: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[٣]

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾[٤]

"وفى تفسير الرجيم بالمرجوم بالشهب إشارة لطيفة إلى أن اللعين لما افتخر بالنار عذب بها فى الدنيا فهو كعابد النار يهواها وتحرقه"[٥].

قلت تفسير الرجيم بالمطرود من رحمة الله سبحانه فى الدنيا والآخرة فى حق إبليس ثابت وسائغ، أما تفسيره بالمرجوم بالشهب فإنه فى حق ذريته وجنوده من الشياطين أشبه، إذ هم الذين يسترقون السمع كما جاء فى الآيتين السابق ذكرهما.

وفى معنى اللعن والرجم: **الذأم والدحر**، "والذأم هو الذم من ذأمه يذأمه ذأماً إذا ذمه فهو مذموم أى مهين لعين، والدحر: الدفع من دحره يدحره دحراً ودحوراً فهو مدحور أى مدفوع ومطرود"[٦].

وقد جاء الوصفان معاً فى قول الله تعالى:﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٧] أى اخرج من الجنة حالة كونك مذموماً مهيناً مطروداً.

**وهكذا** جاء وصف القرآن الكريم للشيطان بهذه الأوصاف الدالة على اللعن والطرد من رحمة الله سبحانه، والمشعرة بإذلاله وتحقيره لقاء ما قصد من الكفروادعى من الإستكبار.

---

(١) المفردات للراغب صـ١٨٩.
(٢) سورة الحجر الآية ٣٤.
(٣) سورة الصافات الآية ١٠.
(٤) سورة الملك الآية ٦.
(٥) تفسير روح المعانى للألوسى ٤٧/١٤ باختصار.
(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٤٨/٢ ، ٢٤٥ مجمع اللغة العربية.
(٧) سورة الأعراف الآية ١٨.

obeikandl.com

**التعريف بأساليبه:**

وأعنى به طريقة الشيطان ولغته وآداة تخاطبه مع آدم وبنيه، والقرآن الكريم يصرح بأن لغته هى الوسوسة، فقال سبحانه: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾[١]

كما أطلق عليه اسم الوسواس مبالغة فى الفعل فقال جل ذكره: ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[٢].

"والوسوسة هى الخطرة الرديئة يلقيها الشيطان فى قلب العبد، وأصلها من الوسواس وهو صوت الحلى والهمس الخفى، ويقال لهمس الصائد وسواس"[٣].

وكما وردت الوسوسة فى القرآن العظيم بلفظها وردت كذلك بمعناها مضمناً فى قوالب لفظية أخرى متفاوته فيما بينها من حيث الدلالة على هذا المعنى ، ومن هذه القوالب اللفظية: الهمز، الأز، الإيحاء، والإستفزاز بالصوت، النزغ، على أنه يمكن ردها إلى لونين رئيسين:

**أحدهما** خاص بإثارة القوة الشهوانية، **والآخر** خاص بإثارة القوة الغضبية.

**اللون الأول: أساليب الشيطان لإثارة القوة الشهوانية:**

**١-الوسوسة**

وهى الخطرة الرديئة يلقيها الشيطان فى قلب العبد.

يقول **الإمام القرطبى:** "ووسوسته: الدعاء لطاعته بكلام خفى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت"[٤].

وقد سمى الله تعالى وسوسته قولاً، فقال سبحانه: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[٥].

فقوله سبحانه:﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا... ﴾ إلى آخر الآية بيان للوسوسة.

جاء فى الفتوحات الإلهيه: "قوله ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا﴾ عطف على وسوس بطريق البيان له، أى على أنه معطوف بيان له"[٦].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠.
(٢) سورة الناس الآية ٤.
(٣) المفردات للراغب صـ٥٤٣.
(٤) تفسير القرطبى ١٠/ ٧٦٠٨.
(٥) سورة الأعراف الآيتان ٢٠، ٢١.
(٦) الفتوحات الإلهية ١٨/٣.

وهذا الكلام الخفى الذى خاطب إبليس آدم- عليه السلام- إنما قصد بذلك إثارة غريزة حب التملك، زنزعة حب البقاء والميل إلى الخلود كما جاء بيانه فى قوله سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[١]. وكذب عدو الله فيما قال، ولو كان صادقاً لأكل هو من الشجرة فيخلد ولم يسأل الله سبحانه أن ينظره إلى يوم يبعثون.

٢- **الإيحاء:**

من أوحى يوحى، وأصله الإشارة السريعة، وقد تكون بالكلمة أو بالإشارة ببعض الجوارح أوالكتابة أو الإلهام وهو الإلقاء فى القلب، تحسيناً للخير ودعوة إليه أو للشر وإغراءً به، وهذا الأخير هو المراد

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[٢]

يقول **الإمام أبو السعود:** "والوحىعبارةعن الإيماء والقول السريع أى يلقى ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر"[٣]

**وفى الفتوحات الإلهية:** "أى يلقى ويسر بعضهم إلى بعض، ويناجى بعضهم بعضاً، وهو الوسوسة التى يلقيها إلى من يريد إغواءه"[٤].

والآية جارية مجرى تسلية النبى ﷺ لقاء عداوة قريش له، والمعنى: كما جعلنا لك يامحمد أعداء من الجن والإنس يعاندونك ويصدون عن دعوتك، جعلنا لكل نبى من قبلك أعداءً منهم، فلا يهولنك أمرهم، ودع عنك مكرهم فإن الله تعالى ناصرك ومؤيدك كما حصل لمن قبلك من الرسل.

ومحل الغرض من الآية قوله سبحانه: ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أى يلقى بعضهم إلى بعض القول المزخرف والمموه تلبيساً على الجهلاء وليحبب إليهم الشهوات ، ويزيد لهم المعاصى.

---

[١] سورة طه الآية ١٢٠.
[٢] سورة الأنعام الآية ١١٢.
[٣] تفسير أبى السعود ١٧٥/٣.
[٤] الفتوحات الإلهية ٤٢٢/٢.

ومنه قوله ﷻ:﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[١].

وفى الآية الكريمة نص فى النهى عن أكل الميتة، وقيل عن أكل الذبيحة ولم يذكر اسم الله عليها، وذكرت الآية علتين لهذا النهى:-

**الأولى:** قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ والمراد كون الأكل منها فسقاً، أوعدم ذكر اسم الله عليها فسق.

**والثانية:** أن الأكل من الميتة، أو عدم ذكر اسم الله على الذبيحة من إيحاء الشياطين ووسوستهم تلبيساً على المسلمين وتشكيكاً لهم، والمراد بالشياطين: هم مردة الجن، وعليه فالمراد بالإيحاء: الوسوسة أو أن المراد بالشياطين: شياطين الإنس من مردة المجوس واليهود والمشركين قالوا للمسلمين: تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله، فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء"[٢].

كما اشتملت الآية الكريمة على تحذير من مغبة طاعة الشياطين فى ذلك، وهى الوقوع فى الإشراك بالله ﷻ، ضرورة أن من أطاع غير الله تعالى وترك طاعته ﷻ راغباً عنها فقد أشرك بالله تعالى فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

ودلالة الآية على وسوسة الشياطين وإيحائهم تتجاوز خصوص السبب إلى عموم ما يوحون ويوسوسون بشأنه للغاية ذاتها وهى التلبيس والتشكيك، وهو المراد بقوله سبحانه ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ "أى بالوساوس الشيطانية أو بما نقل من أباطيل المجوس وغيرهم"[٣].

### ٣- الاستفزاز بالصوت:

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾[٤].

"وأصل الإستفزاز: الإستخفاف، وهو مأخوذ من االفز وهو ولد البقرسمى به لخفة حركته والمراد بالصوت الغناء"[٥].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢١.

(٢) أسباب النزول للواحدى ، صـ١٢٧ ، تحقيق وتخريج عصام بن عبد المحسن الحميدان ، ط مؤسسة الريان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) تفسير أبى السعود ٣/١٨٠.

(٤) سورة الإسراء الآية ٦٤.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٤/٣٣٣ بتصرف.

يقول **القرطبى:** عن ابن عباس –رضى الله عنهما– قال: الغناء والمزامير واللهو، وقال الضحاك: [١] هو صوت المزمار"[٢].

"والآية أمر للشيطان– لعنه الله– على سبيل التهديد أن يتصرف فى ذرية آدم بكل ما يستطيع من إغراء بالشهوات ومن جملتها الغناء، إلى الجلبة بالجند والصياح للتخويف والإزعاج، إلى شركة فى الأموال بجمعها من حرام، وجعلها فى الحرام، وفى الأولاد بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة، والإشراك بتسميتهم عبد الحارث، عبد شمس ونحوهما، وبالتضليل بالحمل على الأديان الزائفة والحرف الذميمة والأعمال القبيحة وبالوعود الخادعة الكاذبة"[٣].

ويأتى تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ محذراً من الإنخداع بكل ذلك فماهوإلاَّ غروروتزيين للباطل بإلباسه ثوب الحق تلبيساً على بنى آدم.

**اللون الثانى : أساليب الشيطان فى إثارة القوة الغضبية.**

**١– النزغ:** "يقال نزغه ينزغه:نخسه، من قولهم نزغ الدابة إذا نخسها بطرف عصا ونحوه حثاً لها على الجرى، واستعير للدلالة على نزغ الشيطان بمعنى ما يوسوس به من سوء كالإفراط فى الغضب، ويقال: نزغ بين الرجلين إذا أفسد بما يوقع بينهما من العداوة والبغضاء"[٤].

"ونزغ الشيطان: وساوسه، ونخسه فى القلب بما يسول للإنسان من المعاصى يعنى يلقى فى قلبه ما يفسده على أصحابه"[٥].

ومنه قوله تعالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٦].

وهذا القول الكريم توجيه من الله تعالى للمؤمنين أن يتحروا الكلمة الطيبة فى حديثهم ، والقول الأحسن فى منطقهم حتى يسدوا على الشيطان مدخله إلى قلوب بعضهم إذ إنه يستغل سقطات اللسان، وعثرات الفم ليوقع العداوة والبغضاء بينهم، وذلك لشدة عداوته.

---

[١] هو الضحاك بن مزاحم الهلالى أبو القاسم ويقال أبو محمد الخرسانى ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم ﷺ – وروى عنه جويبر بن سعيد ، الحسن بن يحيى البصرى وغيرهما، قال عنه الإمام أحمد : ثقة مأمون ، وقال الذهبى : كان من أوعية العلم وليس بالمجود لحديثه ت ١٠٦ هـ ( سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٨١ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٧ ، تقريب التهذيب ١/٣٧٣).

[٢] تفسير القرطبى ٥/٤٠١٦.

[٣] تفسير أبى السعود ٥/١٨٤ ، والقرطبى ٥/٤٠١٦ باختصار.

[٤] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/١٠٠ باختصار.

[٥] لسان العرب ١٠/٣٣٨.

[٦] سورة الإسراء الآية ٥٣.

ففى الصحيح عن الإمام مسلم بسنده عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم) [١].

والمعنى: "أن الشيطان قد أيس أن يعبده أهل الجزيرة، ولكنه سعى فى التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن"[٢].

كما نهى الرسول ﷺ أن يشهر المسلم السلاح على أخيه المسلم، حتى ولو كان ذلك مزاحاً، روى الشيخان وأحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال-: قال رسول الله ﷺ (لا يشيرأحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزغ فى يده فيقع فى حفرة من النار) [٣].

ومن ذلك ما وقع بين سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته كما يشيرإليه القول الكريم: ﴿وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾[٤] أى أفسد منا ذات البين بإلقاء الحسد والضغينة فى قلوب إخوتى.

ويأمر سبحانه بالإستعاذة من هذا النزغ الشيطانى فيقول: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّـهِ إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦]، "وفى الآيتين زيادة تنفير من الغضب وفرط تحذير من العمل بموجبه، وفى الأمر بالإستعاذه بالله تعالى تهويل لذلك وتنبيه على أنه من الغوائل التى لا يتخلص من مضرتها إلاَّ بالإلتجاء إلى حرم عصمته ﷻ"[٧].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٦٥/ ٢٨١٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٥/١٧الناشر مكتبة القرآن دمشق ، ومؤسسة مناهل العرفان بيروت -بدون.

(٣) صحيح البخارى – كتاب الفتن – باب قول النبى ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا – جزء ٦ صـ٢٥٩٢ ط دار القلم – دمشق – بيروت وفى صحيح مسلم – كتاب البر والصلة -باب أمر من مرَّ بسلاح فى مسجد أو سوق أو غيرها المجلد ٤ صـ٢٠٢٠ ط دار الفكر.

(٤) سورة يوسف الآية ١٠٠.

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٠٠.

(٦) سورة فصلت الآية ٣٦.

(٧) أسرار التكرار فى القرآن لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى صـ١٨٩ ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

**٢- الهمز**

يطلق ويراد به عدة معان منها: الغمز، والضغط، والنخس، والدفع، والضرب، والغض، والكسر"[١].

"ويقال: همزه يهمزه همزاً: ضغطه وتحامل عليه كأنه يعصره، ويقال: همزه الدابة إذا نخسها وقد استعير من نخس الدابة لوسوسة الشيطان للإنسان حيث تبعث من يستجيب لها وتحمله على الحركة كما تتبعث الدابة فى السير بهمزه"[٢].

ومنه قول الله تعالى يأمر المؤمنين اقتداء بالنبى ﷺ بالإستعاذة من همزات الشياطين: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٣].

يقول **القرطبى**: "أمر الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بالتعوذ من الشيطان فى همزاته، وهى سورات الغضب التى لا يملك الإنسان فيها نفسه"[٤].

"والهمزات جمع همزة كتمرات وتمرة، وهمزات الشياطين دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب"[٥].

يقول **الشوكانى**: "همزات الشياطين: نزغاتهم ووساوسهم، وفيه إرشاد لهذه الأمة على التعوذ من الشيطان و﴿ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ سورات الغضب التى لا يملك الإنسان فيها نفسه ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أمره سبحانه أن يتعوذ بالله من حضور الشياطين، بعد ما أمره سبحانه أن يتعوذ من همزاتهم، والمعنى وأعوذ بك أن يكونوا معى فى حال من الأحوال ، فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلاَّ الوسوسة والإغراء على الشر والصرف عن الخير"[٦].

وفى الحديث أنه كان ﷺ إذا استفتح الصلاة قال (اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه) قيل يارسول الله ما همزه ونفثه ونفخه؟ قال: أما همزه فالموتة ، وأما نفثه فالشعر وأما نفخه فالكبر"[٧].

---

(١) المعجم الوجيز صـ٧٥٢.
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٠٥/٦.
(٣) سورة المؤمنون الآيتان ٩٧-٩٨.
(٤) تفسير القرطبى ٤٦٨٢/٦.
(٥) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان صـ١٠٥.
(٦) تفسير فتح القدير ، تأليف محمدبن على بن محمد الشوكانى توزيع عباس أحمد الباز صـ٤٩٧/٣.
(٧) مسند الإمام أحمد ٤٠٣/١، ٤٠٤ من حديث عبد الله بن مسعود ، ٥٠/٣ من حديث أبى سعيد الخدرى ٨٠/٤، ٨١ من حديث جبير بن مطعم ، ١٥٦/٦ من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وسنن الترمذى ك أبواب الصلاة / باب ما يقال عند افتتاح الصلاة ح٢٤٢ ، وسنن أبى داود / ك الصلاة / باب ما

"والموته بمد الواو: نوع من الجنون والصرع يعترى الإنسان فإذا أفاق عاد إليه كمال العقل"[١]. فمدار الهمز على معنى الوسوسة الشديدة والصرع وهما من أساليب الشيطان فى الكيد.

٣- الأز

"وهو التحريك الشديد، الغليان، فيقال: أز النار إذا أججها، والشيء إذا هزه وحركه بشدة".[٢] قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[٣].

يقول **العلامة أبو السعود:** ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ "أى تغريهم وتهيجهم على المعاصى تهييجاً شديداً بأنواع الوساوس والتسويلات، فإن الأز والهمز والإستفزاز أخوات معناها شدة الإزعاج"[٤].

أخلص مما سبق إلى القول بأن لغة الشيطان- عليه اللعنة- فى خطابه للإنسان هى الوسوسة، وأن هذا الأسلوب فى الخطاب يتنوع إلى نوعين رئيسين:

**أحدهما** خاص بإثارة القوة الشهوانية كالوسوسة والإيحاء والإستفزاز بالصوت، **والآخر** خاص بإثارة القوة الغضبية كالنزغ والهمز والأز، ويجمع الجميع اسم الوسوسة مع تفاوت بينهما جميعاً من حيث الحدة والشدة ، وأيضاً من حيث مجال الخطاب وموضوعه.

**وبعد**: فإن الأسماء والأوصاف والأساليب السالف ذكرها هى أوجه لعملة واحدة كاسدة فاسدة، وبيان القرآن الكريم لها على هذا النحو كاف فى تحذير المؤمنين من الشيطان الرجيم وكيده كخطوه أولى من خطوات منهجه فى تثبيتهم على الحق، ويضيف القرآن الكريم إلى هذه الخطوة خطوة أخرى يكشف من خلالها للمؤمنين طرائق اللعين فى الكيد ، ووسائله فى الإغواء ليتحصل لهم من هذا الكشف والبيان مزيد حذر وحيطة من عدوهم الألد الخصم وهذا ما سأعالجه فى المبحث القادم بمشيئته تعالى.

---

= يستفتح به الصلاة من الدعاء ح ٧٦٤ من حديث جبير بن مطعم ، وسنن ابن ماجه / ك الإقامة باب الإستعاذة فى الصلاة ح ٨٠٧ ، ٨٠٨ من حديث عبد الله بن مسعود ، وأخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى ح ٨٦١.

[١] لسان العرب ٣٩٩/٢.

[٢] المعجم الوجيز صـ١٥.

[٣] سورة مريم الآية ٨٣.

[٤] تفسير أبى السعود ٢٨١/٥.

# المبحث الثانى

# وسائل الشيطان فى الكيد

obeikandl.com

# وسائل الشيطان فى الكيد

## مقدمة

لا شك أن الشيطان مداخله واسعة على الإنسان ولا تجد ثغرة إلا ونفذ فيها فمن دانت نفسه له فقد سهل صيده ومن تعلق بحبل الله فقد خسأ عدو الله فإنه يحترق بذكر المولى ﷻ ويحسب له ألف حساب.

قال **الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن مفلح المقدسي** رحمه الله موضحاً دسائس الشيطان فى إغوائه للإنسان: "اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين فى سبع عقبات : عقبة الكفر، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة، ثم فى عقبة فعل الكبائر ، ثم فى عقبة فعل الصغائر، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المباحات فيشغله بها عن الطاعات، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة، فإن سلم من ذلك وقف له فى العقبة السابعة ولا يسلم منها المؤمن، إذ لو سلم منها أحد لسلم منها رسول الله ﷺ وهى تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى"[١].

فمعروف أن الشيطان للإنسان عدو مبين: "ويعمل دائباً على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية الله وإبعاده عن منهج الحق والرشاد، لهذا حذرنا الله تعالى من كيد الشيطان"[٢].

ويوضح لنا **أبو الفرج بن الجوزى** مداخل إبليس– اللعين– على الناس وكيفية سيطرته عليهم وتمكنه منهم فيقول: "إنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم .

واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثُلَم– أى فتحات– وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه رَبَضٌ– أى مكان– فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم.

فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو ما يفتر"[٣].

---

(١) صيانة الإنسان من مكائد الشيطان لابن مفلح المقدس صـ٦٩باختصار ط دار الكتب العلمية – بدون.

(٢) تطهير الجنان من التعلق بالشيطان والكهان ، عبد الرحيم بن عبد الواحد الشرعى صـ٢١ ، دار الحديث الخيرية مكة المكرمة مكتبة التراث القاهرة.

(٣) تلبيس إبليس للحافظ الإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى البغدادى صـ٥٠ تحقيق د/السيد الحميلى، دار الريان للتراث – بدون.

ولذلك فإن الشيطان يقعد للإنسان دائماًفى سبل الخير والرشاد وعلى رأسها آداء الواجب وأولاها الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١].

والسبل التى يسلكها الإنسان أربعة اليمين والشمال والأمام والخلف، وأى سبيل سلكها الإنسان من هذه وجد الشيطان عليها رصداً له، فإن سلكها العبد فى طاعة وجد الشيطان عليها يثبطه عنها ويبطئه ويعوقه، وإن سلكها فى معصية وجده عليها حاملاً له وخادماً ومعيناً ومزيناً"[٢].

هذا وكما أن الله ﷻ قد بين لنا أسماء– اللعين – وصفاته الخبيثة، وأساليبه فى الوسوسه والإغواء والتزيين والإضلال كذلك بين لنا وسائل كيده، لنعلم حقيقته، ونتبين مقدار عداوته لنا، فنحذره.

وتظهر علاقة هذا البيان لأساليب الخطاب الشيطانى وصلته بالتحذير ومن كيده ، تظهر من خلال الإحالة إلى الوجدانات النفسية التى يجدها المرء فى خاصة نفسه فى أغلب الأحيان، حيث ينبغى على المرء ألا يربط بين ما يجده فى نفسه من الميول وبين الجبلة البشرية ما دامت هذه الوجدانات النفسية متجهة إلى الحرام أو إثارة الغضب والحمية، وليعلم حينئذٍ أنها رسائل موجهة إليه من الشيطان فليعرفها وليحذرها.

**بيان وسائله فى الكيد**

الكيد الإحتيال فى إلحاق الضرر والأذى بالغير

قال **صاحب اللسان** : "الكيد: الخبث والمكر والإحتيال"[٣].

وقال **الراغب** :"الكيد ضرب من الإحتيال، وقد يكون مذموماً ومحموداً، وإن كان استعماله فى المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر، ويكون بعض ذلك محموداً قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [٤][٥].

---

[١] سورة الأعراف الآيتان ١٦-١٧.

[٢] مختصر الفقه الإسلامى محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجرى صـ٣٩١ الناشر بيت الأفكارالدولية ط الرابعة ٢٠٠٢م.

[٣] لسان العرب ٣٨٧/٤.

[٤] سورة يوسف الآية ٧٦.

[٥] المفردات فى غريب القرآن صـ٦٦٦.

وكيد الشيطان للإنسان ممتد فى حياته كلها من البدء والميلاد، حتى الموت والمعاد، وقد أخبر القرآن الكريم بذلك فى قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[١].

"فقوله تعالى﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ بيان لذلك إذ المراد لأزينن لهم مدة بقائهم فى الأرض، كما يفيد هذا القيد أيضاً عموم التزيين بحيث يشمل امتداده وانتشاره فى جميع ما على الأرض من الذوات وأحوالها"[٢].

وجاء بيان ذلك فى السنة المطهرة أيضاً، فقد أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: (ما من مولود يولد إلَّا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلاَّمريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة "واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[٣] [٤].

قال **الإمام ابن حجر** رحمه الله تعالى: "وحاصله أن ذلك جعل علامة فى الإبتداء على من يتمكن من إغوائه"[٥].

وأخرج الحاكم وأبو داود والنسائى عن أبى اليسر[٦] ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو: (اللهم إنى أعوذ بك من الهرم والتردى والهدم والغم والحريق والغرق، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأن أقتل فى سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً) [٧].

فقوله ﷺ (وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت) بيان لمحاولة الشيطان –عليه اللعنة– الكيد للإنسان عند احتضاره.

---

[١] سورة الحجر الآيتان ٣٩-٤٠.
[٢] تفسير التحرير والتنوير ٥٠/١٤ بتصرف.
[٣] سورة آل عمران الآية ٣٦.
[٤] صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ط دار ابن كثير – دمشق – بيروت – اليمامة للطباعه والنشر والتوزيع ١٤٠٧- هـ١٩٨٧م.
[٥] فتح البارى شرح صحيح البخارى ، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٧١/١٧ ط السلفية – القاهرة–بدون.
[٦] أبو اليسر – بفتحتين – كعب بن عمرو بن تميم السلمى شهد العقبة وبدراً والمشاهد ، وهو الذى أسر العباس وقال البخارى له صحبه ت بالمدينة سنة ٥٥ هـ _ ( الإصابة ٣٨٠/٧ وله ترجمه فى طبقات ابن سعد ٥٨١/٣ سيرة ابن هشام ١٠٥/٤ ، تقريب التهذيب ١٣٥/٢ للإمام ابن حجر العسقلانى ت٨٥٢هـ).
[٧] أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى ٥٢٨/١ ، عون المعبود فى شرح سنن أبى داود ٢٨٧/٤ ، ح ١٥٤٩، سنن النسائى ٢٨٣/٨.

وما بين الميلاد والمعاد يحضر الشيطان للإنسان فى كل شأن من شئونه ليلبس عليه ويوسوس له كما جاء فى الصحيح من حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة) [١].

ولذا فإن من عناية الله تعالى بعباده عامة، والمؤمنين خاصة أن كشف لهم عن خطة الشيطان فى الكيد مبيناً غايتها ووسائله لبلوغ هذه الغاية وهذا ما سأعرض له.

**الوسيلة الأولى: القعود والترصد**

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[٢].

ففى الآية الأولى أقسم اللعين بقدرة الله سبحانه وتعالى، والتى من مظاهرها حكمه عليه بالضلال والغواية، أقسم على القعود لبنى آدم كل مرصد، والتربص بهم كل اتجاه فقال ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

وتقديم الجار والمجرور إيذان باختصاصهم بعداوته، وإضافة الصراط إلى ضمير الجلالة ووصفه بالإستقامة بيان لمدى تكبره حيث علم الحق فبطره، وفيه من التحذير للمؤمنين مالا يخفى والعطف ب(ثم) لإفادة التراخى مطلقاً زمناً ورتبة.

أماالأول: فإنه توعد بالقعود بنى آدم ولما يكونوا بعد.

وأما الثانى: فلإفادة الترقى فى الفعل وبيان أنه لا يقف عند حد القعود وإنما يتجاوزه إلى النزوع للهيمنة والسيطرة وقطع السبيل عليهم كما جاء فى قوله سبحانه: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾[٣]، "من حاذ الشيء إذا أحاطه وغلب عليه"[٤]، وكما قال سبحانه يقص مقالة اللعين ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٥]، "أى لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما

---

[١] صحيح مسلم / ك الأشربة / باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة ج ٣٧٩٤ ، ٣٧٩٦.
[٢] سورة الأعراف الآيتان ١٦-١٧.
[٣] سورة المجادلة الآية ١٩.
[٤] المعجم الوجيز صـ١٧٦.
[٥] سورة الإسراء الآية ٦٢.

عليها أكلاً، أو لأقودنهم حيثما شئت ولأستولين عليهم استيلاء قوياً من قولهم: حنكت الدابة وأحنكتها إذا جعلت فى حنكها الأسفل حبلاً تقودها به"[١].

ففى الإستحواذ والإحتناك معنى السيطرة والإستيلاء والإحاطة وهو المستفاد من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾.

قال ابن عباس– رضى الله عنهما–: ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾، من قبل الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى من قبل الدنيا، ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾، أى من جهة حسناتهم وسيئاتهم"[٢]. يعنى بذلك تشكيكهم فى أمر الآخرة، وترغيبهم فى الدنيا، وحملهم على الإغترار بالطاعة، والإستهانة بالمعصية.

وتبين السنة طرفاً من ذلك فيما أخرجه الأئمة النسائى وأحمد وغيرهما من حديث سبرة بن أبى فاكه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال له: تسلم وتذردينك ودين آبائك؟ ! فعصاه فأسلم فقعد له بطريق الهجرة، فقال له: تهاجر وتذر أرضك وسماءك؟! فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال له: تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة) [٣].

ولعل صرف الشيطان عن إتيانهم من جهة الفوق والتحت لما أن الأولى قبلة الدعوات ومتنزل الرحمات وأن الثانية موطن القرب من الله تعالى حال السجود، وفى ذلك إشارة إلى أثر الدعاء والصلاة فى دفع كيد الشيطان.

وفى الصحيح: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول: ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلى النار) [٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ هو من باب الظن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

---

(١) تفسير أبى السعود ٥/ ١٨٣ بتصرف، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية ١٢٨/٢.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٩/٢.
(٣) أخرجه أحمد ٤٨٣/٣، والنسائى ٢١/٦، والطبرانى ٦٥٥٨، وهو فى صحيح ابن حبان ك البر ٢١/ باب فضل الجهاد ح ٤٥٩٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ١٣٣.
(٥) سورة سبأ الآية ٢٠.

قال **صاحب التحرير**– رحمه الله–: "أى تحقق ظنه حين انفعلوا لفعل وسوسته فبادروا إلى العمل بما دعاهم إليه من الإشراك والكفران"[١].

والواقع أن ذلك وافق قدر الله تعالى فيهم، وليس للشيطان من سلطان عليهم لذا فقد عبر بالظن.

يقول **فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى**: "إن الشيطان لا يعرف الغيب ولم يؤت هذا العلم حتى يقول إن أكثر عبادك لن يكونوا شاكرين كما أنه لم يكن لديه من العلم ما يجعله جازماً وواثقاً من أن ذلك سيحدث نتيجة إغوائه للإنسان إن القرآن الكريم يكشف لنا كيف قال الشيطان هذا الكلام، يقول الحق سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.إذا فقد كان ما قاله إبليس ظناً فقط فلم يكن يعلم غيباً ولا يدرى ما يحدث فى المستقبل [٢].

**الوسيلة الثانية: التزيين والإغواء**

"الإغواء: إلقاء اغى فى القلب، وضده الرشد، قال تعالى:﴿ **قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[٣]. وأصله من غوى الصبى والفصيل إذا فسد جوفه، واستعير للدلالة على فساد العيش أو فساد الإعتقاد أو الخيبة أو الضلال. والتزيين: التحسين من زين الشىء إذا جمّله وحسنه"، ويكون للشبهات تارة أخرى[٤].

وجاء الإغواء مسنداً إلى ضمير اللعين فى موضعين بلفظ ﴿**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[٥].

وجاء التزيين مسنداً إلى الشيطان فى خمسة مواضع، وإلى ضميره فى موضع واحد وهو قول الله سبحانه: ﴿ **لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [٦] وبالنظر فى هذه المواضع نلاحظ أنه حيث أسند الفعل (زين) إلى الشيطان جاء معموله مطلقاً عن الوصف، ذلك أن ذكر الشيطان كاف فى الدلالة علىسوء وقبح ما يزينه، كما فى قوله سبحانه: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾[٧] أى السيئة القبيحة.

---

[١] تفسير التحريروالتنوير ٢٢/ ١٨٣.
[٢] الشيطان والإنسان لفضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى صـ ٣٣، ٣٤، ط مكتبة الشعراوي الإسلامية.
[٣] سورة البقرة الآية ٢٥٦.
[٤] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٠٢/٤.
[٥] سورة الحجر الآية ٣٩، سورة ص الآية ٨٢.
[٦] سورة الحجر الآية ٣٩.
[٧] سورة النمل الآية ٢٤.

obeikandi.com

وهذا التزيين يكون للشهوات المحرمة تارة ، ويكون للشبهات تارة أخرى.

**فمن الأول: وهو تزيين الشهوات.**

**١- تزيينه لآدم- عليه السلام - الأكل من الشجرة.**

قال تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[١].

ومحل الغرض من القول الكريم قول الله تعالى يقص مقالة اللعين ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ فظهر منها أن مدخل اللعين إلى نفس آدم-عليه السلام- هو لون من شهوات النفس يتمثل فى نزعة الخلود وحب البقاء ونزعة الحرص وحب التملك.

يقول **صاحب الظلال:** "لقد لمس - أى الشيطان- فى نفسه- أى آدم- الموضع الحساس، فالعمر البشرى محدود، والقوة البشرية محدودة ، ومن هنا يتطلع إلى الحياة الطويلة والملك الطويل، ومن هاتين النافذتين يدخل عليه الشيطان" [٢].

وفى موضع آخر بين الله تعالى أن الوسوسة وقعت لآدم وحواء جميعاً فقال سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۞وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٣].

"وتعدية الفعل فى الموضع الأول بـ(إلى) وفى الثانى باللام متوجه إما على القول بأن حروف الجر تتعاقب فيما بينها ويخلف بعضها بعضاً فيكون قوله سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ بمعنى وسوس إليهما. وإما أنه يتوجه على إرادة التضمين حيث ضمن فعل الوسوسة فى الأولى معنى التحديث أو الإسرار فكأنه قال: تحدث إليه أو أصر إليه، وضمن اللام في الثانية معنى لأجله فكأنه قال: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ﴾ أى لأجلهما"[٤].

قال **الزمخشرى:** "ومعنى وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه: ألقاها إليه"[٥].

---

[١] سورة طه الآيات ١٢٠- ١٢٢.
[٢] تفسير فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ٢٣٥٤/٤.
[٣] سورة الأعراف الآيتان ٢٠-٢١.
[٤] أضواء البيان ٥٧٥/٤ باختصار.
[٥] تفسير الكشاف للزمخشرى ٢/ ٧٢ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان- بدون.

والسبب فى استجابتهما لتزيينه قيل: لأنهما ظنا أن حداً من خلق الله لا يقسم بالله كذباً، وذلك من شدة تعظيمهما لله سبحانه.

وقيل: كما ذكره **العلامة الآلوسى:** "ذهب كثير من المحققين إلى أنهما أقدما على المنهى عنه لغلبة الشهوة كما نجد من أنفسنا الإقدام على الفعل إذا زين لنا الغير ما نشتهيه، وإن لم نعتقد أن الأمر كما قال، ولعل كلام اللعين على هذا من قبيل المقدمات الشعرية أثار الشهوة حتى غلبت فنسى معها النهى فوقع الإقدام من غير روية"[١].

فأكلا من الشجرة مخالفين أمر الله تعالى، وكان من ثمرة هذه المخالفة أن بدت لهما سوءاتهما، ورأى كل منهما عورة صاحبه، وسميت سوأة لما أن كشفها يسوء صاحبها كما يسوء غيره ممن رآها. ولأن الحياء فطرة فقد شرعا يخصفان على عورتهما من ورق الجنة، وأصل الخصف الإلصاق، والمعنى جعلا يلزقان على عورتهما من ورق الجنة واحدة بعد الأخرى ليتحقق لهما الستر المطلوب.

ثم اصطفاه الله تعالى من بعد معصيته فوفقه للتوبة، وهداه إليها إذ لقنه لفظها كما قال تعالى :﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٢].

وجاء بيان هذه الكلمات فى قوله تعالى: ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]. وهى كلمات تجمع بين خوف العاقبة والإقرار بالذنب، والندم عليه، واللجوء إلى الله تعالى بطلب المغفرة والرحمة.

ووصف سبحانه نفسه كبشارة لآدم وذريته من بعده ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ على صيغة المبالغة ليثبت فى نفس آدم عليه السلام ونحن من بعده أنه كثير التوبة والرحمة.

وأسند التلقى لآدم عليه السلام دون حواء، وأثبت لهما القول فى قوله سبحانه: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا...الآية﴾ إشارة إلى ما هو الأصل فى قوامة الرجل على المرأة وتوليه شأنها، وأيضاً إلى ما ينبغى أن يكون عليه حال المرأة من الستر والإغضاء، وأيضاً فى ذلك إشارة إلى شخصية الجزاء، وفردية التبعة، فقولهما معاً ما تلقاه آدم من الكلمات هو كقوله ﷻ :﴿ وَلاَ تَزِرُ

---

[١] تفسير الألوسى ٨/١٠٠.
[٢] سورة البقرة الآية ٣٧.
[٣] سورة الأعراف الآية ٢٣.

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١] فينبغى على كل منهما أن يحدث بنفسه توبه، وأيضاً فيه إشاره إلى دور الرجل فى إرشاد زوجه وتعليمها أمور دينها.

وعندنا أن الهدف الأعظم من هذه القصة هو تحذير الإنسان من وسوسة الشيطان الذى آلىعلى نفسه أن يدمر نعيم الإنسان بإخراجه منه، وكل إنسان فى نعيم ما بقى يطيع أوامر الله تعالى، ولا عمل للشيطان إلاَّ يخرج الإنسان- أى إنسان- من نعيم الطاعة إلى جحيم العصيان.

ولا متمسك فى الآية الكريمة ونظائرها لأصحاب المذاهب الضالة للطعن فى عصمة الأنبياء-عليهم السلام- إذ أن ما وقع من بعضهم إنما كان بتأويل أو نسياناً قبل النبوة، وهذا التوجيه هو مقتضى صريح القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢]. والمعنى: "أن منصب الرسالة إنما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى بمن يشاء من خلص عباده"[٣].

ومن مثل قوله سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٤]، فهذا القول الكريم والذى قبله وغيره من نظائرها كما فىسورة الأنعام قال تعالى:﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىصِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥]، وكما فى سورة ص قال تعالى :﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[٦]. يستلزم ضرورة كون المصطفون أزكى الناس نفساً، وأطهرهم سريرة، وأعدلهم سيرة.

يقول العلامة **أبو السعود** عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ﴾ هم المختصون بالنفوس الذكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحانى والجسمانى، يتلقون من جانب إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جانب الحق"[٧].

"وهذا الذى أشرت إليه هو ما عليه الأمة اعتقاداً، وأطبقت عليه أقوال أهل الحق من علمائها"[٨].

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٤.
(٣) تفسير أبى السعود ١٨٣/٣.
(٤) سورة الحج الآية ٧٥.
(٥) سورة الأنعام الآية ٨٧.
(٦) سورة ص الآية ٤٧.
(٧) تفسير أبى السعود ١٢١/٦.
(٨) يقول الشيخ الشنقيطى – رحمه الله تعالى- : " وحاصل كلام الأصوليين فى هذه المسألة : عصمتهم من الكفر وفى كل ما يتعلق بالتبليغ من الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة ، وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر غير صغائر الخسة منهم ، ولكن جماعة من متأخرى الأصوليين اختاروا

يقول الإمام **ابن القيم الجوزية** -رحمه الله تعالى-: "لقد كان ذنب آدم -عليه السلام- بمنزلة شرب الدواء ليستخرج به الداء العضال، كما قيل بلسان الحال: يا آدم لا تجزع من كأس ذلٍ كانت سبب كيسك، فقد استخرج بها منك داء لا يصلح أن تجاورنا به، وألبست بها حلة العبودية"[١].

**٢-تزيين المشتهيات من النساء والبنين والأموال:**

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٢].

وموضع الشاهد فى هذه الآية الكريمة: أن الشيطان يغوى بنى آدم بالنساء والبنين والأموال المتنوعة والمتكاثرة.

"وقدم النساء على سائر المشتهيات لعراقتهن فى الشهوة فإنهن حبائل الشيطان، وخص البنين بالذكر دون البنات لعدم الاطراد فى حبهن"[٣].

والآية المباركة تواجه هذا الإغواء الشيطانى بالإشارة إلى تحقير وتقليل متاع الحياة الدنيا والتزهيد فيه كما يستفاد من تنكير كلمة (متاع) هذا من وجه ومن وجه آخر تقرر الآية أفضلية ما عند الله تعالى كما فى قوله ﷻ :﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، أى المرجع

---

أن ذلك جائز عقلاً ولم يقع فعلاً ... ، ثم قال -رحمه الله- ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب فإنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص وصدق الإنابة إلى الله تعالى حتى ينال بذلك أعلى الدرجات ، ومما يوضح ذلك قول الله تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ فانظر أى أثر يبقى للعصيان والغى بعد توبة الله عليه ، واجتبائه أى اصطفائه إياه ، وهدايته له ، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة فيها درجة أعلى من درجته قبل تلك الزلة (أضواء البيان للشيخ الشنقيطى ٥٨٥/٤ بتصرف )، وقال الإمام الفخر الرازى: " والمختار عندنا أنهم لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة البته لا الكبيرة ولا الصغيرة " ( مفاتيح الغيب ٣٠٨/١ وبه قال الألوسى ٢٧٤/٦ والقرطبى ٣٥١/١ وما بعدها ط دار الغد) ، وأما قبل النبوة فالمختار أيضاً أنهم معصومون من الوقوع فى الكبائر وصغائر الخسة عملاً أو سهواً وذلك لما أن الله تعالى اختارهم لمنصب النبوة العظيم ، وأعدهم لذلك وصنعهم على عينه سبحانه ، وأيضاً لم ينقل عن أحد منهم أنه قد ارتكب كبيرة أو صغيرة حسية قبل البعثة ، وأن ما صدر منهم مما جاء به الكتاب والسنة إنما كان بتأويل أو نسياناً ونحو ذلك ، وأما الصغائر غير الحسية قبل البعثة فلا مانع منه عملاً أو سهواً لعدم قيام دليل على المنع ( عصمة الأنبياء أ. د / محمد أبو النور الحديدى صـ ١١٨- ١٢١ باختصار).

[١] مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن القيم الجوزية ٣٣٥/١ ، تحقيق أحمد فخرى الرفاعى ، وعصام فارس الحرستانى، ط دار الجيل بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١م.

[٢] سورة آل عمران الآية ١٤.

[٣] تفسير أبى السعود ١٤/٢.

والمصير، ويستفاد ذلك من تصدير الجملة بالفظ الجلالة، والتصريح بالعقوبة المقدسة، والوصف بالحسن وفى ذلك من التوجيه للمؤمنين ما لا يخفى أثره فى كف النفس عن اتباع خطوات الشيطان فى تزيينه لهذه المشتهيات.

**٣- تزيين بعض عرض الدنيا فى صورة الغنائم والأسلاب**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [١].

ففى القول الكريم دلالة على أثر الميل للشهوات كمدخل من مداخل الشيطان، كما يظهر من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ أى من الميل إلى الغنائم حيث استدرج الشيطان بعض المؤمنين-وهم الرماة- من خلال هذا الميل إلى مخالفة أمر النبى ﷺ فكان ما كان من حرمان التأييد والثبات.

يقول **الإمام أبو السعود**: "﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة أمر النبى ﷺ ، وترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب"[٢].

وكما عرضت الآية الكريمة استزلال الشيطان لبعض المؤمنين يوم أحد كيداً لهم، عرضت كذلك ما يبطل أثره فى النفوس، وذلك بتقرير عفو الله تعالى عنهم مؤكدة ذلك بما هو كالعلة له فى قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

**ومن الثانى: وهو تزيين الشبهات**

وهو يؤدى بدوره إلى الوقوع فيما هو شرك صريح ومن ذلك :

**١- تزيين الشرك بالله تعالى:**

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٣].

---

[١] سورة آل عمران الآية ١٥٥.
[٢] تفسير أبى السعود ١٠٣/٢.
[٣] سورة الرعد الآية ٣٣.

"والآية الكريمة تنفى التسوية بين الله سبحانه ذى العلم الواسع المحيط الذى لا تخفى عليه خافية، وبين هذه الآلهة المدعاة التى لا تسمع ولا تبصر، وتنكر على من زعم ذلك، وتقرر أن ما وقعوا فيه من الشرك المستوجب لتقريبهم وتوبيخهم إنما هو من تزيين الشيطان لهم، إذ ليس لهم من حجة ظاهرة عليه أو دليل يشهد له وقد تضمن النظم الكريم ألواناً من الإحتجاج عليهم:

**أولاً:** قوله تعالى: ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ والمراد من الأمر الإحتجاج عليهم بأن آلهتهم مجرد أسماءلا ذوات ولا حقيقة لها فهو كقوله سبحانه: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾. (١)

**ثانياً:** قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ ﴾ وهو توبيخ وتقريع لهم لادعائهم آلهة لا وجود لها على الحقيقة ، إذ لو كانت لعلمها الله سبحانه، فما لا يتعلق به علمه لا وجود له فى الواقع ، فهو كقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

**ثالثاً:** قوله سبحانه :﴿ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ والمعنى بل أتنبئونه بقوله لا حقيقة له فهو محض افتراء لاحظ له من الواقع كما فى قوله سبحانه ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(٣). والمقصود نفى الدليل العقلى والنقلى على حقية عبادتها واتخاذها آلهة من دون الله"(٤)، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ إنتقال إلى بيان السبب فى اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى، وهو التزيين والخداع يغرهم به الشيطان، حيث يلبس عليهم الأمر بالشبهات الزائفة والتى منها ما ألقاه الشيطان فى قلوبهم ونطقت به ألسنتهم، وسجل عليهم الله سبحانه فى قوله ﷻ:﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٥).

"والزلفى: المنزلة والدرجة"(٦). والمعنى: "ليقربونا إلى الله فى منزلة القرب والعناية"(٧).

يقول **الإمام الحافظ بن كثير** رحمه الله: "وهذه الشبهة التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– بردها والنهى عنها

---

(١) سورة النجم الآية ٢٣.
(٢) سورة يونس الآية ١٨.
(٣) سورة التوبة الآية ٣٠.
(٤) التحرير والتنوير ١٣/ ١٥٠ وما بعدها باختصار، وروح المعانى ١٣/ ١٦١.
(٥) سورة الزمر الأية ٣.
(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣/ ٩١.
(٧) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٢٢ بتصرف.

والدعوى إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به، بل أبغضه ونهى عنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[١] وقال سبحانه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢] [٣].

"وقوله تعالى: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ عطف على قوله ﷻ : ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ ﴾ والمعنى أنهم منعوا عن سبيل الحق بسبب ما حصل لهم من التزيين، وقرأ حمزة والكسائى وخلف ﴿وَصُدُّواْ ﴾ بالضم، وقرأ الجمهور بالفتح ﴿وَصَدُّواْ ﴾، ويتوجه إما على أنه فعل لازم، والمعنى: وأعرضوا عن سبيل الحق، وإما على أنه فعل متعد، والمعنى: أنهم صدوا غيرهم عن سبيل الحق، وهو أبلغ لدلالته على ضلالهم فى ذواتهم وسعيهم فى إضلال غيرهم"[٤].

ومن نظائر ذلك فى التنصيص على تزيين الكفر والشرك قول الله تعالى يقص مقالة الهدهد: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[٥]. وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[٦].

**٢- تزيين الردة عن الدين بعد تبين الهدى:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [٧].

"فالآية الأولى تسجل على نفر من المنافقين ارتدادهم ورجوعهم عما أظهروه من الإسلام إلى صريح الكفر لضعف إيمانهم وقلة استيثاقهم من الحق. وأن المراد رجوع من رجع منهم عن

---

[١] سورة النحل الآية ٣٦.
[٢] سورة الأنبياء الآية ٢٥.
[٣] مختصر ابن كثير ٢١٢/٣.
[٤] اتحاف فضلاء البشر للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل ١٦٢/٢ ط عالم الكتب بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
[٥] سورة النمل الآية ٢٤.
[٦] سورة عافر الآية ٣٧.
[٧] سورة محمد ﷺ الآيتان ٢٥ – ٢٦.

القتال كالذين انحازوا إلى عبد الله بن أبي سلول يوم أحد، ورجعوا إلى المدينة يثبطون بذلك عزائم المؤمنين ويخذلونهم، أو أن المراد عموم المنافقين الذين يظهرون الإسلام بمجالسة النبى ﷺ والصلاة معه والاستماع إليه حتى إذا خلوا إلى شياطينهم أظهروا الكفر"[١].

والحاصل أن الآية الكريمة تسجل هذا الإرتداد أياً كان مظهره، وتقرر أن ما وقع فيه هؤلاء إنما كان بسبب تزيين الشيطان لهم كما صرحت بذلك الآية:﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُم ﴾.

والتسويل من السول وهو الاسترخاء، والمراد: سهل لهم ذلك الإرتداد، وأنه من السول مخفف السؤل وهو: الأمنية تلقى فى القلب"[٢].

وفى الآية الثانية بيان لمظهر هذا التزيين وكيفيته بقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ والإشارة إلى الإرتداد الحاصل، والمعنى: ذلك الإرتداد وقع منهم بسبب قولهم للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر.

يقول **صاحب التحرير**: "إن الشيطان استدرجهم إلى الضلال بعد ما تبين لهم الهدى، فسول لهم أن يوافقوا أهل الشرك والكفر فى بعض الأمور مسولاً أن تلك الموافقة فى بعض الأمور لا تنقض اهتدائهم- أى فى الظاهر- فلما وافقوهم وجدوا حلاوة ما ألفوه من الكفر فيما وافقوا فيه أهل الكفر، وأخذوا يعودون إلى الكفر المألوف حتى ارتدوا على أدبارهم، وهذا شأن النفس فى معاودة ما تحبه بعد الانقطاع عنه وإن كان الإنقطاع قريب العهد"[٣].

والمراد بالبعض الذى عرضوا طاعة اليهود فيه هو ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤].

ولأنهم قالوا ما قالوه سراً حفاظاً على ما تطلعوا إليه من الأمن وعرض الحياة الدنيا، وخشية افتضاح أمر نفاقهم، جاء تذييل الآية مفوتاً عليهم هذا القصد فقال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُم ﴾ فيجازيهم على ما قالوه سراً من الأسرار"[٥].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/ ١١٥ باختصار.
(٢) تفسير أبى السعود ٩٩/٨ باختصار.
(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢٦/ ١١٦.
(٤) سورة الحشر الآية ١١.
(٥) اتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٧٨.

### ٣- تزيين مزاولة التشريع افتراء على الله

فقد زين لهم الشيطان تشريع ما لم يأذن به الله افتراء على الله كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[١].

**ومن صور ذلك:**

أ- "ما سجله الله عليهم من جعلهم ما خلقه الله لهم من الزروع ونتاج الأنعام قسمه بينه تعالى وبين شركائهم، ثم جورهم بعد ذلك وتعديهم، فما جعلوه لله نصيباً أخذوه فأنفقوه على السدنه والكهان وقالوا: الله غنى"[٢].

وذلك قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[٣].

ب_ تزيين الشيطان لهم قتل أولادهم ذكوراً وإناثاً خشية الفقر والعار كما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[٤].

والمعنى: ومثل هذا التزيين الذى زينته الشياطين لهم فى قسمة الأموال على نحو ما سلف بيانه زينت لهم قتل أولادهم كوأد البنات خشية العار، وقتلهن الذكور خشية الفقر.

وجاء بيان هذا وذاك فى قوله تعالى بشأن وأد الينات: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٥].

وقوله ﷻ بشأن قتل عموم الأولاد خشية الفقر: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾[٦].

---

(١) سورة يونس الآية ٥٩.
(٢) تفسير القرطبى ٣/٢٦١٠.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٦.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٣٧.
(٥) سورة النحل الآيتان ٥٨ - ٥٩.
(٦) سورة الإسراء الآية ٣١.

"والمراد بالشركاء فى الآية: الشياطين ذكره ابن كثير عند مجاهد [١] والسدى"[٢][٣].

وقال **الإمام القرطبى** -رحمه الله-: "وكان هذا مما زينه الشيطان وسوله لهم، وسمى الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم فى معصية الله وأشركوهم فى وجوب طاعتهم"[٤].

والغاية من هذا التزيين إيقاعهم فى الهلاك والضلال كما قال سبحانه ﴿ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾. "والإرادة: الإهلاك، والمراد بالدين:ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام"[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ تهديد ووعيد لهم على ما ارتكبوه من قتل الذرية ومن الإفتراء على الله تعالى.

جـ-ومن تزيين الشيطان لهم أيضاً تحريمهم بعض الأنعام، فلا ينتفع بها ولا بوجه من وجوه المنفعة، وكذلك تشريعهم فيما يتعلق بالأجنة فى بطون الأنعام، وذلك الذى عزم عليه اللعين إذ قال: ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾[٦].

"قال قتادة: يعنى تشقيقها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة"[٧].

وقد صدق عليهم إبليس ظنه فوقع منهم ما سجله الله تعالى فى قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ

---

(١) هو الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكى مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبى السائب المخزومى، أشهر تلاميذ ابن عباس أخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، قال عنه قتاده أعلم من بقى بالتفسير مجاهد، مات وهو ساجد سنة ١٠٣ هـ ( طبقات ابن سعد ٤٦٦/٥، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤ وما بعدها).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن كريمة الحجازى الأعور السدى أحد موالى قريش ، وهو السدى الكبير المفسر ذكره ابن حبان فى الثقات ، ووثقه غير واحد ، وقالوا : ثقة عالم التفسير ، وله تفسير ت ١٢٧ (سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥ ، الثقات لابن حبان ٢/٤ ط أولى ١٣٩٨هـ).

(٣) مختصر ابن كثير ٦٢٢/١.

(٤) تفسير القرطبى ٢٦١١/٣.

(٥) المرجع السابق ٣/ ٢٦١٤.

(٦) سورة النساء الأية ١١٩.

(٧) مختصر ابن كثير ١/ ٤٣٨ ، والبحيرة : الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وتركوها وقالوا بحيرة ، والسائبة : الناقة تنتج عشرإناث ليس بينهم ذكر فتسيب لا تركب ولا يجز وبرها ، ولا يحلب لبنها ، والوصيلة : هى من الغنم تلد عشرإناث فى خمسة أبطن توأمين توأمين فى كل بطن فتسمى وصيلة وتترك ( مختصر ابن كثير ٥٦٦/١).

خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

"قال **مجاهد** – رحمه الله– :"كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شىء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن نتجوا ولا إن عملت شيئاً"[٢].

د– ومن تزيين التدخل فى التشريع: تدخلهم بالتشريع فيما يتعلق بالأشهر الحرم حيث ضموا إلى كفر الإعتقاد كفر التشريع، وهو ما سجله الله تعالى عليهم فى قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[٣].

ومظهر هذا التزيين ما لبسه عليهم الشيطان من النظر إلى عدة الشهور لا إلى أعيانها، فكانوا كما ذكر العلامة **أبو السعود**– رحمه الله–: "إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد"[٤].

**٤– تزيين معاداة المؤمنين:**

مما زين الشيطان للكافرين معاداة المؤمنين، وتسويغ قتالهم، إذ يغرهم بكثرتهم عدداً وعدة ، ويعدهم بالنصر والجوار، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٥].

والمعنى: "واذكر وقت تزيين الشيطان أعمالهم فى معاداة المؤمنين وغيرها بأن وسوس إليهم وألقى فى روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه– فيما يظنون أنها قربان– مجير لهم حتى قالوا: اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الدينين"[٦].

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ١٣٨ –١٣٩.
(٢) تفسير أبى السعود ٨٦/٣.
(٣) سورة التوبة الآية ٣٧.
(٤) تفسير أبى السعود ٦٤/٤.
(٥) سورة الأنفال الآية ٤٨.
(٦) تفسير أبو السعود ٢٦/٤.

يقول **الإمام بن كثير** رحمه الله: "وكذب عدو الله، والله ما به مخافه من الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة"(١).

وواضح أن تزيين كثرة العدد والعدة كان وسيلة اللعين فى تهييج الكافرين وإغرائهم بالمؤمنين، وفى هذا البيان كشف لمدخل من مداخله، ليقف عليه المؤمنون فيحذروا كيده.

ومن نظائر ذلك ما وقع فى قلوب بعض من المؤمنين من العجب والإغترار بالكثرة يوم حنين، فولوا مدبرين أول الأمر حتى إذا ما وعوا الدرس وأدركوا أن النصر من عنده سبحانه ألقى الله عليهم السكينة وتحقق لهم النصر من الله تعالى لا بعددهم الذى بلغ اثنى عشر ألفاً فى مقابل جيش هوازن وعدته أربعة آلآف، ويقول الله تعالى فى ذلك: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾(٢).

**٥- تزيين اتباع الهوى:**

قال تعالى:﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾(٣) هذه الآية الكريمة نص فى نفى التسوية والمماثلة بين المؤمنين والكافرين فى الحال والمآل ، وجاء ذلك فى أسلوب من الإنكار على من سوغ ذلك وأجازه، وفى الآية بيان لعلة الحكم وهى أن المؤمنين كانوا على حجة ظاهرة نيرة، بينما الكافرون لا متمسك لهم إلاَّ اتباع الهوى فقد زين لهم الشيطان ذلك.

يقول العلامة **أبو السعود** – رحمه الله-: "واتبعوا بسبب ذلك التزيين أهوائهم الزائفة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما عليه فضلاً عن حجة تدل عليه"(٤).

ويجلى القرآن الكريم أثر اتباع الهوى من خلال سوقه لهذا النموذج الواقعى للمتبع الهوى والمنسلخ من العلم الذى هو أساس الحجة والبرهان، يقول تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ

---

(١) مختصر ابن كثير ١١٢/٢.
(٢) سورة التوبة الآيتان ٢٥- ٢٦.
(٣) سورة محمد ﷺ الآية ١٤.
(٤) تفسير أبى السعود ٩٥/٨.

أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَــوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُــصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَــفَكَّرُونَ ﴾[١].

والمعنى: واتل يامحمد على قومك أو على اليهود الخبر العظيم الشأن، وهو نبأ من آتــاه الله العلم والحكمة فانسلخ منها وكذب بها، ولم يستقم عليها بسبب تزيين الشيطان له اتباع الهوى، فآل حاله إلى غى بعد رشد، وضلال بعد هدى.

"والتعبير بالإنسلاخ فيه إشارة إلى أن العلم الشرعى هو الدرع الواقى، والغطاء الحامى للإنسان"[٢].

"كما يشير إلى كمال وتمام المباينة والمفاصلة للآيــات بعــد أن كــان بينهمــا كمــال الإتصال"[٣]. "وقوله سبحانه: "﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ من الإفتعال، وفيه تلويح بأنه أشد غواية من الشيطان وذلك على سبيل المبالغة، فكأن الشيطان صار تابعــاً لــه بعــد أن كــان هــو تابعــاً للشيطان"[٤].

وتبين الآية الكريمة أن ما وقع لم يخرج عن مشيئة الله تعالى وقدره النافذ فى هداية من شاء وإضلال من شاء، فلما كان ميله إلى الأرض، وإيثاره لشهواتها أحب إلى نفسه مما أوتــى من الآيات والحجج، جعل الله له مثل السوء، وهو الكلب، فهو دائماً فى لهاث حملــت عليــه أو تركته.

"والموصول فى الآية من المبهمات لم يرد فى تحديده نص قرآنى، ولم يصح فيه شــىء مرفوع إلى النبى ﷺ يعول عليه وكل ما جاء فى ذلك من الأخبار روايات متضاربة فيما بينها ولا تخلو من الإسرائيليات والأولى أن نأخذ من النبأ ما وراءه، فهو يمثل حال الــذين يكــذبون بآيات الله بعد أن بين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها"[٥].

**٦- تزيين الوعد بالعفو والمغفرة**

وهى الثغرة التى يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التى يعزُّ عليه غزوها مــن ناحية المجاهرة بالمعصية فيتلطف إلى تلك النفوس المتحرجة ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لهــا بسعة الرحمة الإلهية وشمــول العفو والمغفــرة كما عزم عــلى ذلــك فقــال:﴿ وَلأُضِــلَّنَّهُمْ

---

[١] سورة الأعراف الآيتان ١٧٥ -١٧٦.
[٢] تفسير فى ظلال القرآن ١٣٩٧/٣.
[٣] تفسير أبى السعود ٢٩٢/٣.
[٤] الفتوحات الإلهية ١٤٤/٣، روح المعانى ١١١/٩ باختصار.
[٥] تفسير فى ظلال القرآن ١٣٩٧/٣ بتصرف.

وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[١].

فقوله ﴿ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أى بالوعود الكاذبة والتى من جملتها الوعد بالعفو والمغفرة.

يقول **صاحب المنار**: "التمنية تكون فى الأعمال بأن يزين لهم الإستعجال باللذات الحاضرة، والتسويف بالتوبة والعمل الصالح، بل هذا اسم جامع لأنواع وحى الشيطان كلها وتغريره للناس بعفو الله ورحمته ومغفرته"[٢].

وصورة ذلك ما جاء فى قول الله تعالى يقص مقالة إخوة يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾[٣].

وموضع الشاهد: قولهم ﴿ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾، لقد تآمروا على قتل يوسف أو نفيه وهى جريمة خطيرة سولها لهم الشيطان وهو يطمعهم فى التوبة والمغفرة بعدها.

يقول **صاحب الظلال** –رحمه الله–: "وهكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث، وهكذا لما غلا فى صدورهم الحقد، برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا والتوبة بعد ذلك تصلح ما فات، إن التوبة الجاهزة التى تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالم الجريمة ليست توبة، إنما هى تبرير لارتكاب الجريمة بزينة الشيطان"[٤].

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى يسجل على طائفة من بنى إسرائيل هذا الإتكاء على سعة الرحمة وشمول المغفرة: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٥].

---

[١] سورة النساء الآية ١١٩.
[٢] تفسير المنار للشيخ / محمد عبده ٤٢٧/٥.
[٣] سورة يوسف الآيتان ٨-٩.
[٤] تفسير فى ظلال القرآن ٢٢٣٩/٤.
[٥] سورة الأعراف الآية ١٦٩.

والمراد بهم جماعة من اليهود قد ورثوا التوراة عن أسلافهم فلم يلتزموا بما فيها، ويأتون ما حرم عليهم من الرشا وغير ذلك تعويلاً على المغفرة وأملاً فى العفو قائلين ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

والمقصود من الآية توبيخ أولئك الورثة ومن نحا نحوهم لتعويلهم على المغفرة مع إصرارهم على الذنب، وكذا قال ابن عباس– رضى الله عنهما–: "إنما وبخوا على إيجابهم على الله تعالى غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون إليها ولا يتوبون منها"[١].

**الوسيلة الثالثة: التخويف والإرجاف**

قال **الراغب:** "الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وضده الأمن، ويستعمل فى الأمور الدنيوية والأخروية، ويقال: خوَّفه أى حمله على الخوف. والإرجاف: إيقاع الرجفة وهى إما بالقول وإما بالفعل"[٢].

ومعنى الإرجاف: الخوض فى الفتنة والأخبار السيئة، وإشاعتها فى الناس لإيقاعهم فى الإضطراب"[٣].

والتخويف والإرجاف إحدى وسائل الكيد الشيطانى لبنى آدم–لا سيما المؤمنين منهم– ولقد سجل القرآن العظيم على اللعين هذه المحاولة فى مواضع منها:

**١– التخويف بأوليائه**

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[٤].

ذكر فى سبب نزول هذه الآيات: "أن النبى ﷺ طارد جيش مكة عقيب غزوة أحد حتى حمراء الأسد [٥]، وأرسل معبد بن أبى معبد الخزاعى يخذلهم لئلا يفكروا فى الرجوع إلى

---

[١] مختصر ابن كثير ٢/٦١-٦٢ باختصار.
[٢] المفردات صـ ١٦٢ ، ١٨٨.
[٣] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣/٢٧.
[٤] سورة آل عمران الآيات ١٧٣- ١٧٥.
[٥] موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة على طريق مكة ( الرحيق المختوم صـ٣١٩) لصفى الرحمن المباركفورى، ط دار الوفاء للطباعة والنشر – المنصورة.

المدينة، فانهارت لذلك عزائم الجيش المكى، وأرسل أبو سفيان هو الآخر قيل نعيماً بن مسعود الأشجعى، وقيل جاعل ركب عبد قيس المتجه إلى المدينة على التخذيل عنهم، فلما بلغ النبى ﷺ والمؤمنين ذلك قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت هذه الآيات بالثناء عليهم، وببشارتهم بالأجر العظيم وتثبيتهم فى مواجهة هذا الإرجاف الشيطانى"[١].

يقول **صاحب الظلال**– رحمه الله–: "إن الشيطان يحاول أن يجعل أولياءه مصدرخوف ورعب، وأن يخلع عليهم سمة القوة والهيبة، وهو صاحب مصلحة فى أن يبدو الأمر هكذا ، فتحت ستار الخوف والرهبة، وفى ظل الإرهاب والبطش يفعل أولياؤه فى الأرض ما يقرعينه، فيقلبون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويحمون الشر، ويقتلون الخير، ومن ثم ينبغى أن يفطن المؤمنون إلى مكر الشيطان وأن يبطلوا محاولته، فلا يخافوا أولياءه هؤلاء ولا يخشوهم، بل يخافوا الله وحده، فهو وحده القوى القاهر القادر الذى ينبغى أن يخاف"[٢].

ومحل الغرض من الآية بيانها لإحدى وسائل الكيد الشيطانى للمؤمنين بمحاولة إلقاء الخوف فى قلوبهم إما مباشرة بالوسوسة، وإما بصورة غير مباشرة بأن يزين لأعدائهم إرجافهم وتخويفهم، كما تضمنت الآية كذلك إرشاد المؤمنين إلى إحباط كيد الشيطان، وذلك بنهيهم عن الخوف من أوليائه، وأمرهم بالخوف من الله تعالى والعياذ به فهو القاهر القادر على نصرهم ودفع الكيد عنهم وتذييل الآية يقرر أن الخوف من الله تعالى إنما هو مقتضى الإيمان فقال سبحانه: ﴿وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فكلما قوى إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم.

### ٢- التخويف بالفقر

وأصل الفقر فى المحسوسات مأخوذ من فقر بمعنى كسر وحفر وثقب.

قال **الراغب**: "وأصل الفقير: هو المكسور الفقار، يقال: فقر من فاقرة أى أصابته داهية تكسر فقار ظهره، وقيل هو من الفقرة: أى الحفرة، ومنه قيل لكل حفرة يتجمع فيها الماء فقير، ويقال أفقرت البعير أى ثقبت خطمة"[٣].

وتدور هذه المعانى على معنى الحاجة الشديدة وما ينشأ عنها من مذلة وهوان، وهذا مما يجتهد الشيطان فى إلقائه فى نفس المؤمن فتنة له فى دينه، وفى بيان ذلك والتحذير منه جاء قول

---

(١) أسباب النزول للواحدى صـ ٧٦، وانظر زاد المعاد ١٠٤/٢، سيرة ابن هشام ١٢٥/٢، فتح البارى ٩١/١٧.

(٢) تفسير الظلال ٤٢١/١ بتصرف.

(٣) المفردات صـ ٣٩١ ، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٤/ ٣٤٦.

الله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

ففى الآية الكريمة بيان لأحد مظاهر تخويف الشيطان للمؤمنين، حيث يلقى فى قلوب من استجاب لوسوسته خوف الفقر المترتب على الإنفاق فى سبيل الله تعالى، وعبر عن ذلك بالوعد فقال سبحانه: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾

والأصل عند العرب أن الوعد هو: "الإخبار بحدوث شيء فى المستقبل خيراً كان أو شراً، وهو من الشيطان بمعنى الوسوسة"[٢].

ولما كان هذا التخويف مفضياً إلى كثير من الفواحش قال سبحانه: ﴿ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾، "والفحشاء: اسم جنس لكل ما فحش واشتد قبحه قولاً أو فعلاً"[٣].

**ومن ذلك:**

**أ- قتل الأولاد خشية الفقر:**

وقد عدّه الله سبحانه وتعالى جرماً خطيراً ونهى عنه مبيناً علة النهى ليكون أدعى إلى الإمتثال، فقال سبحانه:﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [٥].

فحرم سبحانه قتل الذرية بسبب الفقر الحاصل والواقع كما فى الآية الأولى، وبسبب توقعه كما فى الآية الثانية، وبيّن سبحانه فى موضع آخر أن ذلك من وسوسة الشيطان فقال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [٦].

والعلة فى هذا التحريم، والنهى عن مباشرة هذه الكبيرة قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم ﴾، فالله سبحانه هو الذى يرزق، وأنه لا علاقة البته بين النسل كماً ونوعاً وبين الفقر.

---

[١] سورة البقرة الآية ٢٦٨.
[٢] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/٢٦٠ بتصرف.
[٣] المرجع السابق ٤/٣٢٠.
[٤] سورة الأنعام الآية ١٥١.
[٥] سورة الإسراء الآية ٣١.
[٦] سورة الأنعام الآية ١٣٧.

يقول **صاحب الظلال:** "فما دام الرزق بيد الله فلا علاقة بين الإملاق وكثرة النسل أو نوع النسل، وإنما الأمر كله لله، ومتى انتفت العلاقة بين الفقر والنسل من تفكير الناس وصحت عقيدتهم من هذه الناحية، انتفى الدافع إلى فعل تلك الفعلة الوحشية المنافية لفطرة الأحياء وسنة الحياة"(١).

**ب- البخل وقبض اليد عن الإنفاق في سبيل الله:**

"والعرب تسمى البخل مطلقاً فحشاً والبخيل فاحشاً كما قال طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام الكرام ** ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

والعِيمة: بكسر العين : خيار المال ، وكذا العقيلة: خيار الشيء.

والمعنى: أن الموت يختار أفاضل الكرام، ويصطفى خيار أموال البخلاء المتشددين في الإمساك والحرص"(٢).

وعده القرآن الكريم من صفات المنافقين فقال الله سبحانه: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾(٣).

وعدَّ عدم التواصي بإطعام اليتيم والمسكين من موجبات العذاب في النار فقال سبحانه: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٤)

وبين أنه من أمارات التكذيب بالجزاء فقال:﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٥).

وبين سبحانه أن عاقبة البخل تلفاً في المال وحرماناً من الثواب فقال سبحانه: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾(٦).

---

(١) تفسير الظلال ٤/٢٢٢٣.
(٢) تفسير المنار ٣/٧٤.
(٣) سورة التوبة الآية ٦٧.
(٤) سورة الحاقة الآيات ٣٠-٣٤.
(٥) سورة الماعون الآيات ١-٣.
(٦) سورة محمد ﷺ الآية ٣٨.

يقول **الإمام بن كثير**- رحمه الله تعالى-: "أى إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبال ذلك عليه"[١].

وفى الصحيح: (ما من يوم يصبح فيه العباد إلاَّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً) [٢].

وحرم سبحانه كنز المال وتوعد عليه بالعذاب الأليم فى نار جهنم، وبشعه إذا قرنه بفعل كثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله فقال سبحانه: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣].

يقول العلامة **أبو السعود**: "والموصول فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ عبارة إما عن الكثير من الأحبار والرهبان، فيكون مبالغة فى الوصف بالحرص والضن بهما بعد، وصفهم بما سبق من أخذ الرشا والبراطيل فى الأباطيل، وإما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين، وهو الأنسب بقوله ﷻ:﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيكون نظمهم فى قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظاً ودلالة على كونهم أسوة لهم فى استحقاق البشارة بالعذاب الأليم"[٤].

ويتحصل من ذلك أنه كما حرم تحصيل المال من طرق غير مشروعة كما يفعل الأحبار والرهبان، كذلك حرم كنزه، "والكنز: الجمع والإدخار، والإسم منه يطلق على ما يحرز فيه المال"[٥].

وفى حكم كنز المال إنفاقه فى المعصية، وهو ما يفهم من قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

فقوله سبحانه:﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قيد فى الإنفاق يخرج ما أنفق رياء وكذا ما أنفق فى معصية فيكون الجمع، والمنع من الإنفاق المشروع فحشاً، وأفحش منه انفاقه فى معصية لجمعه بين النقيصتين.

---

[١] مختصر ابن كثير ٣٣٨/٣.
[٢] صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ح ١٤٤٢.
[٣] سورة التوبة الآية ٣٤.
[٤] تفسير أبى السعود ٦٢/٤ ، والقرن للإنسان مثله فى الشجاعة والعلم وغير ذلك ويقال للذكر والأنثى (المعجم الوجيز صـ٥٠٠).
[٥] المعجم الوجيز صـ ٥٤٢.

ومعلوم أن سائر هذه التصرفات إنما هى مظاهر للبخل وشح النفس والتى يزينها الشيطان للمؤمن خشية حصول الفقر بإنقاص المال.

وبعد أن كشف الله تعالى زيف وخداع الشيطان وفند وعده الكاذب شوق المؤمنين المخاطبين فى الآية إلى عظيم مغفرته وواسع فضله، فقال سبحانه:﴿ وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

والمراد تكذيب الشيطان وتوهين أمره عندهم وذلك بمقابلة إغرائه لهم بوعد الله سبحانه لهم بالمغفرة وهو من أعظم منافع الآخرة، وفى مقابل تخويفهم الفقر يعدهم بالخلف للنفقة كما قال سبحانه﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[١].

**ج- خوف ذهاب الجاه أوفقدان الأمن**

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

جاء فى سبب نزول هذه الآية: " أن الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشى قال للنبى ﷺ :إنا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣].

ويعجب سبحانه من حالهم وتفكيرهم، إذ كيف يسوغ لهم أن يمنحهم الله الأمن فى الحياة والسعة فى العيش كفاراً، ثم يمنعهم ذلك مؤمنين أبراراً، فيقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا ﴾

والمعنى: "أيقولون ما يقولون ونحن مكنا لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء وفيه من التوبيخ لهم ما فيه لتنزيلهم منزلة من ينفى ما هو واقع محس"[٤].

ولذا فقد سجل سبحانه وتعالى على كثرتهم الجهل الذى بدت أمارته فى هذا الإحتجاج الباطل فقال سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

---

[١] سورة سبأ الآية ٣٩.
[٢] سورة القصص الآية ٥٧.
[٣] أسباب النزول للواحدى صـ ١٩٢.
[٤] تفسير التحرير والتنوير ١٤٦/٢٠.

وموضع الشاهد من الآية الكريمة: أن هناك من المؤمنين من يقف موقف قريش فيلقى الشيطان فى قلبه خوفاً من أخذٍ أوتخطف أو من فوات منفعة أو حظ دنيوى، الأمر الذى يوهن عقيدته، ويزحزحه عن ثباته ومكنته.

**يقول صاحب الظلال:** "وإن كثيراً ليشفقون من اتباع شريعة الله تعالى والسير على هداه، ويشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الإقتصادية وغير الإقتصادية، وإن هى إلاَّ أوهام كأوهام قريش يوم قالت للرسول ﷺ: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا، فلما اتبعت هدى الله تعالى سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها فى ربع قرن أو أقل من الزمان"[١].

**الوسيلة الرابعة: التحزين بالنجوى**

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنْ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

" والنجوى: إسرار الحديث، فيقال تناجى الرجلان إذا أفضى كل منهما إلى الآخر بما عنده من حديث يخصه به ويكتمه عن غيره"[٣].

**وهى على ضربين:**

**أحدهما:** مباح محمود، والآخر: محرم مذموم، وجاء بيانهما معاً فى قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٤].

فعرض الله تعالى فى الآية بالمنافقين حيث يتناجون بالمعاصى والكيد للمسلمين ومخالفة أمر النبى ﷺ عامة ومنه مخالفة ما نهى عنه من التناجى بشأن المؤمنين، ونهى المؤمنين عن الوقوع فى مثل ذلك، وأباح لهم التناجى بالخير والطاعة والإمتثال لأمر الله سبحانه، وحذرهم الآخرة وأهوالها.

والمراد بالنجوى فى آية الباب التى معنا: ما كان منها مذموماً، وصورتها: أن يتناجى جماعة دون واحد منهم، أو يتكلموا دونه بلغة لا يعلمها أو بإشارة لا يفهمها، وكل ذلك من

---

[١] تفسير الظلال ٥/٢٧٠٤.
[٢] سورة المجادلة الآية ١٠.
[٣] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/٨٨.
[٤] سورة المجادلة الآية ٩.

وساوس الشيطان، يغرى بها المتناجين ليوقع فى نفوس الآخرين الشك والتهم وهما مجلبة الحزن.

**يقول الإمام القرطبى:** "قوله تعالى: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى يوقع فى نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر فى نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنهم -أى المتناجين- لم يروه أهلاً لأن يشترك معهم فى الحديث، إلى غير ذلك مما يلقيه الشيطان فى النفس، وهذا يحصل ببقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا يستوى فى ذلك كل الأعداء، فلا يتناجى أربعة دون واحد، ولا عشرة ولا ألف مثلاً لوجود ذلك المعنى فى حقه، بل وجوده فى العدد الكبير أمكن وأوقع فيكون المنع أولى"[١].

ولذا فقد نهى الحق سبحانه عن هذه النجوى المعهودة وأباح التناجى بضدها كما سبق بيانه فى قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه) [٢].

وفى هذا التوجيه الربانى والإرشاد النبوى مادة تربوية عظيمة تتمثل فى إبراز أثر التناجى فى تأكيد المعانى وتأصيل القيم فى الحياة الإجتماعية.

وبيان ذلك فيما ذكره **القاسمى** عن "**القاشانى**" قال: "إن التناجى اتصال واتحاد بين اثنين فى أمر يختص بهما لا يشاركهما فيهما ثالث، وللنفوس عند الإجتماع والإتصال تعاضد وتظاهر، يتقوى ويتأيد بعضها بالبعض فيما هو سبب الإجتماع لخاصية الهيئة الإجتماعية التى لا توجد فى الأفراد، فإذا كانت النفوس شريرة فإنهم يتناجون فى الشر، ويزداد فيهم الشر، ويقوى فيهم المعنى الذى يتناجون به الاتصال والإجتماع.، ولذا نهى المؤمنين عن التناجى بالرزائل، وأمرهم بالتناجى بالخيرات ليتقووا بالهيئة الإجتماعية ويزدادوا فيها"[٣].

**وقد تضمنت آية الباب الإرشاد إلى علاج آثار النجوى وذلك بأمرين :-**

---

[١] تفسير القرطبى ١٠/ ٦٧١١.

[٢] صحيح البخارى ، كتاب الإستئذان ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة ح ٣٣٨١ ، صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه ح ٥٦٦١ . وعبد الله بن مسعود غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلى، أسلم بمكة قديماً وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وكان صاحب نعل النبي ﷺ ، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ رضى الله عنهما ت ٣٢هـ وصلى عليه الزبير بن العوام (الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٦٠، التهذيب ٦/٢٤).

[٣] محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين القاسمى ، ١٦/٧٧ بتصرف ط دار الفكر -بدون.

**الأول:** بيان أن الشيطان لن يبلغ بهم ما يريد وذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ والمعنى: لا يحصل لهم ضرر من الشيطان أومن النجوى أدنى ضرر، إلاَّ شيئاً قدره الله ﷻ وأراده، ومن ثم فهو لهم لا عليهم لعموم قوله سبحانه: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ ﴾[١].

**الثاني:** التوجيه إلى التحلى بالإخلاص وقصر التوكل على الله سبحانه فهو حسبهم وكافيهم كما جاء فى تذييل الآية: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾

قال العلامة –**أبو السعود** – رحمه الله– : "أى لا على غيره، فلا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى يعصمهم من شره"[٢].

ومن صور تحزين الشيطان للإنسان: التلاعب به فى نومه، وقد جاء بيان ذلك فى الصحيح، فقد روى البخارى بسنده عن أبى سلمة [٣] ﷺ قوله: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت أبا قتادة [٤] ﷺ يقول: وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت النبى ﷺ يقول: (الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلاَّ من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره)[٥].

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة، فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس) [٦].

---

[١] سورة التوبة الآية ٥١.

[٢] تفسير أبو السعود٨/٢٢٠.

[٣] هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ينتهى نسبه إلى مرة بن كعب القرشى الزهرى، قيل اسمه عبد الله ، وقيل اسماعيل، وثقه أبو زرعه وقال: هو ثقة إمام وقال مالك كان عندنا من رجال أهل العلم، استعمله سعيد بن العاص قاضياً على المدينة حتى ٥٤ هـ، ت٩٤هـ (سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٤).

[٤] أبو قتادة الأنصارى الحارث بن ربعى السلمى فارس رسول الله ﷺ شهد أحداً والحديبية ، قال فيه النبى ﷺ "خير فرساننا أبو قتادة " استعمله علىﷺ على مكة ثم عزله بعد ذلك ت ٥٤هـ – وله سبعون سنة ( سير أعلام النبلاء ٤/٨٧ ، ٤/١٥٨ ).

[٥] صحيح البخارى ، كتاب التعبير ، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها ح ٧٠٤٤صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ح ٥٨٦٤.

[٦] صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ح ٥٨٦٥ ، صحيح البخارى ، كتاب التعبير باب القيد فى النام ح ٧٠١٧.

"ووجه إضافة الرؤيا المكروهة إلى الشيطان أنه يحضرها ويرتضيها ويسر بها"[١]. وفى هذين الحديثين إرشاد وتعليم لكيفية مواجهة تحزين الشيطان من هذا الجانب ومنه مايلى:

١- **التعوذ من شرها ومن شرالشيطان، قال الإمام حافظ بن حجر- رحمه الله تعالى-:** "وقد ذكر العلماء حكمة ذلك، فأما الإستعاذة من شرها فواضح، وهى مشروعة عند كل أمر يكره، وأما الإستعاذة من الشيطان فلما وقع فى بعض طرق الحديث أنها منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمى والتهويل عليه، وقال: وورد في صفة التعوذ من شر الرؤيا أثر صحيح أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، عبد الرازق بأسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعى قال: "إذا رأى أحدكم فى منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ: "أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياى هذه أن يصبنى فيها ما أكره فى دينى ودنياى "وورد فى الإستعاذة من التهويل فى المنام ما أخرجه مالك قال: "بلغنى أن خالد بن الوليد ﷺ قال: يارسول الله إنى أروع فى المنام فقال: قل أعوذ بكلمات الله التامات من شرغضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون"[٢].

٢- **التفل عن اليسار ثلاثاً حين يستيقظ،** قال ابن حجر: "قال عياض: وأما التفل فقد أمر به طرداً للشيطان الذى حضر الرؤيا المكروهة تحقيراً له واستقذاراً، وخصت به اليسار لأنه محل الأقذار ونحوها ثم قال: وقد ورد أى التفل بثلاثة ألفاظ وهى النفث، والتفل، والبصاق قال: والذى يجمع الثلاثة الحمل على التفل، فإنه نفخ معه ريق لطيف، فبالنظر إلى النفخ قيل له نفث، وبالنظر إلى الريق قيل له بصاق"[٣].

٣- عدم ذكرها والتحديث بها قال الإمام النووى- رحمه الله - : "وأما قوله ﷺ فى الرؤيا المكروهة، ولا يحدث بها أحداً فسببه أنه ربما فسرها تفسيراً مكروهاً على ظاهر صورتها، فيحصل له فى الحال حزن ونكد من سوء تفسيرها"[٤].

٤- الصلاة: لما ثبت عند البخارى- رحمه الله تعالى- من حديث ابن سيرين عن أبى هريرة ﷺ وفيه: (فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل) [٥].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥ /١٧.
(٢) فتح البارى ٢١٨/٢٦.
(٣) المرجع السابق.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/١٥والإمام النووى هو يحيى بن شرف بن مرى النووى أبو زكريا الحافظ القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء وصاحب التصانيف الكثيرة النافعة ت ٦٧٧هـ ( تذكرة الحفاظ للذهبى ١٤٧٠/٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٨/١٣ ).
(٥) صحيح البخارى ، كتاب التعبير ، باب القيد فى المنام حديث ٧٠١٧ ابن سيرين : هو الإمام شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن سيرين الأنصارى الآنسى البصرى ، مولى أنس بن مالك ﷺ أدرك ثلاثين صحابياً فأفاد

قال ابن حجر– رحمه الله– : "وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله تعالى واللجأ إليه، ولأن فى التحرم بها عصمة من الأسواء، وبها تكمل الرغبة، وتنجح الطلبة لقرب المصلى من ربه عند سجوده"(١).

٥- التحول عن جنبه الذى كان عليه لما أخرجه مسلم عن جابر يرفعه: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه) (٢).

قال **ابن حجر**– رحمه الله تعالى– : "وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التى كان عليها"(٣).

وقال **الإمام النووى**– رحمه الله – "ينبغى أن يجمع بين هذه الروايات، ويعمل بها كلها، فإذا رأى ما يكرهه نفث عن يساره ثلاثاً قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها، وليتحول إلى جنبه الآخر، وليصل ركعتين، وإن اقتصر على بعضها أجزأه فى دفع ضررها"(٤).

وقد نقل ذلك الإمام **ابن حجر** عن الإمام **القرطبي** قوله: "الصلاة تجمع ذلك كله، لأنه إذا قام فصلى تحول عن جنبه، وبصق ونفث عند المضمضة فى الوضوء، واستعاذ قبل القراءة، ثم دعا الله تعالى فى أقرب الأحوال إليه فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه"(٥).

**الوسيلة الخامسة: الخبط والمس**

قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾(٦).

فالقول الكريم بيان لحال آكلي الربا يوم القيامة عند بعثهم من قبورهم حيث يقومون قياماً كقيام المصروع الذى تخبطه الشيطان وصرعه، وذلك تمقيتاً لهم عند أهل المحشر.

قال **الجصاص** فى أحكام القرآن: "إنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل، فأبطله الله تعالى"(٧).

---

علماً جماً كان فقيهاً عالماً ورعاً أديباً كثير الحديث صدوقاً شهد له أهل العلم والفضل بذلك ، وهو صاحب التعبير ت١١٠هـ (سير أعلام النبلاء ٤٨٧/٥).

(١) فتح البارى ٢٦/ ٢١٩.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ح ٥٨٦٤.

(٣) فتح البارى ٢١٩/٢٦.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/١٥.

(٥) فتح البارى ٢٢٠/٢٦.

(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٧) أحكام القرآن ٦٤١/١ للإمام أحمد بن على أبو بكر الرازى الحنفى ، سكن بغداد ، وصنف " أحكام القرآن، شرح مختصر الطحاوى ، شرح الجامع الكبير" ت ٣٧٦ ، طبقات المفسرين للداوودى ٥٦/١ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

ومحل الغرض من الآية، وموضع الشاهد فيها: أن الحق سبحانه وتعالى- وهو العليم بما خلق- قد أثبت للشيطان خبطاً ومساً بهما يؤذى بنى آدم، والآية نص فى ذلك، إذ لا يجوز أن يشبه الله تعالى حال آكل الربا بشيء غير معروف ومعهود عند الناس، لاسيما وأن الغاية من التشبيه تقريب المعانى فى صورة محسة تدركها الحواس، كما لا يجوز أن يجارى القرآن ما زعمه العرب وما هو من كذباتهم إذ زعموا أن الشيطان يصرع الإنسان وإنما هو بإثباته الخبط والمس يؤكد حقيقة واقعة، وتظاهرت على إثباتها وتأكيدها أيضاً نصوص السنة الشريفة على نحو ما سيتبين- إن شاء الله تعالى – بعد بيان لمعنى الخبط والمس.

**والخبط فى اللغة:** الضرب الشديد. ففى **المختار الصحاح:** "خبط البعير الأرض بيده: ضربها، ومنه قيل: خبط عشواء وهى الناقة التى فى بصرها ضعف تخبط إذا مشيت لا تتوقى شيئاً ، وتقول: تخبطه الشيطان أى أفسده"[١].

والمس: الجنون، قال **صاحب اللسان:** "يقال: رجل ممسوس: به مس من الجن، ومُسمِس الرجل إذا تخبط وفى التنزيل:﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ والمس: الجنون"[٢].

وقال **الراغب:** "وكنى بالمس عن الجنون، قال تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ والمس يقال فى كل ما ينال الإنسان من أذى"[٣].

وجمهور العلماء على أن الصرع والمس من جهة الشيطان حقيقة واقعة كما صرحت بذلك الآية الكريمة بلفظها خلافاً لمن زعم أنه من فعل الطبائع وتأثير الأخلاط الرديئة تكون فى البدن، ولمن زعم كذلك أن هذا من زعمات العرب أى كذباتهم.

يقول **الإمام الشوكانى**- رحمه الله -: "فى هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الآية خارجة على ما كانت تزعمه العرب من أن الشيطان يصرع الإنسان- وليس بصحيح- وأن الشيطان لا يسلك فى الإنسان، ولا يكون منه مس"[٤].

---

[١] مختار الصحاح صـ ١٦٨ مادة خبط.
[٢] لسان العرب ١٠٢/٨.
[٣] المفردات صـ٤٨٣ .
[٤] فتح القدير ٢٩٥/١ ، وانظر مفاتيح الغيب للرازى ، ٩٦/١ ، والكشاف ٣٩٨/١ ، والطبرى ١٠١/٣.

وقال ابن تيميـــة- رحمه الله- : "وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة واتفاق سلف الأمـــة، وكذلك دخول الجن فى بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة، وهو أمر مشهود محسوس لمن تدبره، يدخل فى المصروع ويتكلم بكلام لا يعرفه، بل ولا يدرى به، بل يضـــرب ضـــرباً لـــو ضربه جمل لمات، ولا يحس به المصروع.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، وقوله ﷺ (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) [١] وغير ذلك يصدقه"[٢].

**ومن الأدلة على ثبوت ذلك من السنة ما يلى:**

١- ما جاء فى الصحيحين عن عطاء [٣] قال: قال لى ابن عباس- رضى الله عنهما- "ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: إنـــى أصـــرع، وإنى أتكشف فادع الله لى، قال ﷺ :إن شئت صبرت ولك الجنـــة، وإن شـــئت دعـــوت الله أن يعافيك؟ فقالت: أصبر، فقالت: إنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها"[٤].

قال **الحافظ بن حجر**- رحمه الله تعالى- : "وعند البزار[٥] من وجه آخر عن ابن عباس فى نحو هذه القصة أنها قالت: "إنى أخاف الخبيث أن يجردنى فدعا لها ، فكانت إذا خشـــيت أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتتعلق بها"[٦].

٢- دعاء النبى ﷺ فى استفتاح الصلاة حيث يقول: "اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه، قيل: ما همزه ونفثه ونفخه؟ قال أما همزه: فالموتة، وأما نفثه فالشعر وأمـــا نفخه فالكبرياء"[٧].

---

[١] أخرجه البخارى – كتاب الإعتكاف – باب زيارة المرأة زوجها فى اعتكافه ( رقم ١٩٣٣) ، ومسلم – كتاب السلام – باب بيان إنه يستحب لمن رئى خالياً بامرأة وكانت زوجته ( رقم ٢١٧٥).

[٢] مجموع الفتاوى المصرية صـــ ٥٨٤.

[٣] هو أبو محمد عطاء بن رباح القرشي المكي فقيه فاضل، قال محمد بن عبد الله الديباج: ما رأيت مفتياً خيراً من عطاء ت ١٤٤هـــ (التهذيب ١٧٩/٧، التقريب ٢٢/٢).

[٤] صحيح البخارى ، كتاب المرضى ، باب فضل من يصرع من الريح ح ٥٦٥٢ ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ح ٦٥١٦.

[٥] الشيخ الإمام الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار، صاحب المسند الكبيـــر، قال الدر القطنى : ثقة يخطىء ويتكل على حفظه، وجرحه النسائى، وقال أبو أحمد الحـــاكم يخطـــىء فـــى الإسناد والمتن ت ٢٩٢ هـــ ( سير أعلام النبلاء ١١/ ٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٦٥٣/٢ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط دار الفكر العربي).

[٦] فتح البارى ١٠/ ٩١.

[٧] الإمام أحمد في المسند ٨٠/٤، ٨١، سنن الترمذي/ ك أبواب الصلاة/ باب ما يقال عند افتتـــاح الصـــلاة ح ٢٤٢، سنن أبي داود / ك الصلاة/ باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ح ٧٦٤، ســـنن ابـــن ماجـــة / ك الإقامة / باب الاستعاذة في الصلاة ح ٨٠٧، ٨٠٨، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقة الذهبي ح ٨٦١.

قال فى اللسان: قال أبو عبيدة: الموتة: الجنون"[١].

٣- عن أبى اليسر ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ يدعو : (اللهم إنى أعوذ بك من الهرم والتردى والهدم والغم والحريق والغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأن أقتل فى سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك أن أموت لديغاً) [٢].

٤- وعن يعلى بن مرة عن أبيه ، قال وكيع عن أبيه " إن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ معها صبى لها به لمم - أى جنون وصرع - فقال النبى ﷺ "أخرج عدو الله أنا رسول الله، قال : فبرىء، قال: فأهدت إليه كبشين وشيئاً من سمن وأقط، قال : فقال النبى ﷺ: خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر "قال الهيثمى فى الزوائد رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح "[٣].

وبهذا تم إثبات التخبط والمس من الشيطان للإنسان من القرآن والسنة.

**الوسيلة السادسة : الإنساء**

وهو مصدر أنسى ينسى، يقال: أنساه الشىء: جعله ينساه فيذهل عنه ولا يذكره أو يتركه وقد جاء هذا الفعل فى القرآن الكريم مسنداً إلى الشيطان أو ضميره فى أربعة مواضع، يظهر منها أثر هذه الوسيلة فى الكيد للمؤمنين، حيث يجتهد اللعين فى إنسائهم ما أمروا به قصداً لتفويت منفعة، وأيضاً ما نهوا عنه قصداً لإيقاعهم فى مضرة.

**ومن ذلك ما يلى :**

**الموضع الأول :**

إنسائهم النهى عن مخالطة الظالمين الخائضين فى آيات الله تعالى كفراً واستهزاء، وجاء ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [٤]

فنهى الله سبحانه وتعالى فى الآية الأولى النبى ﷺ والمؤمنين عن مجالسة الخائضين فى آياته عز وجل، "وأصل الخوض المشى فى الماء ثم استعمل فى مطلق التفاوض فى الحديث"[٥] وأريد به هنا التكلم بالباطل كفراً واستهزاءً كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي

---

[١] لسان العرب ٢٩٣/٧.
[٢] سبق تخريجه.
[٣] مجمع الزوائدومنبع الفوائد ، للهيثمى ٦/٩ لنور الدين الهيثمى ت ٨٠٧ هـ مكتبة القدس.
[٤] سورة الأنعام الآيتان ٦٨ - ٦٩
[٥] المعجم الوجيز صـ ٢١٤

الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (١)

"فبينت هذه الآية أن الخوض المراد هو التكلم فى آيات الله تعالى المنظورة والمسطورة بالكفر والإستهزاء ، ثم بين سبحانه أن على من جالسهم من المؤمنين ابتداء أو بقاء ناسياً النهى ثم تذكر أن يقوم ولا يدوم على مجالستهم فقال تعالى :﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ والمراد بالذكرى : التذكر، وعبر بالمظهر فى موضع الإضمار تفظيعاً لعملهم ، وتسجيلاً للظلم عليهم ، وفيه من التنفير من مخالطتهم مالا يخفى.

كما بينت الآية الثانية أن ليس على المتقين لخوضهم شيء من التبعة والإثم ، ولكن عليهم تذكير هؤلاء المشركين بفساد وسوء عاقبتهم لعلهم يتوبون إلى الحق ويتوبون عن الخوض بالباطل فيتقونه". (٢)

وقد ثبت الله تعالى المؤمنين فى مواجهة هذه المحاولة الشيطانية بما خص به هذه الأمة من عدم مؤاخذتها بالنسيان الذى هو الذهول عن الشيء والغفلة عنه ، وليس الذى بمعنى الترك، فإن الأول يرد عليه العذر والثانى يرد عليه الذم.

فالمقصود بعدم المؤاخذة على النسيان إعذار المؤمنين ورفع الإثم مع ضرورة الإلتزام بالتكليف أمراً ونهياً وعلى هذا المعنى يحمل ما جاء فى الصحيح " عن أبى هريرة ﷺ "أن النبى ﷺ لما قرأ :﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾(٣) قال الله ﷻ: نعم قد فعلت"(٤).

ووجهه كما بينه العلامة الشنقيطى – رحمه الله – : " أنه لو كان ذلك معفواً عند جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الإمتنان وتعظيم المنة عظيم موقع"(٥)

**الموضع الثانى :**

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٦)

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٠

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٢٩٢/٧ وما بعدها

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٤) أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عنه حديث النفس ح ١٢٦.

(٥) أضواء البيان للشنقيطى ٥٦٦/٤

(٦) سورة يوسف الآية ٤٢

والآية تقص طرفاً من قصة يوسف – عليه السلام – وهو فى السجن حيث قال لأحد الفئتين اللذين سجنا معه واستعبراه ما رأيا ، فقال للذى علم نجاته منهما – وهو الساقى – اذكر حالى وقص خبرى عند سيدك عساه يرفع ظلماً وقع علي ، فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ، وهو محل الغرض من الآية المباركة ، حيث إن الشيطان بإنسائه يوسف – عليه السلام – أو الساقى – على قولين تسبب فى بقاء يوسف فى السجن بضع سنين.

قال الإمام **ابن كثير** : "وكان ذلك من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبى الله من السجن"[١]

ويقول **الإمام القرطبى** : "قيل أما النسيان فلا عصمة للأنبياء عنه إلاَّ فى وجه واحد، وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغونه فإنهم معصومون فيه ، وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً ، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم. "[٢]

**الموضع الثالث :**

قول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [٣]

"والآية تقص طرفاً من قصة موسى– عليه السلام – حيث جاوز وفتاه مجمع البحرين، وهو المكان الذى وقته الله تعالى ملتقى له مع العبد الصالح – عليهما السلام– وجعل له علامة على ذلك حياة الحوت بعد موته ، وكان فى مسيره إلى هذا المكان لا يجد تعباً ولا نصباً ، فلما جاوز الموضع المحدد – وكانا قد فقد الحوت – أحس بالتعب ، والجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، فتذكر الفتى ، وأخبر موسى– عليه السلام – بما كان من أمر حياة الحوت واضطرابه ونزوله البحر ، وأشار عليه لو رجعا إلى حيث فقد الحوت معتذراً بنسيانه الذى تسبب فيه الشيطان ، فعادا يقصان الأثر حتى بلغا الموضع فوجدا الخضر عليه السلام"[٤].

ومحل الغرض من الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ والمعنى : وما أنسانى أن أذكر لك نبأ الحوت إلاَّ الشيطان ، ومن هنا يظهر كيد الشيطان لهما بإنسائه أمر الحوت وقد كان علامة على ما يبغيان ، فأصابهما من جزاء ذلك التعب والنصب ، ونالهما

---

[١] مختصر ابن كثير ٢/٢٥١
[٢] تفسير القرطبى ٤/٢٥١٨
[٣] سورة الكيف الآية ٦٣
[٤] القصة بتمامها أخرجها البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله : فلما بلغ مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا ح ٤٧٢٦

الجوع أيضاً ، وأسند النسيان لهما معاً لأن الغلام نسى أن يخبر موسى – عليه السلام – بأمره ، ونسي موسى – عليه السلام – أن يستخبره عنه.

ويضيف **صاحب التحرير** وجهاً آخر من كيد الشيطان في هذا الحدث فيقول : " ومع كون المنسى أعجوبة شأنها ألاَّ تنسى ، يتعين أن الشيطان ألهاه بأشياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب ، وعلم يوشع أن الشيطان يسوءه التقاء هذين العبدين الصالحين، لما له من الأثر في بث العلوم الصالحة ، فهو يصرف عنها ولو بتأخير وقوعها طمعاً في حدوث العوائق"[١].

**الموضع الرابع :**

قول الله تعالى :﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ [٢]

"والإستحواذ : استفعال من حاذ حوذاً إذا أحاط شيئاً وصرفه كيف يريد ، يقال : حاذ العير إذا جمعها وساقها غالباً لها ، فاشتقوا منه استفعل للذى يستولى بتدبير ومعالجة، ولذلك لا يقال استحواذ إلاَّ في استيلاء العاقل لأنه يتطلب وسائل استيلاء "[٣]

والمراد بالنسيان لازمه وهو الترك والإعراض ، وهذه الآية مسوقة في مقام إنكار الله تعالى على المافقين موالاتهم لليهود ، وواقعهم أنهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ولذلك فإنهم يتقون انكشاف أمرهم بالحلف الكاذب ، بسبب استيلاء الشيطان عليهم ، وغلبته على قلوبهم فأنساهم أوامر الله وزواجره ، وأوهمهم أن أيمانهم الفاجرة، تروج بين يدى الله ﷻ في الآخرة كما كانت تروج في الدنيا ، فوقعوا بسبب ذلك في الخسران المبين حيث اشتروا الدنيا بالآخرة والنار بالجنة ، وهذا ما تغياه الشيطان من أتباعه كما أخبر بذلك الحق سبحانه في قوله : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [٤]

ووراء هذه المواضع الأربعة التى أسند الإنساء فيها صراحة إلى الشيطان ، هناك مواضع أخرى بدت فيها هذه الوسيلة الشيطانية ، وبدا أثرها السيء ، وأوردها الحق سبحانه في القرآن العظيم مورد التحذير والإنذار ، وذلك مثل قوله سبحانه : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[٥]، وقوله سبحانه :﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا

---

[١] التحرير والتنوير ٣٦٧/١٥
[٢] سورة المجادلة الآية ١٩
[٣] التحرير والتنوير ٢٨ / ٥٤ ، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ١٣٠/٢
[٤] سورة فاطر الآية ٦
[٥] سورة التوبة الآية ٦٧

كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [١] وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[٢]

ونظائر ذلك كثير ، وسواء كان معنى النسيان الإعراض والترك ، أو كان الذهول والغفلة عن الشيء فإن مرد ذلك كله إلى الشيطان تسبباً ، وهو من الله تعالى معاملة للعبد المعرض معاملة المنسى من رحمته وتركه للعقاب وهو من باب المشاكلة اللفظية كما فى قوله سبحانه : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ونظائره ، فلما زين لهم الشيطان من الدنيا ما جعلهم يعرضون عن النافع المفيد حرصاً على ما هو الأصل فى الخسران والبوار أعرض الله عنهم وتركهم للعقاب.

**وبعد**

فمما سبق يتضح لنا مدى عناية القرآن الكريم واهتمامه بالكشف عن خطة الشيطان فى الكيد لبنى آدم – لا سيما المؤمنين – لأنهم هم المنتفعون بالقرآن الكريم وهداياته.

فلقد جلى القرآن الكريم غاية اللعين التى تغياها ، وساقها واضحة صريحة على لسانه إذ قال : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٣].

ثم بين القرآن الكريم آداة الخطاب التى يتوجه بها إلى النفس البشرية ، وهى الوسوسة ، وبين أنها درجات متفاوته من حيث الشدة واللين ، بما يتناسب مع طبيعة النفس البشرية وقوتيها الشهوانية والغضبية فهناك الوسوسة ، الإيحاء ، الإستفزاز بالصوت وهناك أيضاً النزغ والأز والهمز.

**وأخيراً** : بين القرآن الكريم وسائله فى الكيد وأنها من التنوع بحيث تحقق ما أقسم عليه اللعين من محاصرة النفس البشرية إذ قال : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [٤]

**ومن هذه الوسائل :**

القعود والترصد، التزيين والتحسين، التخويف والإرجاف ،التحزين بالنجوى، الخبط والمس والإنساء.

---

[١] سورة الأعراف الآية ٥١
[٢] سورة طه الآية ١٢٦
[٣] سورة ص الآيتان ٨٢-٨٣
[٤] سورة الأعراف الآية ١٧

ومن قبل كشف لنا عن أسمائه وأوصافه واتضح أنها غاية فى القبح والسوء ، وهذا وذاك كاف فى التحذير من كيده واتقاء شره وَشَرَكِه ، ولكن القرآن الكريم نظراً لخطورة الشيطان ووسوسته يصف الدواء القالع والعلاج الناجع لكل هذه الوسائل الكيدية بما يحبط أثرها ويدفع شرها ، وهذا ما سأتحدث عنه فى الخطوة الثالثة تحت عنوان :

**معونة الله تعالى لعباده المؤمنين فى مواجهة الكيد الشيطانى**

obeikandl.com

# المبحث الثالث

# تقرير معونة اللّه تعالى لعباده المؤمنين فى مواجهة الكيد الشيطانى

obeikandl.com

# معونة الله تعالى لعباده المؤمنين في مواجهة الكيد الشيطانى

## مُقَدِّمَة

إن الصراع بين الخير والشر، بين الإنسان والشيطان بدأ منذ اللحظة التى خلق فيها آدم – عليه السلام – وواجه التحدى السافر من إبليس ذلك الذى طرد من رحمة الله تعالى بسبب خلق آدم – عليه السلام – ولذا فإن الله تعالى حذر بنى آدم من عدوهم هذا وبين أنه يسرى بينهم مسرى الدم فى العروق ، وأنه يستجلب عليهم رجله وخيله وكل ما أوتى من قدرة على الغواية والإفساد ، ولحكمة أرادها الله ﷻ نسى آدم كل هذه التحذيرات وأكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها وأحس لأول مرة بمرارة العصيان والذنب ، ونظر إلى نفسه وزوجه ورأى أثر ذلك واضحاً عليهما وهو ظهور سوأتيهما وفزعا إلى أوراق الشجر يقطفان ويستران عورتيهما ، ولكن قبل أن يدركهما اليأس كانت عناية السماء قد أدركتهما.

ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق معه عوامل الخير والشر وجعله مزيجاً من خلقين متمايزين هما الملائكة والشياطين.

**فالملائكة** : مخلوقات نورانية لا تعصى الله مطلقاً لأن الله ﷻ انتزع منها عوامل الشر والمعصية فلا قدرة لهم على ارتكابها قال جل شأنه : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١)

**والشياطين** : مخلوقات شر نزعت منها عوامل الخير ، فهم دائماً على الشر وحب المعصية ولا قدرة لهم على غير ذلك ، وقد سلط الله تعالى هذه المخلوقات على الشر وجعل لهم القدرة على الغواية إلاَّ المتقين من عباده ، فقد عصمهم وأعجز الشياطين عن التغلب عليهم وحذر عباده منهم ومن اتباعهم منذ خلق آدم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾(٢)

---

(١) سورة التحريم الآية ٦
(٢) سورة الإسراء الآية ٥٣

**أما الإنسان :** فإنه جمع بين الصفتين وطبيعة الخلقين ، فهو ملاك إذا صلح بل قد يفوق الملاك منزلة إذا استطاع أن يتغلب بروحه وفطرته التى فطر الله الناس عليها على الشيطنة وعوامل الشر فى داخله ، لأن ذلك يكون منه اكتساب وقدرة بينما هو فى الملائكة طبيعة جبلوا عليها ولم يكتسبوها ، وقد يفوق الإنسان أيضاً الشيطان مكراً ودهاء وفسقاً وفجوراً وحينئذٍ يكون شيطاناً فى صورة إنسان قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[١]

ألم يقل ذلك الإنسان يوماً﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[٢] ألم يقل ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [٣]

أقوال كثيرة وأفعال شريرة سابق بها الشياطين وحلق بها فى عالم المعصية والشر مثلما حلقت الشياطين.

ولأن طبيعة الإنسان مزج بين روحانية الملائكة وشيطانية الشياطين فقد دعاه الله تعالى إلى التوبة والرجوع إليه وطلب الهداية منه لأنه الكفيل بها يمنحها من يشاء ويمنعها عمن يشاء قال تعالى :﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [٤]

وهو بهذا يرشدنا إلى عوامل النجاة والفوز فى سباق رهيب وصراع مرير بين عوامل الخير والشر فى داخل الإنسان.

**ولقد قرر القرآن الكريم ذلك وبينه من وجوه:**

**الوجه الأول : تقرير عداوة الشيطان العريقة للإنسان :**

فلقد بين القرآن الكريم عراقة هذه العداوة ، وأنها تمتد بجذورها إلى الإنسان الأول أبيهم آدم – عليه السلام – تلك التى ظهرت آنذاك فى حقد اللعين على أدم – عليه السلام– إذ جعله الله خليفته فى الأرض ، وعلمه وأسجدله ملائكته، ثم وقع ما وقع من الوسوسة حتى أزله وزوجه حواء فأخرجا من الجنة ، وقضى الله تعالى بأن يهبطوا إلى الأرض لتبدأ حياة من العداء والصراع الذى لا يتوقف إلى يوم يبعثون ، وفى ذلك يقول الله تعالى

---

[١] سورة الأنعام الآية ١١٢
[٢] سورة البقرة الآية ٢٥٨
[٣] سورة النازعات الآية ٢٤
[٤] سورة الكهف الآية ١٧

: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۞ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (١)

ثم بعد أن وقعت الوسوسة لهما فأكلا من الشجرة عاتبهما الله ﷻ مذكراً بهذه العداوة فقال﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢) ثم حكم سبحانه بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ﴿ قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾(٣)

"والأمر بالهبوط لآدم وحواء وإبليس ، ووجه إدخاله فى الأمر بيان أنهم قرناء أبداً، وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ جملة حالية من فاعل ﴿اهْبِطُوا﴾ والمعنى: اهبطوا حالة كونكم متعادين فى الأرض إلى حين انقضاء آجالكم. (٤) "

وكما قرر القرآن الكريم عداوة اللعين لآدم –عليه السلام – وبين أثرها – قرر كذلك عداوة الشيطان لذريته كما جاء فى هذا النداء العام :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٥)

ففى هذا النص الكريم ينهى الله سبحانه إلى الناس كافة نبأ حقية وعده بوقوع يوم الجزاء، ومن ثم حذرهم فتنة الحياة الدنيا والتلهى بها وبزخارفها، كما حذرهم فتنة الشيطان الذى يغرهم ويمنيهم بسعة رحمة الله تعالى وشمول عفوه ﷻ وغير ذلك ، وعلل هذا النهى بتقرير وتأكيد عداوته لهم فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ وقدم الجار والمجرور للإهتمام به ، واللام فيه للإختصاص فكأنه سبحانه وتعالى يقول : إن الشيطان قد اختصكم يابنى آدم بعداوته .

---

(١) سورة طه الآيتان ١١٦- ١١٧
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٢
(٣) سورة الأعراف الآية ٢٤
(٤) تفسير العلامة أبى السعود ٣/٢٢١ بتصرف
(٥) سورة فاطر الآيتان ٥-٦

يقول **صاحب التحرير**: "تلك عداوة فى جبلته كعداوة الكلب للهرة، لأن جبلة الشيطان موكولة بإيقاع الناس فى الفساد وأسوأ العواقب فى قوالب محسنة مزينة. "[١]

ويقول **الدكتور / محمد حجازى**: "فاتخذوه فى كل أعمالكم وأحوالكم الظاهرة والخفية وناصبوه العداء فى سركم وجهركم ... احذروا الشيطان ، ولا تتبعوا خطواته فإنما يدعو حزبه ليوردهم موارد الهلكة وليوقعهم فى حبائله التى تقذف بهم فى نار جهنم يتلظون بسعيرها وما لكم لا تسرعون فى البعد عن حزب الشيطان والدخول فى حزب الرحمن . "[٢]

وهذا التقرير لعداوة الشيطان كاف فى وجوب معاداته ، إلاَّ أن الله تعالى تأكيداً منه لهذا المعنى أمر فقال : ﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ وهذا الأمر يستلزم العمل بخلاف ما يدعوا إليه تجنباً لمكائده ، ودحراً وإغاظة له بالأعمال الصالحة ، ثم زاد الكلام تأكيداً ببيان علة الأمر فى أسلوب من القصر فقال سبحانه ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أى ما يدعوهم إلاَّ للصلى فى ناتر جهنم ، فهو كقوله سبحانه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [٣]

وكقوله سبحانه يبكت أولياء الشيطان ويقرعهم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۞ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[٤]

ولقد بلغ اهتمام القرآن الكريم بتقرير هذه العداوة حداً صار معه كأنه من عادات القرآن الكريم عند سوق الأمر والنهى والتوجيه بالقصص القرآنى ونحو ذلك ، فكثيراً ما يذيل الآيات الواردة فى مثل هذا الشأن بتقرير هذه العداوة ، وإيراده مورد العلة للإلتزام بما جاء فى حيز الآية من أمر أونهى أ و توجيه ، ومن ذلك على سبيل المثال قول الله

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٢/٢٦٠

(٢) التفسير الواضح د / محمد محمود حجازى ٣/ ١٥٥ دار التفسير للنشر والتوزيع الزقازيق مصر ط العاشرة ١٩٩٢م

(٣) سورة الحج الآية ٤

(٤) سورة يس الآيات ٦٠-٦٤

تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [٢] وقوله سبحانه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٣] وقوله ﷻ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٤]

ولذا فقد أنكر سبحانه على من يتخذ الشيطان ولياً بعد هذا التقرير والبيان فقال سبحانه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٥]

فقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ جملة حالية مقررة لمضمون الجملة قبلها من الإنكار على من اتخه ولياً من دون الله سبحانه ، بمعنى أنه لا يتأتى ذلك الإتخاذ مع كون الشيطان وذريته لكم عدو.

ومن ثم حكم الله تعالى على أولياء الشيطان بالخسران المبين فقال :﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[٦]، وقال سبحانه :﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٧]

وهكذا كانت إرادة الله ﷻ في خلق الإنسان ونقيضه ونعنى به الشيطان وفرض عليهما الصراع ما بقيت الدنيا مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

**الوجه الثاني : تأكيد ضعف الكيد الشيطاني.**

إن القرآن الكريم إذ يقر عداوة الشيطان للإنسان ، فإنما يؤكد ضعف كيده ، وذلك من باب معونة الإنسان في مواجهة هذا الكيد ، وقد جاء بيان ذلك في قول الله

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٨
(٢) سورة الزخرف الآية ٦٢
(٣) سورة يوسف الآية ٥
(٤) سورة القصص الآية ١٥
(٥) سورة الكهف الآية ٥٠
(٦) سورة النساء الآية ١١٩
(٧) سورة المجادلة الآية ١٩

تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١)

فالآية الكريمة تؤكد ضعف الكيد الشيطاني وتبرز سبب ذلك الضعف والذى يتمثل فى تمييز الغاية من القتال عند المؤمنين عنها عند الكافرين أولياء الشيطان ، فالمؤمنون يقاتلون فى سبيل إقرار الحق فى الأرض، كما قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٢)

وهذا الحق هو مقتضى الفطرة البشرية ، فضلاً عن كونه سنه من السنن الكونية التى تنبنى عليها الحياة الطيبة ، بينما يقاتل أولياء الشيطان فى سبيل الإغواء والإضلال والإفساد فى الأرض ، وهى غاية مصادمة للفطرة البشرية ولسنن الكونية كذلك ، ومن ثم كان الكيد ضعيفاً.

ولذا جاء تذييل الآية مؤكداً هذه النتيجة فى صراحة فقال :﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ والتعبير بـ (كان) لتأكيد هذا الضعف وعراقته فمنذ كان الكيد الشيطانى فهو ضعيف.

يقول **العلامة أبو السعود** – رحمه الله –: " وفائدة إدخال كان فى أمثال هذه المواقع التأكيد ببيان أنه منذ كان كان كذلك"(٣). فالمعنى : إن كيد الشيطان منذ كان موصوفاً بالضعف .

ومما يبرز ضعف الكيد الشيطانى أيضاً ما وصفه الله تعالى به من كونه خناساً كما جاء فى قوله تعالى :﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾(٤)،" والخناس : مبالغة من خنس إذا اختفى بعد ظهور وتأخر وانقبض "(٥).

---

(١) سورة النساء الآية ٧٦
(٢) سورة الحج الآية ٤١
(٣) تفسير أبى السعود ٢٠٢/٢
(٤) سورة الناس الآية ٤
(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١٩١/٢ ، وانظر مختار الصحاح صـ ١٩١

والإتيان بصيغة المبالغة للإيذان بأن هذه عادته بل صفته فهو دائم الوسوسة دائم الخنس إذا ذكر العبد ربه والتجأ إليه تأخر ورجع عن وسوسته.

وإبراز هذا الضعف وتأكيده على نحو ما تبين فيه توهين لأمر الشيطان عند المؤمنين ، وهذا يستتبع تقويتهم وتثبيتهم فى مواجهة كيده.

**الوجه الثالث : النهى عن اتباع خطوات الشيطان**

**وقد جاء ذلك فى عدة مواضع :**

**١- النهى عن اتباع خطوات الشيطان فى تحريم ما أحل الله تعالى :**

قال الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] ونظيرها قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٢]

ذكر **الإمام ابن جرير** – رحمه الله – : فى الآية الأولى أنها نزلت فى المشركين حرموا على أنفسهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأسند ذلك إلى ابن عباس – رضى الله عنهما – وذكر نحوه **الإمام أبو السعود** – رحمه الله.

**وقال الواحدى** – رحمه الله- "ونزلت فى ثقيف وخزاعة وبنى عامر بن صعصعة ، وبنى مدلج حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام"[٣]

والآية من وراء سبب النزول عامة فى المخاطبين وموضوع الخطاب كما هو مقرر من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فأما أنها عامة فى المخاطبين فواضح من التعبير بلفظ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ، وحظ المؤمنين منها العظة والإعتبار والحث على الثبات على منهج الله تعالى فى التشريع كما هو الحال فى الإعتقاد وذلك صوناً لهم من الإستدراج من هذا الباب ، وأما أنها عامة فى موضوع النداء فيتضح من أن المقصود

---

[١] سورة البقرة الآيتان ١٦٨-١٦٩

[٢] سورة الأنعام الآية ١٤٢

[٣] تفسير الطبرى ٢/ ٤٦ ، وتفسير أبى السعود ١/ ١٨٧ ، وأسباب النزول للواحدى صـ ٢٩.

من الأمر بالأكل عموم الإنتفاع بكل ما هو طيب حلال فى المطاعم والمشارب والمناكح وغيرها ، وإنما عبر بالأكل لتكرره وشدة الحاجة إليه ، ولأنه داعية الحركة والباعث عليها غالباً وبالجملة فهو من أعظم ما يقصد.

والآية فى موضعها من السياق تقرر علاقة التشريع بالعقيدة فهو فرع عنها، فقد قررت الآيات السابقة على هذه الآية وحدانية الله تعالى، وهذه تقرر أن المرجع فى التشريع تحليلاً وتحريماً لا يكون إلاّ إلى الله تعالى ومن ثم جاء النهى عن اتباع خطوات الشيطان فإنه يستدرج الإنسان من باب التشريع كما لا يستدرجه من باب الإعتقاد.

"والخطوات: جمع خطوة، وهى بالضم: ما بين قدمى الماشى، وبالفتح: المرة من الخطو "[1] والمقصود منها : بيان أن الشيطان لا يأخذ الإنسان إلى المعصية دفعة واحدة، وإنما يسوغها له شيئاً فشيئاً المرة بعد المرة. وعلل النهى عن إتباع خطوات الشيطان بتأكيد عداوته وظهورها فقال: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أى إنه قد اختصكم بعداوته ثم بين كيفيتها وأنها تنحصر فى الأمر بالسوء والفحشاء ، وفى التقول على الله تعالى بما لا علم لهم به أنه يحبه ويرضاه.

والمراد بالأمر: الوسوسة ، وإنما عبر عنها بالأمر لبيان مدى تأثرهم بها حتى نزلوا من الشيطان منزلة المأمور من الآمر ، والسوء : ما يسوء فاعله ويراد به عموم المعصية.

والفحشاء : اسم لما هو مستفحش طبعاً وشرعاً من الأقوال والأفعال ، من قولهم : فحش الأمر إذا تجاوز الحد المعروف ، وأفحش الفحش الإفتراء على الله تعالى ، فقوله سبحانه﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ من باب عطف الخاص على العام تنبيهاً عليه واهتماماً به.

ويظهر من النظم الكريم فى هذه الآية طريقة الشيطان فى الترقى بالإنسان واستدراجه من حال إلى حال أشد فهو أولاً يغريه بالمعصية بوجه عام ، ثم إذا رأى منه تجاوباً له وتجاذباً لتزيينه ، استدرجه إلى أشد المعاصى وهى الكبائر ، ثم لا يزال به حتى يوقعه فى أكبر الكبائر وهو الشرك بالله تعالى والإفتراء عليه ، ثم يعلن البراءة منه زاعماً

---

[1] المعجم الوجيز صـ٢٠٤

الخوف من الله تعالى على نحو ما قال الحق سبحانه وتعالى :﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

"وهكذا يفضحه الله تعالى بهذا البيان ونظائره ، فلم يبق مسلم تروج عليه تلبيساته حتى في حال اتباعه لخطواته فهو يعلم أنه وساوسه المضرة ، إلاَّ أن تغلبه شهوته وضعف عزيمته ورقة ديانته. "(٢)

**٢- النهي عن اتباع خطوات الشيطان في تبعيض الدين :**

قال تعالى : :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٣)

ذكر **الواحدى** عن عطاء عن ابن عباس – رضى الله عنهم – قال : " نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه ذلك أنهم حين آمنوا بالنبى ﷺ فآمنوا بشرائعه وشرائع موسى عليه السلام فعظموا السبت وحرموا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون ، فقالوا : إنا نقوى على هذا وهذا ، وقالوا للنبى ﷺ : إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها فأنزل الله تعالى هذه الآية. "(٤)

وعلى ذلك فالخطاب في الآية لمؤمنى أهل الكتاب ، ووجه أمرهم بالدخول في الإسلام كافة هو الإكتفاء بما جاء به النبى ﷺ: "إذ أن معنى كافة : اسم لجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعاً ".(٥)

والمعنى: "ادخلوا في الإسلام كافة ففيه الغناء عما يخالفه، وليس المؤمن بما جاء به النبى ﷺ محتاجاً بعد أن يعبد الله بشيء خارج عنه شعائره وشرائعه.

وقيل: إن الخطاب في الآية للمنافقين حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، ذكره الإمام القرطبى وعزاه إلى الإمام الطبرى رحمه الله"(٦) ووجه أمرهم بالدخول في الإسلام

---

(١) سورة الحشر الآية ١٦
(٢) التحرير والتنوير ١٠٤/٢ بتصرف
(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٨
(٤) أسباب النزول للواحدى صـ ٣٧
(٥) تفسير أبى السعود ٢١٢/١
(٦) تفسير القرطبى ٩٣٧/١

كافة واضح وظاهر ، فكأن الله تعالى يأمرهم أن يحققوا فى أنفسهم الإيمان باطناً وظاهراً اعتقاداً وعملاً.

وقيل: بل إن الخطاب لعموم المؤمنين، وقد ذهب إليه الإمام **ابن كثير**– رحمه الله – حيث قال عند بيانه لهذه الآية : " يأمر الله تعالى عباده المؤمنين ، المصدقين برسوله ﷺ أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع اوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك "[١].

وفيه تحذير من تبعيض وجعله عضين ، فهو أمر لهم بالإعتصام ولزوم الجماعة فهو كقوله سبحانه: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [٢]

ولما كان التفرق مذهبة لريح الأمم كما قال الله سبحانه وتعالى ينهى عن ذلك :﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[٣].

ولما كان تبعيض الدين مجلبة للخزى فى الدنيا ، وموجباً للعذاب الشديد فى الآخرة كما قال الحق سبحانه ينكر على بنى إسرائيل وقوعهم فى ذلك: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٤]

ولما كان هذا وذاك مما يغرى به الشيطان حيث إنه –عليه اللعنة – ينزغ بين عباد الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٥]

وأيضاً حيث إنه يسول لهم اتباع الكافرين فى بعض كفرهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۞

---

[١] مختصر ابن كثير ١/١٨٥
[٢] سورة آل عمران الآية ١٠٣
[٣] سورة الأنفال الآية ٤٦
[٤] سورة البقرة الآية ٨٥
[٥] سورة الإسراء الآية ٥٣

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[١]

نظراً لذلك كله أعقب الله تعالى أمره المؤمنين بالدخول فى الإسلام كافة بنهيهم عن اتباع خطوات الشيطان فيما يسوله لهم من التفرق فى جماعتهم والتفريق فى دينهم ، وعلل سبحانه ذلك بقوله :﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ فعداوته واضحة فى صورتها وغايتها بحيث لا ينساها غافل ولا غفلة مع الإيمان.

ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلى العظيم فلقد صدق إبليس ظنه على المؤمنين فى هذا الزمان فتفرقت جماعتهم وفرقوا دينهم ، وصار معيار الرقى والتحضر فيهم يتمثل فى مدى متابعتهم لأعدائهم فنسأل الله تعالى العفو والعافية ، ونعوذ بالله من فتن هذا الزمان ما ظهر منها وما بطن.

**٣- النهى عن اتباع خطوات الشيطان فى إشاعة الفاحشة :**

قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢]

"نزلت هذه الآية المباركة تعقيباً على حادثة الإفك ، وفيها ينادى الله تعالى المؤمنين بوصف الإيمان تذكيراً لهم بأجل النعم عليهم وما تقتضيه من الإلتزام بما فى حيز النداء من الإنتهاء عن اتباع خطوات الشيطان ، ثم حذر من هذا الإتباع ونفر منه فقال : ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ ، وأظهر فى موضع الإضمار فقال :﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ولم يقل ومن يتبعه أو يتبعها لمزيد التنفير والتحذير .

والضمير فى قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ﴾ عائد إما إلى الشيطان ، ويكون المعنى : ومن يتبع خطوات الشيطان ﴿فَإِنَّهُ﴾ -أى الشيطان- يأمر بالفحشاء والمنكر ، أو ومن يتبع خطوات الشيطان فقد ارتكب الفحشاء والمنكر فإنه -أى الشيطان- لا يأمر إلاَّ بهما، وإما

---

[١] سورة محمد ﷺ الآيتان ٢٥-٢٦

[٢] سورة النور الآية ٢١

أن الضمير يعود إلى (من) والمعنى : ومن يتبع خطوات الشيطان فإن المتبع يأمر بالفحشاء والمنكر ، فكأنه صار رأساً في الضلال حيث يسعى في إضلال غيره بعد أن ضل في نفسه ، وهذا الأخير أعمق في الدلالة على خطورة اتباع خطوات الشيطان وأبلغ في التحذير والتنفير من ذلك.

ويختم الله تعالى الآية بتقرير ما بدأها به من التذكير بنعمة الإيمان وبفضله سبحانه على المؤمنين فقال : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ ذلك أن فتنة الشيطان عظيمة ، والإنسان خلق ضعيفاً ، فلولا فضل الله تعالى أن بين لهم ما يتقون ، وأرشدهم إلى التوبة ، وقبلها منهم وشرع من الحدود والعقوبات ما يطهرهم ، لولا ذلك ما سلم أحد من فتنة الشيطان وكيده.

وقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ تذييل مقرر لمضمون الآية ، فالله ﴿سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم والتي من جملتها كلمة القذف وما في حكمها مما يهيء لذيوع الفاحشة وانتشارها ﴿عَلِيمٌ ﴾بما تجنه قلوبكم من محبة ذلك فيجازيكم به "[1].

وفي هذه الآية الكريمة تربية ربانية للجماعة المسلمة وتطهيراً لحياتها من آثار الكلمة الخبيثة وخطرها ، ذلك أنها إذا أطلقت متحللة من القيود ، مطلقة الحدود تصير مستساغة على الألسنة، مألوفة في الأسماع ، فتشيع في النفوس مما يهون خطرها فتشيع في الواقع بالفعل بعد شيوعها بالقول.

وهذا الأسلوب في التربية سمة من سمات المنهج القرآني الذي يعتمد على الطريقة الوقائية في التعامل مع الجرائم والمنكرات قبل وقوعها ، فيضيق عليها المسارب ، ويسد دونها الثغرات فلا تذيع ولا تشيع.

وإذا كان هذا هو الشأن فيما يتعلق بكلمة القذف وأثرها في إشاعة الفاحشة فما الظن بما سواها مما هو أخطر فتنة ، وأعظم أثراً من العرى والتهتك ونحو ذلك، لا شك أن الفتنة فيه أعظم ومن هنا جاء تحذير القرآن منها مذكراً بفتنة الأبوين ، فقال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا

---

[1] تفسير العلامة أبي السعود ١٦٤/٦ ، وتفسير العلامة ابن عاشور ١٨٧/١٨

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[١]

فالآية نداء عام لبنى آدم يحذرهم الله تعالى فتنة الشيطان ، مذكراً إياهم فتنته لأبويهم من قبل ، حيث تسبب فى إخراجهما من الجنة بحيلته الماكرة لإراءتهما سوآتهما ، وفى التعبير ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ بدلاً من ياأيها الناس مثلاً إشارة إلى أن مقصود النداء الإعتبار بحال الأبوين كما نصت عليه الآية من بعد.

والمعنى : يابنى آدم لا يفتنكم الشيطان فيخرجكم عن مقتضى الفطرة إخراجاً مثل إخراجه أبويكم من الجنة حال كونه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما.

**وعلل هذا النهى بأمرين:**

**الأول** :قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ﴾ ،" والقبيل الجماعة والصنف المماثل "[٢] والمراد بهم هنا مجموع الشياطين بدلالة الجمع بعد ذلك فى قوله سبحانه :﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ وكون الشياطين ترى ولا نراها لا يمنع من إمكان تشكلهم ورؤيتهم ، وأيضاً هو أدعى لمزيد الحذر من فتنتهم إذ لا يدرى مكمنهم ، ولا يعرف مأتاهم.

**الثانى** : قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾فقد قضى الله سبحانه أن يجعل للشياطين أولياء وأتباعاً ممن بينه وبينهم من تشابه وتماثل فى سوء الطوية وفساد النية ، وفيه إشارة إلى الإعتصام بعرى الإيمان لتحصيل السلامة من شره وكيده.

**الوجه الرابع : الإرشاد إلى الوسائل النافعة فى رد كيده ... ومنها :**

**١- إخلاص العبودية لله تعالى :**

فقد تكفل الله تعالى بحفظ عباده المؤمنين من كيد الشيطان فقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [٣]

---

[١] سورة الأعراف الآية ٢٧
[٢] المعجم الوجيز صـ٤٩٨
[٣] سورة الإسراء الآية ٦٥

وقد جاء بيان المراد بالعباد فى موضع آخر بأنهم هم المؤمنون الذين هم على ربهم يتوكلون أى يفوضون جميع أمورهم إليه لا لغيره فقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١]

والتعبير بالماضى عند الوصف بالإيمان للدلالة على تحققه ، وبالمضارع عند الوصف بالتوكل للدلالة على تجدده واستمراره فى كل آن ، وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر والقصر أى يتوكلون على ربهم لا على غيره.

" وفى بيان المراد بالسلطان ذكر الإمام ابن كثير قول الثورى – رحمهما الله – :"أى ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم فى ذنب لا يتوبون منه ، وقال آخرون معناه : لا حجة له عليهم"[٢]

والقولان لا يتمانعان فإن الله تعالى آيس الشيطان من العبد بقبول توبته ما لم يغرغر ، كما قال الله تعالى :﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣]

فمتى تاب العبد قبل حضور الموت تاب الله عليه فضلاً منه ورحمة ، وفى الحديث عن ابن عمر– رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ قال : ( إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) [٤]

وهذا مفاد القول الأول ، ولأن المؤمنين بما هدوا إليه من الحق المبين أقدر على دفع وسوسته لأنها تزيين وخداع بالباطل ، وهذا مفاد الرأى الثانى.

---

[١] سورة النحل الآية ٩٩

[٢] مختصر تفسير ابن كثير ٣٨٨/٢ ، والثورى : هو أبو عبد الله الثورى الكوفى المجتهد سفيان بن سعيد ابن مسروق بن حبيب ينتهى نسبه إلى نزار بن معد بن عدنان ، شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين فى زمانه ، روى عنه الجماعة ت ١٢٦هـ ( سير أعلام النبلاء ١٧٤/٧ ، تذكرة الحفاظ ( ٢٠٣/١)

[٣] سورة النساء الآية ١٨

[٤] أخرجه الترمذى ك الدعوات ، باب فى فضل التوبة ح ٣٥٣٧ ، الإمام أحمد ١٣٢/٢ ، ٤٢٥/٣ ، الحاكم ك التوبة والإنابة ح ٧٧٤٠ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وابن ماجه ك الزهد باب ذكر التوبة ح ٤٢٥٣.

وتذييل الآية بقوله سبحانه : ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ أى حفيظاً، هو كالعلة للجملة قبله ، والمعنى : إن عبادى الذين قدرت لهم الهداية لا قدرة لك على إغوائهم لأنى كافيهم وحافظهم ، وإضافة الرب لضمير إبليس مشعرة بأنه لا قدرة له من ذاته، وإنما تسلطه على الغواه من الناس لفساد فيهم كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[١]، ولميلهم إلى اتباعه كما جاء فى قوله تعالى :﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[٢] وهو سلطان دعوة بالتزيين لا سلطان قهر وغلبة.

قال العلامة **أبو السعود**– رحمه الله – : " إن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم "[٣].

وعلى ما سبق بيانه يتوجه معنى (السلطان) المثبت والمنفى، فحيث أثبت له السلطان فالمراد به الوسوسة بالتزيين والإغواء ، وحيث نفى فالمراد به سلطان القهر والغلبة والإلجاء.

ولقد أقر إبليس – عليه اللعنة – بأن لا سلطان له ولا قدرة على إغوائه المؤمنين المخلصين فاستثناهم فيما قصه الحق سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٤]

ولما كان هذا القول موهماً أن له سلطاناً على إغواء غيرهم جاءت الآية من بعد تنفى سلطانه البته على المؤمنين وغيرهم ، فأما نفى سلطانه على المؤمنين فواضح من الإستثناء فى الآية ، وأيضاً من قوله سبحانه:﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [٥]. فسلامة المؤمنين المخلصين من كيده وإغوائه لم تكن لعهد قطعه على نفسه كما هو ظاهر الإستثناء، وإنما لأن الله تعالى جعل ذلك حقاً عليه سبحانه منة وفضلاً على عباده المؤمنين، "والإشارة فى الآية إلى ما تضمنه الإستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه، والمعنى: أن هذا التخلص حق علىَّ مستقيم لا عوج فيه، أو أن الإشارة إلى ما وصفوا به

---

[١] سورة الصف الآية ٤
[٢] سورة النحل الآية ١٠٠
[٣] تفسير أبى السعود ٧٩/٥
[٤] سورة الحجر الآيتان ٣٩-٤٠
[٥] سورة الحجر الآية ٤١

من الإخلاص، والمعنى: أن هذا -أى الإخلاص- طريق موصل إلى من غير إعوجاج وضلال"[١].

وأما نفى سلطانه على غير المؤمنين فواضح من قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٢] فتسلطه عليهم ليس عن حجة ظاهرة له، أوقدرة فى ذاته بحيث يجبرهم جبراً على اتباعه، وإنما- كما سبق بيانه- كان لفساد فيهم. كما يستفاد من التعبير بالوصف ﴿الْغَاوِينَ﴾ جمع غاو وهو المائل للغواية والمستعد لها ، وإذن فهو سلطان دعوة بالتزيين والإغواء.

ولقد أنبأ الحق سبحانه عن اعتراف اللعين لمن أغواهم بهذه الحقيقة فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]

والمعنى : لم يكن لى عليكم أدنى سلطان أو حجة ظاهرة تحملكم على العصيان.

وأنتهى مما سبق إلى القول بأن الشيطان لا سلطان له البته ، وأن مكمن الخطر إنما هو فى الميول النفسية والتى هى نقطة الضعف لدى الإنسان ، والثغرة التى يتسلل منها ، وهذا يدفع العقلاء إلى ضبط ميولهم ونزعاتهم على وفق مراد الله سبحانه ، ولا يكون ذلك إلاَّ بالتحقق من مقام العبودية الخالصة لله تعالى وما تقتضيه من الجد فى الطاعة ، والمداومة على الذكر ، وحسن التوكل عليه سبحانه لا على سواه ، فيتحقق للعبد آنذاك وعد الله سبحانه بالحفظ والكفاية.

---

[١] تفسير أبى السعود ٧٩/٥ بتصرف
[٢] سورة الحجر الآية ٤٢
[٣] سورة إبراهيم الآية ٢٢

**٣- الإستعاذة بالله تعالى من شره :**

الإستعاذة: طلب العوذ، وأصله فى الحسى مأخوذ من قولهم: ناقة عائذ أى حديثة النتاج تعوذ بولدها أو يعوذ بها ولدها يتلازمان ويقيمان معاً ، ومن اللصوق والملازمة جاء المعنوى فيقال : فلان عوذ لبنى فلان أى ملجأ إليهم "[١].

وهى هنا بمعنى طلب اللجوء إلى الله تعالى دفعاً لشره.

قال الإمام **ابن كثير** – رحمه الله –: "الإستعاذة: الإلتجاء إلى الله تعالى من شر كل ذى شر، والليلذ يكون لطلب الخير ، كما قال المتنبى :

يامن ألوذ به فيما أؤمله ⁂ ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ⁂ ولا يهيضون عظماً أنت جابره

فعبر بالليلذ فى طلب الخير، وبالعياذ فى طلب دفع الشر " [٢]

**وقد جاء الأمر بالإستعاذة من الشيطان فى عدة مواضع :**

**الموضع الأول : عند إرادة قراءة القرآن وغيرها من الأعمال الصالحة**

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٣]

والمعنى : إذا أردت قراءة شىء من القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، لأنه ليس له تسلط على المؤمنين المخلصين الذين يفوضون أمورهم كلها فيما يأتون ويذرون لله سبحانه وحده والجمهور على أن الإستعاذه تكون قبل القراءة.

قال **الإمام القرطبى** – رحمه الله –: " قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ أوقع الماضى موقع المستقبل كما قال الشاعر:

وإنى لآتيكم لذكرى الذى مضى ⁂ من الود واستئناف ما كان فى غد

---

[١] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٦٦/٤

[٢] مختصر الإمام ابن كثير ١٨/١ ، ومعنى يهيضون هو من هاض هيضاً وهو كسر العظم بعد ما كاد ينجبر (المعجم الوجيز صـ٦٥٦)

[٣] سورة النحل الآيتان ٩٨-٩٩

أراد ما يكون فى غد ، وأورد اعتباراً آخر فقال: وقيل: فى الكلام تقديم وتأخير، وأن كل فعلين تقاربا فى المعنى جاز تقديم أيهما شئت كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[١]

والتقدير (ثم تدلى فدنا) ومثل قول الله تعالى:﴿ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٢]وهو كثير[٣].

وأضاف **العلامة أبو السعود** – رحمه الله– اعتباراً آخر فقال " عبر بالقراءة عن الإرادة إقامة للمسبب مقام السبب كما فى قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٤][٥]

"وعليه فالراجح أن الإستعاذة فى أول القراءة خلافاً لمن أخذ بظاهر الآية فجعلها عقب القراءة، وممن قال بذلك وأتى بالإستعاذة بعد القراءة أبو هريرة ﷺ ، ومالك وابن سيرين، وداود، وحمزة من القراء، والحكمة عندهم من ذلك أصون ثواب القراء من الحبوط"[٦]، "والقول الأول هو الأرجح لما ذكر من أقوال الأئمة المفسرين ، وأيضاً لأن الإستعاذة علامة على أن المأتى به بعدها قرآن ، ولذا لم تشرع بين يدى كلام غيره "[٧]

والحكمة من الإستعاذة فى أول القرآن هى التحرز من وسوسة الشيطان وما يحدث من تخليط وتلبيس أثناء القراءة أو صدود عنها ونفور منها كما جاء فى الحديث الصحيح عن عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن الشيطان قد

---

[١] سورة النجم الآية ٨
[٢] سورة القمر الآية ١
[٣] تفسير القرطبى ١٣٣/١ بتصرف
[٤] سورة المائدة الآية ٦
[٥] تفسير أبى السعود ١٣٩/٥
[٦] راجع فى ذلك تفسير القرطبى ١٣٤/١ ، وتفسير أبى السعود ٥/ ١٤٠، ومختصر ابن كثير ١٨/١
[٧] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١١٢/١

حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً ، قال ففعلت فأذهبه الله عنى."[١]

وأيضاً ما جاء فى قول الله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢]

ففى الآية الكريمة بيان لما يتحينه الشيطان عند القراءة ، وما يقوم به من التخليط والتلبيس.

يقول **الشيخ الشنقيطى** –رحمه الله –: بعد تفنيد لم أثير حول هذه الآية من قصة الغرانيق وإبطالها بالكلية يقول : "فالذى يظهر لنا أنه الصواب والقرآن يدل عليه دلالة واضحة هو أن ما يلقيه الشيطان فى قراءة النبى ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها كإلقائه عليهم أنها سحر وشعر وأساطير الأولين ، وأنها مفتراه على الله ليست منزلة من عنده ، والدليل على هذا المعنى : أن الله تعالى بين أن الحكمة فى الإلقاء المذكور امتحان الخلق لأنه قال : :﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[٣] وقال:﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[٤]

فهذا يدل على أن الشيطان يلقى عليهم أن الذى يقرأه النبى ﷺ ليس بحق فيصدقه الأشقياء ويكون ذلك فتنة لهم ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم ويعلمون أنه الحق لا الكذب كما يزعم الشيطان فى إلقائه.[٥]

---

[١] صحيح مسلم، ك السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة فى الصلاة ح ٤٠٨٣، عثمان ابن أبى العاص الثقفى: أبو عبد الله الطائفى أخو الحكم بن أبى العاص الثقفى، ولهما صحبة، قدم على النبى ﷺ فى وفد ثقيف وإستعمله النبى ﷺ على الطائف ثم أقره أبو بكر وعمر، وروى له الجماعة إلاّ البخارى توفى سنة إحدى وخمسين "تهذيب الكمال ٤٠٨/١٩ ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م".

[٢] سورة الحج الآية ٥٢

[٣] سورة الحج الآية ٥٣

[٤] سورة الحج الآية ٥٤

[٥] أضواء البيان للشيخ الشنقيطى ٥/ ٧٣٢

وهوتوجيه طيب للآية الكريمة بعيداًعما أثيرحولها مما هو مستحيل شرعاً ولم يصح نقلاً. وقوله سبحانه فى الآية بعدها: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) هو كالعلة لما قبله من الأمر بالإستعاذة أو من الجواب المقدر للأمر.

كما بين ذلك **العلامة أبو السعود** فقال : " والجملة تعليل للأمر بالإستعاذة أو لجوابه المنوى (يعذك) "[١].

والمعنى : " إذا أردت قراءة القرآن فاستجر بالله تعالى من الشيطان الرجيم يجرك ، لأنه ليس له تسلط على المؤمنين المتوكلين على ربهم لا على غيره ، أو لأن الحال أو الشأن أن لا سلطان للشيطان عليهم فمرجع الضمير فى قوله تعالى (إنه ليس له سلطان) إما إلى الشيطان ، وإما إنه ضمير الشأن.

وتوجيه الأمر للنبى ﷺ بالإستعاذة وتخصيصه بقراءة القرآن فيه إشارة إلى أن الإستعاذه فى حق غيره وفى سائر الأعمال الصالحة من باب الأولى "[٢]. ذلك أن خطاب النبى ﷺ هو خطاب للأمة إلاَّ ما ورد تخصيصه فى الشرع ، كما أن هدى النبى ﷺ فى الإستعاذة لم يكن قاصراً على قراءة القرآن ، وإنما صح عنه فى غير ذلك كما سيتبين بعد.

**الموضع الثانى :الإستعاذه عند الغضب**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٤] وقال جل ذكره: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾[٥]

قال الإمام **الحافظ بن كثير**–رحمه الله–:" فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة فى معناها، يأمر الله تعالى فيهن بالإستعاذة من العدو الشيطانى لا محالة إذ لا يقبل مصانعة

---

[١] تفسير أبى السعود ١٤٠/٥
[٢] المرجع السابق
[٣] سورة الأعراف الآيتان ٢٠٠-٢٠١
[٤] سورة فصلت الآية ٣٦
[٥] سورة المؤمنون الآية ٩٧

ولا إحساناً ولا يبتغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينهما ، وذلك بعد ما أمر سبحانه بمصانعة العدو الإنسى والإحسان إليه ليرده عن طبعه إلى الموالاه والمصافاة "[١].

والمراد بالنزغ فى الآيتين الأولتين النخس حيث شبهت وسوسة الشيطان للإنسان طلباً للإغواء بنخس الراكب الدابة حثاً لها على السير ، والمعنى كما ذكره الإمام **ابن جرير** وغيره- والعبارة له- : "وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أى فاستجربه من نزغه ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى سميع لجهل الجاهل عليك، وللإستعاذة به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شىء، (عَلِيمٌ) بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه"[٢].

واستفيد هذا العموم من صيغة المبالغة فى صفتى السمع والعلم اللتين ذيلت الآية بتأكيدهما.

وفى هذا المعنى أخرج الإمام فى صحيحيهما عن سليمان بن صرد ﷺ قال: "استب رجلان عند النبى ﷺ، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، فنظر إليه النبى ﷺ فقال: (إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبى ﷺ فقال أتدرى ما قال رسول الله ﷺ آنفاً ؟ قال : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقال له الرجل : أمجنوناً ترانى ؟ [٣]

وعلل الأمر بالإستعاذة فى الآيتين بقوله تعالى فى الأولى :﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وفى الثانية بقوله سبحانه : ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وفى سر الإختلاف فى العبارتين قال **الكرمانى** – رحمه الله – : "لما كانت الآية فى فصلت متصلة بقوله

---

[١] مختصر ابن كثير ١٨/١ بتصرف
[٢] تفسير الطبرى ٢٠٨/٦ ، ٢٠٩
[٣] صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس ح ٣٢٨٢ ، ك الأدب ، باب الحذر من الغضب ح ٦١١٥ ، باب ما ينهى عنه من السباب واللعن ح ٦٠٤٨ ، وفى صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأى شىء يذهب الغضب ح ٤٧٢٥ ، ٤٧٢٦ ، وراوى الحديث : هو سليمان ابن صرد ، الأمير أبو مطرف الخزاعى الكوفى الصحابى له رواية سيرة ، وكان ديناً عابداً ، حارب عبد الله بن زياد ، وقتل يومها سنة خمس وستين وله ثلاثة وتسعون عاماً( سير أعلام النبلاء ح ٤٨١/٤ ، التهذيب ١٧٥/٤)

تعالى:؟ فكان مؤكداً بالتكرار وبالنفى وبالإثبات بالغ فى قوله تعالى ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [١]: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، بزيادة الضمير، وبالالف واللام، ولما لم يكن فى الأعراف هذا الإتصال أتى على القياس: المخبر عنه معرفة والخبر نكرة "[٢].

وفى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٣] بيان أن الإستعاذه بالله إنما هى شأن المتقين وصفتهم.

يقول **صاحب الظلال** عند تفسيره للآية الكريمة: " وتكشف هذه الآية القصيرة عن إيحاءات عجيبة ، وحقائق عميقة ، يتضمنها التعبير القرآنى المعجز الجميل ...

إن اختتام الآية بقوله ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ليضيف معانى كثيرة إلى صدر الآية ، ليس لها ألفاظ تقابلها هناك .... ، إنه يفيد أن مس الشيطان يعمى ويطمس ويغلق البصيرة ، ولكن تقوى الله تعالى ومراقبته وخشية غضبه وعقابه ، تلك الوشيجة التى تصل القلوب بالله ﷻ وتوقظها من الغفلة عن هداه ، تذكر المتقين فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم وتكشف الغشاوة عيونهم ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ إن مس الشيطان عمى وإن تذكر الله تعالى إبصار ، إن مس الشيطان ظلمة، وإن الإتجاه إلى الله نور، وإن مس الشيطان تجلوه التقوى، فما للشيطان على المتقين من سلطان"[٤].

قال الإمام **ابن مفلح الحنبلى** فى هذه الآية فوائد كثيرة منها :

١- "أن الأصل فى المتقين السلامة من الشيطان ،وإن عرض طيف فى بعض الأحيان.

٢- أن الطيف لا ثبوت له بخلاف الورود ، فأشار بالطيف إلى أنه لا يمكن أن يأتى القلوب المتيقظة، إنما يأتى القلوب فى حين منامها يرجو غفلتها ، ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه.

٣- أن المس ملامسة من غير تمكن ، بخلاف الكافرين فإن الشيطان يتجرأ عليهم ، كماقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[٥]

---

[١] سروة فصلت الآية ٣٥.
[٢] أسرار التكرار للكرمانى صـ١٨٩
[٣] سورة الأعراف آية ٢٠١.
[٤] تفسير الظلال ٣/١٤٢٠
[٥] سورة مريم الآية ٨٣

٤- قوله (تذكروا) ولم يقل (ذكروا) إشارة إلى أن الغفلة لا يطردها الذكر، إنما يطردها التذكر والإعتبار، لأن الذكر ميدانه اللسان، والتذكر ميدانه القلب.

٥- حذف معمول الفعل (تذكروا) ولم يقل تذكروا والجنة أو النار أو العقوبة لأن التذكر يختلف بحسب مراتب المتقين، فمرتبة التقوى يدخل فيها الأنبياء والرسل، والصديقون والأولياء والصالحون، وعموم المسلمين، فتقوى كل واحد بحسبه كما قال سبحانه:﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم ﴾ [١]ومعلوم أن الإستطاعة متفاوته.

٦- التوسعة على المتقين ، لأنه لو قال (إن الذين إتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان) لخرج كل واحد إلاَّ أهل العصمة فأراد سبحانه أن يوسع دائرة رحمته . أ.هـ "[٢]

وفى الآية الثالثة ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ أمر من الله تعالى للنبىﷺ والمؤمنين بالتعوذ من الشيطان فى همزاتهم وهى " سورات الغضب التى لا يملك الإنسان فيها نفسه "[٣]، "والهمزات جمع همزة كتمرة ، ومن همزاته الصرع وهو نوع من الجنون يعترى الإنسان فإذا أفاق عاد له كمال عقله"[٤]، "وجمعت باعتباره تعدد المرات أو تنوع الوساوس أو تعدد المضاف إليه"[٥].

وبهذا ... يرشدنا القرآن الكريم إلى كيفية مواجهة هذا الكيد الشيطانى وآثاره النفسية من الغضب ونحوه ، فيأمر بالإستعاذه بالله تعالى ، معللاًالأمر بكونه سبحانه سميعاً بما تنطق به الألسنة ، عليماً بما تجنه الضمائر.

---

(١) سورة التغابن الآية ١٦

(٢) المختار من كتاب " مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ، للإمام / ابن مفلح الحنبلى تعليق فضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر هدية مجلة الأزهر – رجب ١٤١٩ هـ –وابن مفلح هو : الإمام تقى الدين أبو اسحاق ابراهيم بن أبى عبد الله بن مفلح الحنبلى ، شيخ الحنابلة ورئيسهم وقاضى قضاتهم ، ولى قضاء دمشق ، وعرف بالدين والورع ، وكان له مجلس علم بالمسجد الأموى ، وصاحب تصانيف منها فضل الصلاة على النبى ﷺ ، وكتاب الملائكة ، شرح المقنع ، مختصر ابن الحاجب ، وطبقات أصحاب الإمام أحمد (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للإمام عبد الحى بن العمادالحنبلى ت ١٠٨٩ هـ ط أولى مصورة، ط دار الآفاق– بيروت).

(٣) تفسير القرطبى ٤٦٨٢/٦.

(٤) لسان العرب ٣٩٩/٢.

(٥) تفسير أبى السعود ١٥٠/٦ بتصرف يسير

**الموضع الثالث : الإستعاذة بالله تعالى فى عموم الأحوال :**

قال تعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (١)

قال الإمام **ابن كثير**- رحمه الله -: "أمره الله تعالى أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ، ولا ينقادون بالمعروف ... وقوله تعالى ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ أى فى شىء من أمرى ، ولهذا أمر بذكر الله فى ابتداء الأمور ، وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور"(٢)

وقد بين النبى ﷺ أنهم يحضرون الإنسان فى كل شأن من شئونه قصداً الوسوسة له والتلبيس عليه. ففى الصحيح من حديث جابر عبد الله – رضى الله عنهما- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شىء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه ، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمقط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان ، فإذا فرغ فليلعق أصابعه ، فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة) (٣).

قال **الإمام النووى**- رحمه الله-: " فيه التحذير من الشيطان ، والتنبيه على ملازمته للإنسان فى تصرفاته ، فينبغى أن يتأهب ويحذر منه ولا يغتر بما يزينه له"(٤).

وأقوى ما يحترز به عنه هو ما أمر الله به من الإستعاذة بجنابه من حضورهم حيث قال:﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾، وتقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر، والمعنى لا أستجير بغيرك من شره ولا ألتجىء لسواك، والتعبير بالمضارع فيه إشارة إلى تجدد ذلك منهم وتكرره، ومن ثم فقد شرع ذكره سبحانه على كل حال، وجاء بيان ذلك فى هدى النبى ﷺ حيث كان يتعوذ ويأمر بالتعوذ بالله تعالى عند كل حال **ومن ذلك:**

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان ٩٧-٩٨

(٢) مختصر ابن كثير ٥٧٤/٢ بتصرف

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الأشربه ، باب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة ح ٣٧٩٤ ، ٣٧٩٦

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٥/١٣ ط المطبعة المصرية ومكتبتها.

١- عند دخول الخلاء : فعن أنس ﷺ قال: كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء قال: (اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث) [١] أى من الشياطين ذكورهم وإناثهم.

٢- عند الجماع ، فعن ابن عباس – رضى الله عنهما- أن النبى ﷺ قال : ( لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه) [٢].

٣- فى استفتاح الصلاة، فعن جبير بن مطعم ﷺ أنه رأى النبى ﷺ قال : ( الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلاً ثلاثاً – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه) [٣].

٤- عند سماع نباح الكلب ونهيق الحمير ، فعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : ( إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً) [٤].

وما ذكرت إنما هو على سبيل الإستشهاد ، وتنبيهاً على ما وراءه مما يدل على استحباب الإستعاذة فى كل شأن من الشئون طرد للشيطان واحترازاً من كيده.

### ٣- تلاوة القرآن الكريم:

إن من خصائص القرآن الكريم دوام قراءته ، والمواظبة على ذكره وتدبره ، وفى أسمائه الإشارة إلى ذلك فقد روعى فى تسميته قرآناً كونه مقروءاً ، وروعى فى تسميته كتاباً كونه مكتوباً ليجتمع له حفظ الصدر والسطر معاً ، وروعى فى تسميته ذكراً كونه متلواً ، وقد أمر الله تعالى بذلك فقال : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ ﴾[٥]

---

(١) صحيح البخارى ، ك الوضوء ، باب ما يقول عند الخلاء ح ١٤٢ ،ك الدعوات ، باب الدعاء عند الخلاء ح ٦٣٢٢ ، صحيح مسلم ك الحيض ، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ح ٥٦٣ وأنس بن مالك هو أبو حمزة أنس بن مالك بن ضمضم بن عدى بن النجار ، الأنصارى الخزرجى ، خادم رسول الله ، ومن المكثرين من الرواية وكان آخر الصحابة موتاً ت ٩٠ هـ الإصابة ٧٣/١)

(٢) صحيح البخارى ، ك بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ح ٣٢٨٣ ، ك النكاح ، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ٥١٦٥

(٣) مسند الإمام أحمد ٨٠/٤ ، ٨١ ، سنن الترمذى ، ك أبواب الصلاة ، باب ما يقال عند افتتاح الصلاة ح ٢٤٢ ، سنن أبى داود ، ك الصلاة ، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ح ٧٦٤ ، سنن ابن ماجه ، ك الإقامة ، باب الإستعاذة فى الصلاة ح ٨٠٧ ،٨٠٨ ، وأخرجه الحاكم صححه ووافقه الذهبى ح ٨٦١

(٤) صحيح البخارى ك بدء الخلق / باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ح ٣٣٠٣.

(٥) سورة المزمل الآية ٢٠

وقال سبحانه : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (١)

وقال جل جلالـــه : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾. (٢)

وأمر ﷻ النبى ﷺ أن يعلنها صريحة قـــائلاً : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـــذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُـــرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾(٣).

والحكمة من الأمر بالقراءة والتلاوة متنوعة المظاهر:

***فمنها** بث القرآن وتعليمه تخففاً من مسئولية البلاغ وقياماً بالواجب نحوه ، كمـــا قـــال سبحانه :﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَـــارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٤)

" فقوله سبحانه : :﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ مستثنى إما من قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ والمعنى: ليس إلى من أمر هدايتكم أو غوايتكم شىء، وإنما مرد ذلك إلى الله تعالى، إلاَّ أن أبلغكم بلاغاً عنه سبحانه. وإما أنه مستثنى من قوله سبحانه : ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَـــدًا ﴾ أى نصـــيراً وملجأ ألتجىء إليه ، والمعنى : إنى لا يجيرنى ولا يخلصنى من الله تعالى إلاَّ أن أبلغكـــم ما أرسلت به وما أوجب على آداؤه"(٥).

وفى هذا المعنى الأخير يقول الله تعالى:﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٦)

ويقول سبحانه : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (٧)

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٧
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥
(٣) سورة النمل الآيتان ٩١-٩٢
(٤) سورة الجن الآيات ٢١ -٢٣
(٥) تفسير أبى السعود ٤٧/٩ بتصرف
(٦) سورة ق الآية ٤٥
(٧) سورة الأنعام الآية ١٩

"روى ابن جريد عن محمد بن كعب قال : من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد ﷺ وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذى دعا رسول الله ﷺ وأن ينذر بالذى أنذر"[١].

* **ومنها :** تعاهده خشية التفلت وغلبة النسيان، فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺقال:(تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصياً من الإبل فى عقلها) [٢].

* **ومنها :** التقرب إلى الله تعالى، وتحصيل المثوبة منه ﷻ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنه، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) [٣]

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى الصُفَّة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق، فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ فقلنا: يارسول الله كلنا نحب ذلك، وقال: أفلا يغدوأحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خيرله من أربع ومن أعدادهن من الإبل) [٤].

* **ومنها :** دفع الشيطان ودحره ، واتقاء كيده وشره ، ويظهر ذلك من وجوه:

**الوجه الأول :** نصت عليه السنة المطهرة صراحة ، مبينة خصائص بعض سور القرآن وآيه وأثرها فى ذلك، ومنه:

---

[١] مختصر ابن كثير ١/ ٥٧١ ، والربيع بن أنس هو البكرى ويقال الحنفى البصرى ثم الخرسانى ، روى عن أنس ابن مالك ، وأبى العالية والحسن البصرى وقال العجلى : بصرى صدوق ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال النسائى لا بأس به ، وذكر ابن حبان فى الثقات ت ١٣٩ أو ١٤٠ ( تهذيب التهذيب ٣/ ٣٠٧ )

[٢] صحيح البخارى / ك فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ح ٥٠٣٣ ، مسلم ك صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضائل القرآن ح ١٣١٤ ، ١٣١٧

[٣] سنن الترمذى، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ح ٢٩١٠ وقال :حسن صحيح.

[٤] صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سماع القرآن وتدبره ح ١٣٣٦ ، بطحان ، العقيق موضع بقرب المدينة ، والكومامن الإبل بفتح الكاف : العظيمة السنام ( صحيح مسلم بشرح النووى ح ٨٩/٦)

**أ – ما جاء في خصائص سورة البقرة :**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) [١]، وروى الدارمي بسنن صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (إن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ في بيت خرج منه) [٢].

**ب– ما جاء في خصائص آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة :**

عن أبي هريرة ﷺ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو الطعام، فأخذته فقلت: لا أرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقص الحديث وفيه قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لم يزل معك من الله حفيظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان) [٣].

وأخرج البخاري بسنده عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) [٤]

" قيل كفتاه من قيام الليل ، وقيل من شر الشيطان ، وقيل من كل شر وهو الأولى والأنسب مع حذف المعمول الثانيللفعل لإرادة العموم ، وبه قال ابن حجر في الفتح[٥] والنووي في شرحه لصحيح مسلم[٦]

**ج– ما جاء في خصائص المعوذات :**

أخرج البخاري بسنده عن عائشة – رضي الله عنها – : أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ( قل هو الله أحد)،و(قل أعوذ برب

---

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في البيت ح ١٨٢١

(٢) سنن الدارمي/ ك فضائل القرآن/ باب فضل سورة البقرة، ورواته ثقات، وأخرجه الترمذي/ ك فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ح ٢٨٧٧، وقال حسن صحيح وأخرجه الحاكم في التفسير/ باب سورة البقرة ح ٣٠٨٨، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) صحيح البخاري / ك فضائل القرآن / باب فضل سورة البقرة ح ٥٠١٠ ، والحديث بطوله في ك الوكالة ح ٢٣١١ ، ك بدء الخلق / باب صفة إبليس ح ٣٢٧٥ ، ومعنى يحثو أي يغترف (المعجم الوجيز صـ ١٣٥)

(٤) صحيح البخاري / ك فضائل القرآن / باب فضل سورة البقرة ح ٥٠٠٩ ، وصحيح مسلم / ك صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح ١٣٤٠.

(٥) فتح الباري ١٩/ ٦٧

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٩١/٦

الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات) [١]

وعند الترمذى بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما) [٢]

**الوجه الثانى : نصت عليه السنة** كذلك مبينة نزول الملائكة والسكينة عند تلاوة القرآن: فقد أخرج البخارى بسنده عن أسيد بن حضير ﷺ قال :بينما هو يقرأمن الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبى ﷺ فقال له : اقرأ يابن حضير ، اقرأ يابن حضير ، قال: فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحى وكان قريباً منها ، فرفعت رأسى فانصرفت إليه ، فرفعت رأسى فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها ، قال ﷺ : وتدرى ما ذاك ؟ قال : لا، قال ﷺ : تلك الملائكة دنت لصوتك ولوقرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) [٣].

" وعنده أيضاً من حديث البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبىﷺ فذكر ذلك له فقال: تلك السكينة نزلت بالقرآن "[٤].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأبه عمله لم يسرع به نسبه) [٥].

---

[١] صحيح البخارى / ك فضائل القرآن / باب فضل المعوذات ح ٥٠١٧ ، وجمع المعوذات على سبيل التغليب، والنفث : النفخ ، وهو ريح يخرج من الفم يغير ريق (الفتح ١٩/ ٧٤).

[٢] سنن الترمذى/ ك الطب/ باب ما جاء فى الرقية من العين ح ٢٠٥٨، سنن ابن ماجة ك الطب/ باب النفث فى الرقية ح ٣٥٢٧.

[٣] صحيح البخارى / ك فضائل القرآن / باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ح ٥٠١٨ ، صحيح مسلم ك صلاة المسافرين ، باب نزول السكينة لقراءة ح ١٣٢٧

[٤] صحيح البخارى / ك فضائل القرآن / باب فضل سورة الكهف ح ٥٠١١ ، شطنين : جمع شطن وهو الحبل المفتول (المعجم الوجيزص٣٤٣ ، وصحيح مسلم ك صلاة المسافرين وقصرها ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ح ١٣٢٥

[٥] صحيح مسلم / ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار / باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ح ٤٨٦٧.

ويتحصل مما سبق أن تلاوة القرآن الكريم سبب فى نزول الرحمة والسكينة وحضور الملائكة وفى ذلك مطردة للشيطان ولا شك.

**الوجه الثالث :** كون القرآن هدىً وشفاء ورحمة للمؤمنين

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. (١)

فبين الله تعالى للناس وفى طليعتهم المشركون بعض أوصاف القرآن الكريم استمالة لهم للإنتفاع به فهو الموعظة الصادقة من الخالق المدبر، وهو الشفاء من الإعتقادات الباطلة والأخلاق الفاسدة، وهو المرشد إلى الحق بما نصب من الأدلة وأقام من البراهين فى النفس والكون، وهو الرحمة لمن تمسك به واعتصم بعراه، وسمى بذلك مبالغة فى وصفه بهذه الأوصاف، وتنبيهاً على أنه ذاتية فيه ، بمعنى أنه صالح فى ذاته لذلك ، ويمتد نفعه لمن تمسك به ، ولذا فقد جعل الله تعالى الإيمان قيداً فى الإنتفاع به فقال ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

وقال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾(٢). قال جل ذكره:﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾(٣).

يقول **الإمام البقاعى**– رحمه الله – : "قوله تعالى ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، لإنارته لقلوبهم من صدأ الجهل ، وحمله لهم على سبيل الرشد الذى هو سبب الرحمة ، ولحراسته لهم من كل شيطان ومرض ومحنة إذا وقع الصدق فى الإستشفاء به وهو كله كذلك وكذا جميع أبعاضة "(٤).

ووصف القرآن بكونه شفاء فيه إشارة إلى شدة الحاجة إليه ، وأيضاً إلى أثر تلاوته فى الإستشفاء به من أمراض القلب كالشك والنفاق وسوء الأخلاق ، وكلها من وساوس الشيطان ونزغاته ، وأيضاً الإستشفاء به من خبط الشيطان ومسه.

---

(١) سورة يونس الآية ٥٧

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢

(٣) سورة فصلت الآية ٤٤

(٤) نظم الدر فى تناسب الآيات والسور ، تأليف برهان الدين البقاعى ٤٩٧/١١ ط أولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م

فقد روى أبو داود فى سننه عن خارجة بن الصلت عن عمه أنه أتى النبى ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعاً من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير ، فهل عندك شيء تداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرىء، فأعطونى مائة شاة وأتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال: هل إلاّ هذا، أو قال هل قلت غير هذا؟ قلت: لا، قال: خذها فلعمرى لمن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق"[١].

"وقد استدل لفيف من الأئمة بآية الباب ونظائرها على أن القرآن فيه شفاء للأمراض البدنية والقلبية معاً ، وكونه شفاء لأدواء القلب فهذا موضع اتفاق بين العلماء سلفاً وخلفاً أما كونه شفاء للأدواء البدنية ، والعلل الجسمية، فهذا مما اختلف فيه ، والأولى أنه لا مانع من كونه شفاء لها شرعاً وعقلاً ، وذلك لعموم اللفظ ولأن العقل لا يحيل ذلك، وأيضاً فإنه وقع فعلاً، كالصحابى الذى رقى اللديغ بفاتحة الكتاب وهى ثابته فى الصحيح"[٢].

يقول **الإمام ابن القيم** – رحمه الله –: " فالقرآن هو الشفاء من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للإستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوى به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدعها، وعلى الأرض لقطعها "[٣].

وذكر نحواً من ذلك الإمام الزركشى "[٤] وأورد عدة وقائع من ذلك فى كتابه البرهان فى علوم القرآن[٥].

---

(١) سنن أبى داود / ك الطب / باب كيف الرقية ح ٣٨٩٦ وإسناده صحيح ، وخارجة ابن الصلت هو البرجمى الكوفى روى عن عمه (وله صحبة وفى اسمه اختلاف)، وعن عبد الله بن مسعود ، وروى عنه الشعبى ، عبد الأعلى بن الحكم الكلبى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، قلت : وقد قال ابن أبى خيثمة إذا روى الشعبى عن رجل وسماه فهو ثقة يحتج بحديثه ( التهذيب ٦٦/٣).

(٢) صحيح البخارى / ك الطب / باب الرقى بفاتحة الكتاب ح ٥٧٣٦ ، ٥٧٣٧

(٣) زاد المعاد للإمام ابن القيم الجوزية ٣٥٢/٤

(٤) الإمام بدر الدين محمد عبد الله بن بهادر الزركشى أحد العلماء الأثبات ، وأحد أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين ، وكان رضى الخلق ، محمود الخصال ، متواضعاً رقيقاً ، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا ، صاحب تصانيف من أشهرها ( البرهان فى علوم القرآن ) ، وله ( إعلام الساجد بأحكام المساجد ) وغيرها توفى بمصر ٧٩٤ هـ (شذرات الذهب ٣٣٥/٦ )

(٥) البرهان فى علوم القرآن ٤٣٤/١

**٤- ملازمة ذكر الله تعالى :**

قال جل ذكره ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۞ وَلَنْ يَنفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [١].

"قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ ﴾ من عشا يعشو كدعا يدعو ، ويقال للمتعاشى الذى ينظر كنظر الأعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، ومعناه تغافل وأعرض"[٢].

"والمراد بالذكر : إما القرآن بدلالة السياق كما جاء فى أول السورة : ﴿ حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۞ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ [٣].

فالمراد بالذكر فى الآية هو القرآن ، قاله الضحاك وغيره "[٤].وكما صرح به فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [٥] وعلى ذلك فإفاضة الذكر إلى الرحمن للإشعار بأن إنزال القرآن مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى، وتهييج لهم الإيمان.

" وقد يراد بالذكر عمومه ويدخل فيه القرآن دخولاً أولياً ، ومعنى الإضافة عندئذ الإشعار بأن ذكر الله تعالى سبب لنيل رحمته ﷻ كما قال جل ثناؤه :﴿ فَاذْكُرُونِي

---

[١] سورة الزخرف الآيات ٣٦-٣٩
[٢] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٢٤/٤.
[٣] سورة الزخرف الآيات ١-٥
[٤] تفسير القرطبى ٦١٠٦/٩
[٥] سورة الزخرف الآية ٣١

أَذْكُرْكُمْ ﴾[١]. فعن سعيد بن جبير- رحمه الله- قال: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى، وفى رواية برحمتى "[٢].

وقوله سبحانه : ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ " من قيض الشيء إذا أعد ه وهيأه "[٣].

والمعنى : أنه من قدر الله الثابت وسنته الماضية أن من يتغافل عن ذكره ويعرض عنه يهيء له شيطاناً لا يفارقه ، يزين له السوء ، ويأمره بالفحشاء صداً له عن سبيل الله تعالى فى ملازمة دائمة بحيث لا يدع له الشيطان فرصة ليثوب ويتوب إذ يوهمه أنه أبداً على صواب حتى تفجأه القيامة فيندم ويتحسر قائلاً : ﴿ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ والمراد بالمشرقين : المشرق والمغرب ، وعبر بالمشرقين تغليباً كالقمرين للشمس والقمر ، والعمرين لأبى بكر وعمر-رضى الله عنهما- ويبكته الله تعالى ويقرعه بإعلان انتفاء المنفعة بينهما كما توهمها فى الدنيا فيقول سبحانه : ﴿ وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ فعذابه كامل لا تخففه الشركة ، ولا يتقاسمه معه اللعين.

والآيات تحذير من الغفلة عن ذكر الله تعالى ، وبيان أنها مدخل عظيم من مداخل الشيطان ، كما وصفه الله تعالى بأنه (وسواس خناس) يوسوس حال الغفلة ويخنس إذا ذكر العبد ربه ، فهما حالان للعبد لا محيد له عن إحداهما.

ومن ثم فقد أمر الله تعالى المؤمنين بدوام الذكر والإستكثار منه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٤].

فناداهم الله تعالى بوصف الإيمان ، وهو علة فى الأمر بعده ، وتهييج لهم على الإمتثال له " وذكر الله تعالى استحضار صفات جلاله وجماله فى القلب مع تدبر سواء صاحب ذلك نطق اللسان أم لا "[٥].

---

[١] سورة البقرة الآية ١٥٢

[٢] مختصر ابن كثير ١٤٢/١ ، وسعيد ابن جبير بن هشام الأسدى أبو محمد الكوفى ، إمام فقيه عابد فاضل ورع ، حجه الله على المسلمين من التابعين ، وكان أعلم من مجاهد بن جبير ، وطاووس بن كيسان ، قتله الحجاج صبراً سنة ٩٥ هـ (التهذيب٢١١/٤، سير أعلام النبلاء ٣٢١/٤).

[٣] معجم ألفاظ القرآن الكريم ١٠٨/٥

[٤] سورة الأحزاب الآيتان ٤١-٤٢.

[٥] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٤٩/٢ بتصرف

وحكمة الأمر بالإستكثار من الذكر تنبيه المؤمنين إلى ما يجلب لهم أعظم المصالح، وهو الفوز بالأجر العظيم كما جاء في قول الله سبحانه : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١].

والمراد بالأجر العظيم الجنة ، كما قال سبحانه بعد الأمر بذكره كثيراً يبين جزاء الذاكرين:﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[٢].

قال **الإمام ابن كثير**– رحمه الله– : "يعني الجنة وما فيها من المآكل والمشارب والملابس والمناكح والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[٣].

وفي الأمر بالإستكثار من الذكر أيضاً إرشاد إلى ما به يدرء المؤمنون عن أنفسهم أعظم المفاسد وهي الوساوس الشيطانية ، وهذا وذاك بعمل ميسور لا يشترط فيه ما يشترط في غيره من العبادات من اعتبار أمكنة محددة وأوقات معينة وشروط أخرى كالطهارة ونحوها. ولذا فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ولم يعذر في تركه أحداً إلاَّ من غلب على عقله.

"يقول **ابن عباس**– رضي الله عنهما– : إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلاَّ جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها في حالة العذر، غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلاَّ مغلوباً على تركه فقال: اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، والسر والعلانية على كل حال "[٤].

وأفضل الذكر ما كان مأثوراً عن النبي ﷺ ، والمتتبع لهديه ﷺ وما ثبت عنه من أذكار يجد أنه ﷺ كان يذكر الله على كل حال ، والذي يتأسى به في ذلك سيكون أيضاً ذاكراً لله كثيراً ، وعلى كل حال يمكن تقسيم هذه الأذكار إلى أربعة أقسام رئيسية :

---

[١] سورة الأحزاب الآية ٣٥
[٢] سورة الأحزاب الآية ٤٤
[٣] مختصر ابن كثير ١٠٢/٣
[٤] المرجع السابق ١٠١/٣

**الأول : ذكر الأوامر والنواهي :** فيذكر المؤمن أوامر ربه بحسن الإمتثال ، ونواهيه بوجوب الإمتناع، وإذا كان المؤمن في يومه وليلته لا ينفك عن واحد من القسمين إما أمر وإما نهي، فيلزم الأمر ويجتنب النهي رغبة في ثواب الله تعالى، ورهبة من عقابه، إذا كان حاله كذلك فهو ذاكر لله على الدوام.

ومثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١]

ففي الآية الكريمة أمر بالتكبير للصلاة من يوم الجمعة، ونهى عن التشاغل عن ذلك بالبيع وما في حكمه، ثم أمر بالإنتشار في الأرض بعد الفراغ من الصلاة مع ملازمة للذكر فيما يعرض للإنسان أثناء هذا الإنتشار من أوامر أخرى ونواهي أخرى.

يقول **الإمام ابن كثير** – رحمه الله تعالى – : " ﴿ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم "[٢].

**الثاني : ذكر الأحوال :** فالإنسان في تقلبه لا ينفك عن حال حتى يلتبث بحال أخرى، ولكل من هذه الأحوال الذكر الخاص بها كالنوم واليقظة ، والأكل والشرب بداية ونهاية والخروج والدخول في المسكن وأيضاً الخلاء ، ونظائر ذلك ، **ومنه على سبيل المثال:**

١- ما أخرجه الإمام البخاري وغيره – رحمهم الله – عن البراء بن عازب ﷺ : أن النبي ﷺ أوصى رجلاً فقال : (إذا أردت مضجعك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ، ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلاَّ إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة) [٣].

---

[١] سورة الجمعة الآيتان ٩-١٠

[٢] مختصر ابن كثير ٣/٥٠١.

[٣] صحيح البخاري / ك الدعوات / باب ما يقول إذا نام ح ٦٣١٣ ، صحيح مسلم / ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار / باب ما يقال عند النوم وأخذا المضجع ح ٦٨٢٠- ٦٨٢٢.

٢- وعنده عن ابن عمر-رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ، ثم يقول : لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) [١].

قال **الإمام ابن حجر** - رحمه الله - : " ظاهر الحديث اختصاص ذلك بهذه الأمور الثلاثة وليس الحكم ذلك عند الجهور ، بل يشرع قول ذلك فى كل سفر إذا كان سفر طاعة كصلة الرحم وطلب العلم ، لما يشمل الجميع من اسم الطاعة ، وقيل يتعدى أيضاً إلى المباح لأن المسافر فيه لا ثواب له ، فلا يمتنع عليه فعل ما يحصل له الثواب"[٢].

٣- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال : (أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اللهم إنى أسألك من خير هذه الليلة وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر) [٣].

ويقول مثل ذلك إذا أصبح بلفظ (أصبحنا وأصبح الملك لله ... الخ ، والمستقرىء لهذا الهدى النبوى يجده مستوعباً لغالب الأحوال التى يتقلب فيها الإنسان فى يومه وليلته، وقد صنف العلماء فى ذلك مصنفات مفردة مثل كتاب الأذكار للإمام النووى-رحمه الله - وله شرح باسم (الفتوحات الربانية) لابن علان (تحفة الذاكرين) للإمام الشوكانى ، شرح (عدة الحصن الحصين) لابن الجزرى ، كما بوب الأئمة الحفاظ على ذلك كما فى الصحيحين ، وعند أصحاب السنن وغيرهم.

**الثالث الذكر العددى** :وهو ما جعل له النبى ﷺ حداً معيناً ، وربما خصه أيضاً وقيده بوقت معين **ومن ذلك:**

---

[١] صحيح البخارى / ك الدعوات / باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع ح ٦٣٨٥ ، ومعنى قفل : رجع وعاد والمراد بالشرف المكان العالى ( الفتح ٢٢٢/٢٣)

[٢] فتح البارى ٢٢٢/٢٣

[٣] صحيح مسلم / ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار / باب الأدعية ح ٦٨٤٥ - ٦٨٤٦

١- الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة ﷺ قال : جاء الفقراء إلى النبى ﷺ فقالوا ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال يحجون بها ، ويعتمرون ويجاهدون ، ويتصدقون ، فقال : ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلاَّ من عمل مثله : تسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، فاختلفنا بيننا ، فقال بعضنا نسبح ثلاثاً وثلاثين ونكبر أربعاً وثلاثين ، فرجعت إليه فقال : تقول : سبحان الله والحمد لله ، والله أكبر ، حتى يكون منهن كلهن ثلاث وثلاثون) [١].

٢- وعندهما من حديث على ﷺ أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى فى يدها من الرحى ، فأتت النبى ﷺ تسأله خادماً فلم تجده ، فذكرت لعائشة – رضى الله عنها- فلما جاء أخبرته ، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبت أقوم ، فقال : مكانك ، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال : (ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم ؟ إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما ، فكبرا أربعاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، فهذا خيرلكما من خادم) [٢].

٣- وعندهما من حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من قال لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء ، إلاَّ رجل عمل أكثر منه)[٣].

**الرابع : الذكر المطلق** : وهو ما لم يقيد بعدد أو وقت بعينه **ومن ذلك :-**

---

[١] صحيح البخارى / ك أبواب صفة الصلاة / باب الذكر بعد الصلاة ح ٨٤٣ ، صحيح مسلم / ك الساجد ومواضع الصلاة / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ح ١٣٤٦.

[٢] صحيح البخارى / ك الدعوات / باب التكبير والتسبيح عند المنام ح ٦٣١٨ ، وصحيح مسلم ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار / باب التسبيح أول النهار وعند النوم ح ٦٨٥٣ ، ٦٨٥٦

[٣] صحيح البخارى / ك الدعوات / باب فضل التهليل ح ٦٤٠٣ ، صحيح مسلم / ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار / باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ح ٦٧٨٣

١- ما أخرجه الإمام مسلم فى الصحيح عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) [١].

٢- ما أخرجه الترمذي وغيره عن عبد الله بن بسر[٢]أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى"[٣]

ومما سبق يظهر بجلاء أن الأذكار المأثورة عن رسول الله ﷺ تكاد تستوعب أوقات المؤمن وأحواله بحيث لو التزمها لا ينفك عن ذكر الله سبحانه وفى ذلك مطردة للشيطان كما تقرر.

**وبعد:** فمازال الشيطان يرى نفسه أقوى الأقوياء ويرانا أضعف الضعفاء، يقصد وهو يحاربنا من كل جهة أن يقنعنا أنه قوة لا تقهر وأننا ضعفاء أمام هجماته، واتخذ من مواقع ضعفنا البشرية منافذ يحاربنا منها، فمرة يدخل لنا من شهوة الجسد.. ومرة من شهوة العيون .. ومرة من تعذر المعيشة .. ومرة من الرغبات الملحة لطبيعتنا البشرية كالرغبة فى أن يكون لنا مالم نحصل عليه بعد.. قد يحرك الأنانية الداخلية فى الإنسان أو قد يغرينا أن نشبع رغباتنا أو كبرياءنا، قد يدخل للعقل ليتصور وللقلب ليشتهى وللإرادة لنسقط فى الآثام والخطايا، ولا يتركنا إلاّ إذا هزمنا أو هزمناه إما أن نكون الضحية أو الفائزين المنتصرين.

وإن من معونة الله تعالى للمؤمن على دفع كيد الشيطان ، والتحرز عن وسوسته **ما سبق بيانه من :-**

أ- تقرير عداوته العريقة للإنسان ، وهذا يستلزم معاداته كما أمر الله تعالى :﴿ **فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾

---

[١] صحيح مسلم / ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار/ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ح ٦٧٨٦

[٢] عبد بن بسر بن أبي بسر الصحابي المعمر بركة الشام أبو صفوان المازنيّ، وغزا جزيرة قبرص مع معاوية في دولة عثمان رضى الله عنهم، ت ٨٨هـ بالشام، وكان من آخر من مات بها رضى الله عنهم أجمعين (سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٨)

[٣] سنن الترمذي ك الدعوات/ باب ما جاء في فضل الذكر ح ٣٣٧٥ وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجة/ ك الأدب ح ٣٧٩٣.

ب- تأكيد ضعف هذا الكيد الشيطانى ، ويقتضى عدم الخوف منه وإنما لا يكون الخوف إلاَّ من الله ؟

ج- النهى عن اتباع خطواته وميدان ذلك ومجاله فى التدخل فى التشريع تحريماً وتحليلاً، وفى تبعيض الدين وتجزئته ، وفى محبة إشاعة الفاحشة والسعى فى ذلك.

د- الإرشاد إلى وسائل دفع الكيد الشيطانى وأهمها :-

١- إخلاص العبودية لله تعالى

٢- الإستعاذة بالله واللجوء إليه لدفع كيده

٣- المداومة على تلاوة القرآن الكريم لما للقرآن من أثر بالغ فى التحرز من الكيد الشيطانى كما تقرر فيما مضى

٤- ملازمة ذكر الله تعالى ، وأفضل الذكر ما كان مأثوراً عن النبى ﷺ

نسأل الله تعالى بحوله وقوته أن يجيرنا من الشيطان وشره ، وأن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل فنكون ممن قال فيهم سبحانه: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾[1].

هذا وبعد أن ألقيت الضوء على السبب الأول من أسباب الشقاء وهو الإغترار بالشيطان أنتقل إلى السبب الثانى ألا وهو الإغترار بالدنيا فى الفصل الثانى فأقول وبالله التوفيق.

---

[1] سورة الإسراء الآية ٦٥

obeikandl.com

# الفصل الثانى

# الإغترار بالدنيا

## ويتكون من مبحثين:

## المبحث الأول: إتباع الهوى

## المبحث الثانى: الركون إلى شهوات الدنيا

obeikandl.com

# المبحث الأول

# إتبـــاع الهـــــوى

obeikandl.com

# اتباع الهوى

## مقدمة

يوجد فى مخ الإنسان مركزان، مركز للشهوات واللذائذ، ومركز للعقل الذى هو لجام لها، فيكبح العقل الشهوة إذا كانت ضارة، ويسمح بها فى غير ذلك ، وكل من هذين المركزين يقوى بالمران، كما هو الحال فى سائر أعضاء الجسد، فمن أطلق العنان لشهواته، اعتاد إرضاء هواه وإطاعته، فأصبح عبداً له لا يستطيع مكافحته، ولا الوقوف عند حد، ومن كبح هواه، ولم يسمح لشهواته أن تسلط عليه، سُميَ عاقلاً مالكاً لهواه.

**تعريف الهوى :**

"يطلق الهوى على إرادة النفس ما تحب"[١].

يقول **الجرمانى** "الهوى هو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع "[٢]

وقال **الراغب** : " الأهواء جمع هوى وهو ميل النفس إلى الشهوة ، وسمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل واهية وفى الآخرة إلى الهاوية"[٣].

مماسبق يتبين لنا: أن الهوى هوميل النفس إلى شيء ومحبتها إياه لذا يقال للحب هوى.

ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال : " الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فأنزل عن الهوى تسلم ، وأعرض عن الدنيا تغنم ، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهى ، ولا تفتنك دنياك بحسن العوارى ، فمدة اللهو تنقطع ، وعارية الدهر ترتجع ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم ، وتكتسبه من المآثم "[٤]

**ونلخص مما سبق :** أن الهوى -كما يعرفه العلماء هو ما تميل إليه النفس، وكل نفس لم يروضها صاحبها بالمجاهدة ، تهوى الراحة والشهوات ، سواء كانت حسية مثل شهوة الطعام والشراب والجماع وجمع المال و... أو معنوية من حب الرفعة ورؤية الناس لها فى مواطن

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى ٣٥٩/٥-٣٦١ تحقيق محمد على النجار ط المكتبة العلمية – بيروت– لبنان – بدون. ولسان العرب لابن منظور ٤٧٢٨/٦

(٢) التعريفات للجرجانى صـ ٢٥٧

(٣) المفردات للراغب صـ٥٤٨

(٤) أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى صـ٤٣ تحقيق محمد فتحى أبو بكر، دار الريان الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

الحمد، وكراهية رؤية الناس لها فى مواطن الذم ، وتهوى الشهرة وأن يشار إليها بالبنان. تحب النجاة وتكره أن تُلام أو تُخطأ... تحب الرفعة عن غيرها وتكره أن يتفوق عليها أحد .. تحب أن تُطاع ولا تحب أن تطيع.

**النفس[١] الإنسانية وأحوالها :**

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الإنسان – دون سائر مخلوقات الله تعالى – هو خليفته فى هذه الأرض ، هذه الحكمة لم تترك الإنسان سدى يتخبط أينما سار ، وإنما نظمت له كل حياته فى هذه الدنيا ، كما أنها أيضاً أزاحته من التفكير فى الحياة الآخرة ، ليتفرغ لمهمته الكبرى التى من أجلها خلق ألا وهى عبادة الله تعالى وحده.

وخلق الله تعالى الإنسان مركباً من عدة أجزاء ، لا ينفصل أحدها عن الآخر.. هذه الأجزاء تبدو وحدة واحدة لا انفصال بينها، فقد جمع فيه ﷻ الطبيعة المادية المتمثلة فى البدن ، والطبيعة الروحية المتمثلة فى الروح ، والطبيعة الفكرية المتمثلة فى العقل ، ولا يمكننا أن نشير إلى واحدة من هذه الثلاثة ونقول : هذا هو الإنسان وإنما الإنسان مجموع هؤلاء جميعاً ، وتأتى النفس لتكمل وحدة الإنسان ، ولتكون هى المكلفة بالتربية الخلقية.

وهيأ الله سبحانه وتعالى لكل طبيعة من الطبائع السالفة الذكر ما يناسبها من وظائف ، فجعل وظيفة البدن الغذاء والنمو من أجل المحافظة على البقاء، وجعل وظيفة الروح العبادة للإتصال بالخالق ﷻ ، وجعل وظيفة العقل التفكير، لتدبر شئون الطبيعة وتسخيرها لفائدة الإنسان ، ولتعقل كل شيء فيها ورده إلى الخالق، وجعل وظيفة النفس التربية الخلقية السليمة، لتسمو بصاحبها فوق مستوى الكائنات الأخرى، وبين لنا سبحانه طريق آداء كل وظيفة من هذه الوظائف ، وما يعنينا هنا هو بيان الوظيفة الخلقية.

---

[١] تأتى النفس فى اللغة على معان :

١- الروح: أى ما به تكون الحياة ٢- ما يكون به التمييز : وهى النفس ويشهد لهذين المعنيين قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (٤٢) سورة الزمر ، فالنفس الأولى هى التى تزول بزوال العقل ،.٣- بمعنى عند : ومنه قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦) سورة المائدة أى تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك ، ٥- الذات والجسم قال تعالى﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٥٦) سورة الزمر وقال تعالى ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ ﴾ (٦١) سورة النور وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ الآية رقم ١١١ من سورة النحل، تراجع هذه التعريفات فى لسان العرب لابن منظور جـ ٦ صـ ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ومختار الصحاح جـ١ صـ٢٨.

وقد منح الله تعالى الإنسان الشعور بالتمييز والإدراك الذى يستطيع به أن يتعامل مع خلق الله تعالى ، وتطبيق هذا الشعور وإنماؤه هو المسؤلية الكبرى الملقاة على كاهل الإنسان يقول ﷻ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[١]

أى أنه أعلمها ودلَّها على الفصل بين التقوى والفجور والطاعة والمعصية ، لكى تجتنب المعاصى وتقوم على الطاعة.

يقول العلامة **الشنقيطى** : "والمراد بالنفس هنا القوى المدركة ، والمفكرة والمقدرة للأمور والتى لها الإختيار ومنها القبول والرفض، والرضى والسخط ، والأخذ والمنع ، فإنها عالم مستقل ، وفى تسويتها لتلقى معانى الخير والشر ، واستقبال الإلهام الإلهى للفجور والتقوى أعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات (يعنى المادة الجسمانية) التى لا تبدى ولا تعيد والتى لا تملك سلباً ولا إيجاباً "[٢]

فإذا نشأ الإنسان نفسه على الكمال الخلقى فقد فاز، وإذا انحرف بها خسر وخاب وكان إثمه على نفسه، وفى ذلك يقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [٣]

والآية الكريمة بينت لنا أن النفس مفطورة على فعل الحسن والقبيح على حد سواء، أما سلوكها أحد النجدين، فهو اكتساب هيئت له، والفالح من عرف طريق السلوك الحسن، وسار فيه، محاولاً تزكية نفسه، وغير الفالح هو من يخطىء الطريق.

يقول العلامة **الزمخشرى**: "معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح ، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما ، بدليل قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما"[٤].

على أن الباب ليس مسدوداً أمام الخاطىء ، وإنما هو مفتوح على مصراعيه لكل أوَّاب، يثوب إلى رشده ، ويعود إلى الجانب الزكى فى نفسه ، محاولاً إظهاره ومزاولة فضيلته.

وإذا كانت غاية الإنسان فى الحياة غاية أخلاقية ، كان عليه أن يتعرف على النفس الإنسانية وقواها وأخلاقها وأمراضها ورزائلها ، فهناك حالات تعترى النفس وقد حصر القرآن الكريم هذه الحالات فى ثلاث :

---

[١] سورة الشمس الآيتان ٧-٨

[٢] أضواء البيان ٢٤٤/٩

[٣] سورة الشمس الآيتان ٩-١٠ ، ومعنى دسَّاها : حال بينها وبين فعل الخير ، وأصل فعل دس من الدس إذا أدخل شيئاً تحت شيء فأخفاه ، فكانه دس نفسه فى المعاصى وحجبها عن رؤية الحق ، وقيل دساها : أى أغواها وهو قريب من الأول (التحرير والتنوير ٢٣٧١/٣٠ بتصرف).

[٤] تفسير الزمخشرى ٢٥٩/٤

- حالة الأمر بالسوء والإغراء به ، فتسمى النفس حينئذٍ (أمارة)
- حالة اللوم والمراجعة ، فتسمى (لوامة)
- حالة السكون والإطمئنان إلى طيب العمل ، فتسمى (مطمئنة)

**إذاً** " فالنفس باعتبار ذاتها واحدة ، وباعتبار أوصافها متعددة ، وهذا هو ما ذهب إليه الفقهاء والمتكلمون وجمهور المفسرين وهو أيضاً قول محققى الصوفية "[١].

وأصاف النفس هى: الأمارة بالسوء، واللوامة ، والمطمئنة وهذه أوصاف وليست ذوات[٢] والمقصود من ذلك: أن النفس لها أحوال متعددة وفى كل حال لها وصف معين، ففى حال المعصية أنها أمارة بالسوء ، وفى المحاسبة
والندم فهى لوامة ، وفى حال السكون إلى الله تعالى والإطمئنان بذكره والإنابة إليه فهى مطمئنة، وسوف نوضح خصائص كل حالة من هذه فيما يأتى:

**النفس الأمارة:** "هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية،وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهى مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة"[٣].

أى هى النفس المذمومة التى تأمر بالسوء والفحشاء وتغرى به ، وتدفع البدن إلى إشباع كل الشهوات دون قيد أو شرط ، لأنها تعشو عن ذكر الرحمن، وتغفل عن أوامرالله تعالى ونواهيه، حيث يتسلط عليها الشيطان ويزين لها سوء عملها.

وفى هذا يقول **ابن القيم** : "وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذى يليها، فهو يعدها ويمنيها، ويقذف فيها الباطل ، ويأمرها بالسوء ويزينه لها، ويطيل فى الأمل، ويريها الباطل من الأمانى الكاذبة والشهوات المهلكة".[٤]

---

(١) إغاثة اللهفان ، لابن القيم ٩١/١

(٢) ويدل على ذلك ١- أنه لا يمكن عقلاً أن يقول قائل إن لكل أحد ثلاث أنفس كل نفس كل نفس قائمة بذاتها، مساوية للأخرى فى الحد والحقيقة ، وأنه إذا قبض العبد قبضت له ثلاث أنفس كل واحدة مستقلة بنفسها ٢- أن ذكر النفس فى القرآن أو السنة أو إضافتها إلى صاحبها يأتى دائماً بلفظ الإفراد ، ولم يأت موضع واحد فى القرآن أو السنة يضيف للفرد الواحد أكثر من نفس واحدة ، فليس فى القرآن أو الحديث كلمة " نفوسك ، أو نفوسه ، أو أنفسك ، أو أنفسه " وإنما جاءت مجموعة عند إرادة العموم كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ الآية =(٧) من سورة التكوير ، أو عند إضافتها إلى الجمع كقوله ﷺ (إنما أنفسنا بيد الله تعالى)، ولو كانت للإنسان ثلاث أنفس لجاءت مجموعة ولو فى موضع واحد ، يراجع : ابن القيم : إغاثة اللهفان ج ١ صـ ٩٢ ، وقارن : النفس ما لها وما عليها ، أ.د / محمد السيد أحمد شحاته ، ط ٢٠٠٤ دار الصواف للطباعة بالزقازيق صـ ١٢ وما بعدها

(٣) التعريفات للجرجانى صـ ٢٤٣

(٤) الروح لابن القيم الجوزية صـ ٣٦٤ ، تعليق كمال على الجمل ، مكتبة الإيمان – المنصورة – بدون .

وهى المشار إليها فى قول الله تعالى إخباراً عن قول امرأة العزيز : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[١]

والمعنى كما ذكره العلامة **أبو السعود**: "أنها مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلآت فى تحصيلها ".[٢]

ويقول **الإمام الشوكانى** : "أى إن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك".[٣]

قال ﷺ: (والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه) [٤]

ومرجع ذلك إلى: ما ركب فيها من دواعى الشهوات التابعة من الأهواء ومطالب الجسم ونزعات الشر، فقد سوى الله النفس وركّب فيها قواها المختلفة وأرشدها إلى أسباب الخسران وأسباب النجاح، والنجاة لتعرف الرشد من الغى.

**وعلاج هذه النفس** : "ووقاية الإنسان من شرها لا يكون إلاَّ باللجوء إلى خالقها، وفاطرها، أن يقيه شرها وأن يؤتيها تقواها ويزكيها فهو خير من زكاها، فإنه ربها ومولاها"[٥] وأن لا يكله إليها طرفة عين يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦]

**النفس اللوامة** : " هى التى تنورت بنورالقلب ، قدرما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية ، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها".[٧]

أى هى النفس المتيقظة الخائفة من الله تعالى ، المتوجسة التى تحاسب نفسها، وتتلفت حولها ، وتتبين حقيقة هواها، وتحذر خداع الشيطان لها، فلا تزال تلوم صاحبها على تقصيره وانحرافه فتدفعه إلى طريق الفضيلة.

---

[١] سورة يوسف الآية ٥٣
[٢] تفسير أبى السعود ٢٨٥/٤
[٣] تفسير الشوكانى ٣٥/٣
[٤] هذا جزء من حديث أخرجه البخارى ، كتاب الإستئذان ، باب زنا الجوارح دون الفرج ٦٢٤٣ ، ومسلم كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٢٦٥٧) ، وأبو داود (٢١٥٢) .
[٥] مدراج السالكين ٢٢٠/١
[٦] سورة النور الآية ٢١
[٧] التعريفات صـ٢٤٣

يقول **الإمام ابن القيم**: "النفس اللوامة هى التى لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بذله جهده، وأشرف النفوس من لامت نفسها فى طاعة الله تعالى ، واحتملت ملام اللائمين فى مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم"[١].

وقد بلغ من أهمية هذه النفس وعظم شأنها أن أقسم الله تعالى بها فقال﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.[٢]

فقوله سبحانه : (اللَّوَّامَة) "هو من اللوم وهو التأنيب والتوبيخ والتقريع، وأصلة العذل وهو الإحراق فكأن اللائم يحرق بعذله قلب العذول "[٣].

حيث أقسم سبحانه بيوم عظيم ، لتحقيق وقوعه وبيان هوله ، وإيقاظ النفوس النائمة الغافلة عنه ، فتصحو وتنتبه من سُباتها.

وقد ذكر الله تعالى النفس اللَّوَّامة إثر قسمه بيوم القيامة، للعلاقة الوثيقة بين مصير النفس وقيام ذلك اليوم ، حيث تقف فيه وحيدة بدون نصير، فهى نفس تفعل الخير وتحبه وتعمل المعصية وتكرهها ، نفس تعيش فى داخلها صراعاً بين الخير والشر.

والمراد بفضيلة لوم النفس فى حديث القرآن الأخلاقى : هو أن يتعود الإنسان ملاحظة نفسه فى أقوالها وأعمالها وحركاتها وسكناتها ، ليتابعها ويراجعها حين تنحرف أو تهم بشىء من الإنحراف ، ليعيدها إلى الصراط ويقيمها عليه ويلزمها به ، وكذلك يراجعها وهى تسعى بطيئة فى مجال الخير ، ليفجر فيها ينابيع النشاط والقوة والإجتهاد حتى تزداد من الخير ، وتجتهد فى ميدان البر ، وكأن الإنسان بهذه الفضيلة الأخلاقية القرآنية يقيم من نفسه على نفسه حارساً يقظاً حذراً ، يمنعها من السوء ، ويدفعها إلى الطيب من العمل والقول والتفكير ، وكأن هذه المتابعة هى ما يسميه أهل عصرنا بسلطة (الضمير)

**إذاً** "فالنفس اللوامة درجة سامية من درجات الوصول إلى الله تعالى ، لأنها تجعل الإنسان متيقظ الضمير دائماً، مراقباً لكل حركاته وسكناته بعيداً عن مسالك الشيطان ودروبه.

**النفس المطمئنة :** " هى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة "[٤].

---

[١] الروح لابن القيم الجوزية صـــ٣٦٢

[٢] سورة القيامة الآيتان ١-٢

[٣] لسان العرب ٢٨٦٢/٤ والراغب صـــ٤٧٣

[٤] التعريفات للجرجانى صـــ ٢٤٣

أى: هى النفس التى وازنت بين مطالب البدن ومطالب الخالق ، فلا يراها الله تعالى حيث نهاها، ولا يفتقدها حيث أمرها، لشعورها بأنه ﷻ مطلع عليها ، وهنا تكون النفس فى حالة اطمئنان وسكينة.

وفى هذه الحالة تكون أهلاً لرضى الله حيث يرضيها بما تحب وتشتهى من أنواع المتع التى حرمت منها نفسها فى الدنيا خوفاً من الله تعالى.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[١]

قال **القرطبى** "والنفس المطمئنة: الساكنة، الموقنة، أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك"[٢].

والمراد بها: النفس المصدقة بالحق فى الدنيا الراضية به، الآمنة من الخوف والفزع، المرضى عنها فى الآخرة وعداً من الله تعالى.

أخرج البخارى عن الحسن ﷺ قال:﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾، (إذا أراد الله ﷻ قبضها اطمأنت إلى الله تعالى، واطمأن الله تعالى إليها، ورضيت عن الله تعالى ورضى الله عنها، فأمر الله بقبض روحها وأدخله الله الجنة وجعله من عباده الصالحين) [٣].

قال **ابن حجر** – رحمه الله – : "وإسناد الإطمئنان إلى الله تعالى من مجاز المشاكلة، والمراد به لازمه من إيصال الخير ونحو ذلك"[٤].

وهكذا فالنفس المطمئنة هى التى تمثل أرقى درجات النفس الإنسانية، وأشرف قواها. هذا هو التحليل الإسلامى لقوى النفس الإنسانية ، فقد جعل النفس واحدة ، ولكن لها صفات وأحوال تعاقب عليها ، فتسمى باعتبار كل صفة باسم.

فالمرء حين ينغمس فى حمأة الرزيلة يتجه إليها بجمعيته وكليته ، فتصبح النفس بكل قواها أمارة بالسوء، وهكذا المرء ذاته حين يستيقظ دينه ويصحو ضميره، ينتقل بكليته إلى مرحلة اللوم، وتصبح حينئذٍ بكل قواها لوامة، وهذا المرء نفسه حين يتطهر من سوءته، ويتجه إلى ربه ضارعاً أسفاً نادماً، ينتقل بكليته إلى مرحلة الإطمئنان وتصبح النفس بكل قواها مطمئنة.

**نستخلص مما سبق:** أن النفس قوة تسيطر على الجسد فتوجه فيه الميول والنزعات إلى الخير أو الشر، قوة هائلة تهمل فتأتى بالشر المستطير، وتصقل فتفيض بالخير الكثير، تخفى

---

[١] سورة الفجر الآيات ٢٧-٣٠

[٢] تفسير القرطبى ٧١٤٧/١٠

[٣] أخرجه البخارى –كتاب التفسير – باب تفسير سورة الفجر ( رقم ٤٢٨) تعليقاً ، وقد وصله ابن أبى حاتم فى تفسيره كما قال الحافظ فى تعليق التعليق (٤/ ٣٦٧) ، وأبو نعيم فى الحلية ( ٢٩٩/٦-٣٠٠)

[٤] فتح البارى ٣٥٥/١٨

وتدس فى المعاصى والآثام وسيء الفعال فتوقع صاحبها فى الخيبة والخسران، وتنمى وتطهر فتعطى أطيب النتائج .

وأدنى درجات النفس أن تخضع لميولها، وتنقاد لشهواتها وتلح على صاحبها أن يفعل السوء، ولا يسمع لنداء الله تعالى، وداعى المروءة والخلق وهى المسماة بالأمارة، فهى بطبعها وشأنها تدعو إلى الإنحراف، والذى ينقذها من هذه الوهدة وينجيها من الخسران رحمة من الله تعالى توفق العبد إلى تهذيبها ومعالجتها ومجاهدتها حتى تأخذ طريقها إلى الرفعة، وتتحول إلى رقيب يرصد أعمال صاحبها، فإذا رآه انحرف عن الصراط السوى، فارتكب إثماً، أو قارف فجوراً، توجهت إليه بالتحذير واللوم، ودعته لتغيير سلوكه، وتقويم طريقه، وإن رأت منه الإنقياد إلى البر، والميل إلى الخير شجعته وأعانته على المزيد منه ، وتلك هى النفس اللوامة.

ولو شاء الله تعالى لوسع له فى رحمته، وزاده من فضله، فأقبل عليها بعزم شديد يكبح جماحها، ويقوِّى من إبائها، وينقيها من كل عيب حتى تستقر فى رحاب الإيمان العميق، والصفاء الخالص ، تنفر من الشر نفوراً، وتهوى الخير ألفاً وحباً، فلا يصدر عنها إلاَّ طيب، تستريح فيه وتطمئن إليه ، وتتبوأ مكانة النفس المطمئنة التى رضى الله تعالى عنها وحفَّها برضوانه، فرضيت بما وصلت إليه، فصارت مطمئنة راضية مرضية، ويمكن أن تكون هذه درجات بعضها فوق بعض والله ذو فضل عظيم .

تلك منازل متفاوته للنفس تتدرج فيها، وصور تبدو من خلال أعمالها، وأقرب الرسوم المرشدة إلى حقيقتها وتكوينها.

**تقرير القرآن الكريم للدوافع الفطرية والميول النفسية (الغرائز):**

أودع الله سبحانه فى الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع الفطرية لتسيره فى الحياة حتى يحقق الغاية من وجوده ولكل غريزة مجال خاص تعمل فيه.

وأقسى ما يلقاه الفرد فى حياته ، وأقسى ما يلقاه المجتمع أن تقمع هذه الغرائز أو الطبائع البشرية بسلطان القانون أو بسلطان العادات والتقاليد التى يقدسها مجتمع من المجتمعات.

وعلماء النفس يؤكدون أن القمع وهو القضاء على عريزة من الغرائز وامانتها لعدم موافقة نزعاتها إلى الحياة الإجتماعية هذه القمع كثيراً ما يضر بالفرد أو المجتمع لأن الغريزة المبكوته تحاول أن تظهر وتسعى فى غير رفق ولا هوادة إلى تحقيق هدفها بطرق غير مشروعة فإن وقفت أمامها الحواجز أضرت بصاحبها جسمياً وعقلياً.

لذلك لم يقف الإسلام أمام أية غريزة موقف البطش والعنف ولم يتنكر لأية طبيعة من الطبائع، بل سلك الطريق الذى يشعر معه كل دافع نفسى بأن المجال أمامه مفتوح لتحقيق ذاته والسير فيه على طريق سليم بدل أن يتخبط يميناً أو شمالاً.

ولهذا اعترف القرآن الكريم بكل البواعث النفسية ولم يقم سداً محكماً أمامها بل مهد لها الطريق وأنار لها مواقع أقدامها.

فهو مثلاً فى الغريزة الجنسية لا يعتبرها شراً، بل اعترف بها وصحح لها مجالها وأمن لها طريقها فأباح الزواج قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١]

بل أباح تعدد الزوجات فقال: ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَـاعَ ﴾[٢]

ولم ينكر على هذه الغريزة إلاَّ أن تنطلق جامحة وتخلف وراءها من الآثار السيئة ما يصعب علاجه قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾[٣]

وهو فى غريزة حب الإستطلاع يوسع لها المجال ويفتح أمامها ما ترضى به طموحها فيدعو الناس إلى أن يتفكروا فى خلق السماوات والأرض وإلى أن يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان الذين من قبل وإلى أن ينظروا فى الآفاق وفى أنفسهم ولكنه لا يدعها تطلب كل ما تريد وتنظر فيما يعنيها وما لا يعنيها بل كرمها وتسامى بها فمنع الإنسان أن يتتبع عورات الناس وأن لا يطلب ما لا حاجة له إليه قال تعالى :﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[٤]

وتبدو واقعية القرآن الكريم صريحة واضحة إزاء غريزة حب المال ، فالمال فيما يسجل القرآن :﴿ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٥] وهو (خير)كما جاء فى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[٦]،

---

[١] سورة النور الآية ٣٢
[٢] سورة النساء الآية ٣
[٣] سورة الإسراء الآية ٣١
[٤] سورة الإسراء الآية ٣٦
[٥] سورة الكهف الآية ٤٦
[٦] سورة البقرة الآية ١٨٠

وهو من (فضل الله) ، كما جاء فى قوله ﷻ :﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

ونجده أيضاً قد أباح الطيبات من الطعام ، وحث على تناولها دون إفراط أو تفريط فقال سبحانه: :﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٢)

وحرم الخبائث تناولها وتداولها فقال سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾(٣)

وقال سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤)

وبين أن الدعوة إلى تناول الطيبات ، وتوقى الخبائث إنما هو من صميم عمل الرسول ﷺ فقال سبحانه:﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾ (٥)

ومن جهة أخرى نجده قد نهى عن كبت هذه الغرائز وقتلها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٦)

فالآية الكريمة تشير إلى الدوافع الفطرية وحاجتها إلى الإشباع بدليل النهى عن كبتها أو قتلها بتحريم ما أباحه الله تعالى لها.

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: (رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لنا لاختصينا) (٧).

"والمراد بالتبتل الإنقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة والخصاء : الشق عن الأنثيين وانتزاعهما"(٨).

---

(١) سورة الجمعة الآية ١٠
(٢) سورة الأعراف الآية ٣١
(٣) سورة المائدة الآية ٣
(٤) سورة المائدة الآية ٩٠
(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٧
(٦) سورة المائدة الآية ٨٧
(٧) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء حديث ٥٠٧٣، وأبو وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مناف، صحابى جليل أسلم قديماً وهاجر قبل الرسول ﷺ وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله، وشهد بدراً والمشاهد كلها وكان أحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ت ٥٥هـ (الإصابة ٣٠/٢،التهذيب ٤١٩/٣ ، التقريب ٢٩/٢ )
(٨) فتح البارى ١٤١/١٩

وأنكر سبحانه على من حرم شيئاً من الطيبات التى أحلها الله لعباده ، وبين أنها حق للمؤمنين فى الدنيا يشاركهم فى التمتع بها غيرهم ، خالصة لهم فى الآخرة فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]

وسجل على جماعة من النصارى عجزهم عن الوفاء بما ألزموا به أنفسهم من رهبانية ابتدعوها ما فرضها عليهم سبحانه وتعالى فقال ﷻ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]. والرهبانية بمعنى اعتزال المجتمع وفرض ضروب قاسية على النفس من الحرمان والمشاق ليس من الإسلام فى شىء، ذلك أن الاديان فى جوهرها إنما جاءت لإصلاح البشر لا اعتزالهم، أى أن الدين للحياة.

ومن كل هذه الآيات نتبين أن القرآن جارى الفطرة الإنسانية وهيأ لها أن تسير فى طريقها ولم يحاول أن ينكر عليها أن تسعى فى طلب ما يحفظ الحياة ويزيد العمران.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم لا يدافع هذه الغرائز ولكنه- أيضاً- لا يتركها تضرب على غير هدى بل يضع لها الضوابط التى تسير فى مأمن من المزالق الضارة والعثرات القاتلة، وكيف يصادر الإسلام هذه الغرائز التى لا يقوم العمران البشرى إلاَّ على أساسها وقد أراد الله تعالى أن تعمر الأرض وأن يؤدى فيها الإنسان رسالته ويحقق الغاية من وجوده والغرائز من أهم أسلحته فى هذه الحياة ، ولذلك لا يتصور أن يدعو الإسلام إلى تحطيم هذه الأسلحة.

إن قصارى ما فعله القرآن الكريم أنه دعا إلى تهذيب القلب الذى تصدر منه الإشارة باستعمال هذه الأسلحة وإلى إنماء العقل الذى يراقب القلب الذى يشير واليد التى تضرب والميدان الذى ينشب فيه القتال.

يقول **الدكتور/ عبد الغنى الراجحى:** "إن القرآن الكريم فى أسلوبه وبيانه وبلاغته يلامس النفس البشرية ويمس شغافها ليأخذ بزمامها إلى طريق الهدى والرشاد عن فكر وإقناع.

فغريزة الدين والتدين- مثلاً- تنحرف فى الإنسان بالإشراك بالله والكفران وسائر العبادات الباطلة والعقائد الضالة والرهبانية وغيرها، فيتدخل القرآن بالهدى والإرشاد وإقامة

---

[1] سورة الأعراف الآية ٣٢
[2] سورة الحديدالآية ٢٧

البراهين على وجود الله تعالى ووحدانيته، والإقتصاد فى الإعتقاد ورسم المناهج السديدة للوصول إلى مرضاة الله ﷻ وعبادته العبادة الصحيحة، والآيات القرآنية فى هذه المعانى كثيرة.

وغريزة الجنس تنحرف بالزنا وسائر الإنحرافات الجنسية، فيتدخل القرآن بالبيان والإرشاد والنهى عن الزنا وما يشبهه ويفرض العقوبة فى الدنيا وينظم الزواج والطلاق والأسرة والحياة الزوجية ، والآيات القرآنية فى هذه المعانى كثيرة.

وغريزة حب المال والتملك تنحرف بالبخل ومنع الزكاة والربا والسرقة والغصب وسائر الإنحرافات المالية والإنهماك الشديد فى جمع المال وطلب الدنيا ، فيتدخل القرآن بالحث على الزكاة والكرم وتحريم الربا وسائر المعاملات المالية الفاسدة ، ويضرب الأمثال العديدة لحقارة الدنيا وتفاهتها والآيات القرآنية فى هذه المعانى كثيرة.

وغريزة حب البقاء تنحرف بالجبن والحرص على الحياة، والإبتعاد عن مواقف الشجاعة والجهاد فى سبيل الله والحق والوطن، فيتدخل القرآن بالإرشاد والبيان والحث على الشجاعة والوقوف فى وجه الباطل، والإستشهاد فى سبيل الله تعالى، والآيات القرآنية فى هذه المعانى كثيرة.

وهكذا نجد أن جميع المعاصى والجرائم والمحرمات التى نهى عنها القرآن الكريم وأمر بضدها من الفضائل، يمكن إرجاعها إلى غريزة أو مظهر غريزة من غرائز النفس البشرية فموضوع الأديان إذن- كل الأديان- إنما هى النفوس البشرية، إصلاحها واستقامتها وتنسيق طرق التنفيس عن غرائزها وحمايتها من الإنطلاق والإشباع البهيمى، ومن الحرمان والكبت القاتل لما خلق الله فيها، ومساعدتها على أصول سليمة وحكيمة وتربوية إلى أن تصل فى أمن وسلام إلى قمة صلاحها ونجاتها وسعادتها فى الدنيا والآخرة"[1].

**والخلاصة:** أنه يبدو واضحاً أن القرآن الكريم لم يتنكر للطبيعة البشرية ولم تتضمن تعاليمه ما يرغم الإنسان على أن يحارب طبيعته وهذا المسلك من القرآن الكريم هو الجدير بدين جاء لهداية الناس عامة وجعله الله خاتم الرسالات صالحاً لكل زمان ومكان وموافقاً لكل أمة. والحق أن محاربة الطبيعة البشرية لا تحقق إلاَّ أسوأ النتائج ذلك أن الناس حين يحسون فى قرارة أنفسهم أنهم ممنوعون منعاً عنيفاً من التنفيس عن غرائزهم يلجأون إلى أية طريق حتى يشبعوا هذه الغرائز إن لم يكن مراغمة للمجتمع وللتعاليم الدينية فاحتيالاً عليها وتخفياً عنها وهذا

---

[1] مجلة منبر الإسلام العدد ١٢، السنة ٢٣، ذو الحجة ١٣٩٥هـ - ديسمبر ١٩٧٥م تحت عنوان القرآن وغرائز الإنسان للدكتور عبد الغنى الراجحى صـ٢٣

ما يفعله الطفل حين يحرم عليه أبواه مباشرة بعض حقوقه المشروعة فنراه يباشر هذه الحقوق بطريقته الخاصة ويلجأ إلى الكذب والنفاق وما إليهما وما الإنسان إلاَّ طفل كبير.

فالإسلام – بحكمته- لا يدع الغرائز والعواطف تعمل عملها المطلق ، وتندفع في جموح إلى غايتها الطليقة ومداها البعيد ، حتى تورد أصحابها مورد الهلكة ، وتطيح بهم إلى الهاوية السحيقة ، ولكنه ينظمها ويهذبها ويوجهها إلى الإعتدال ، ويقودها إلى الخير والفلاح.

**فتنة النفس والتحذير منها :**

إن شر الأدواء التي تسوىء الصلات ، وتفصم عرى المودة والمحبة بين الناس ينفذ من أغوار النفس ، وهي قرين الشيطان في التأثير والأثر ، فكل شر في هذه الحياة مرده إلى النفس الأمارة بالسوء وإلى الشيطان ، إذهما يزينان للخلق تنكب الطريق السوى والصراط المستقيم ويحسنان لهم الإبتعاد عن نور الهداية والرشد لينغمسوا في ظلام الضلال والغواية .

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

"إنه مشهد من المشاهد العجيبة ، الجديدة كل الجد على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات إنسان يؤتيه الله آياته ، ويخلع عليه من فضله ، ويكسوه من علمه ، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع .. ولكن هاهو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة ، إنسلاخ الحى من أديمه اللاصق بكيانه .. أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس تلبس الجلد بالكيان ؟ .. ها هو ذا ينسلخ من آيات الله ، ويتجرد من الغطاء الواقى والدرع الحامى ، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم ، فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق ، ولا يحميه منه حام ، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه .. ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد. .. إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوناً بالطين، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طُورد ويلهث إن لم يُطارد .. كل هذه المشاهد المتحركة تتابع وتتوالى

---

[1] سورة الأعراف الآيتان ١٧٥-١٧٦

والخيال شاخص يتبعها فى انفعال وانبهار وتأثر.. فإذا انتهى إلى المشهد الأخير منها.. مشهد اللهاث الذى لا ينقطع .. سمع التعليق المرهوب الموحى على المشهد كله"[١].

فالجرى مع الهوى، والإنصياع مع وساوسه التى لا تنقضى، لن يشبع النفس، ولن يُرضى الحق، فالنفس كلما ألفت موطناً لشهوتها أحبت الإنتقال منه إلى موطن آخر، وهى فى رتعها الدائم ، لا تبالى بارتكاب الآثام واقتراف المظالم.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [٢]

يقول **الإمام ابن الجوزى:** "وبهذا القدر فضل الآدمى على البهائم – أعنى ملكة الإرادة – لأن البهائم وافقة مع طباعها، لا نظر لها إلى عاقبة ولا فكر فى مآل ، فهى تتناول ما يدعوها إليه الطبع من الغذاء إذا حضر ، وتفعل ما تحتاج إليه من الروث والبول أى وقت اتفق ، والآدمى يمتنع عن ذلك بقهر عقله لطبعه"[٣].

فإن الإنقياد لوساوس النفس يعنى الخضوع للأهواء، والأهواء بدورها تعنى الكفر بالله والإستسلام للشيطان قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٤].

قال ابن عباس ﷺ "كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه ، عبد الثانى وترك الأول"[٥].

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٦].

قال عكرمة: "أفرأيت من جعل إلهه الذى يعبده ما يهواه أو يستحسنه فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً "[٧].

---

(١) فى ظلال القرآن ٣/ ١٣٩٦

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩

(٣) ذم الهوى للإمام أبى الفرج الجوزى ١٩/١ ، صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطا ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

(٤) سورة الفرقان الآيتان ٤٣-٤٤

(٥) تفسير ابن كثير ٣٢٠/٣

(٦) سورة الجاثية الآية ٢٣

(٧) تفسير القرطبى ١١١/٨

وقد ذم الله تعالى الهوى فى كتابه العزيز، واعتبر اتباعه كعبادته، لأن الهوى إذا استولى على الإنسان استغرق وقته، وشغل فكره، ونسى الله وشريعته، وعمل فى سبيل إرضاء هواه ما حلَّ وحرم .

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١)

ويقول سبحانه عن مسالك الكافرين وضرورة معارضتها: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(٢)

يقول **الإمام الآلوسى** – رحمه الله – : "﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل : لم يعقلوا شيئاً من الآيات المفصلة بل اتبعوا ﴿أَهْوَاءهُم ﴾ الزائفة ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أى جاهلين ببطلان ما أتوا منكبين عليه لا يصرفهم عنه صارف حسبما يصرف العالم إذا اتبع الباطل علمه ببطلانه"(٣).

وقد كشف القرآن الكريم فى إيجاز الخطر الشامل الذى ينجم عن اتباع الأهواء فقال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾(٤).

ولقد ذكر **الإمام الرازى** فى بيان قوله تعالى (الْحَقُّ) فى هذه الآية عدة وجوه: "**الأول:** أن القوم كانوا يرون أن الحق فى اتخاذ آلهة مع الله تعالى ، لكن الواضح ذلك لوقع الفساد فى السماوات والأرض.

**الثانى:** أن أهوائهم فى عبادة الأوثان وتكذيب النبى محمد ﷺ وهما منشأ المفسدة والحق هو الإسلام فلو اتبع الإسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقاء هذا العالم وذلك يقتضى تخريب العالم وإفناءه.

**الثالث :** أن آراءهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم "(٥).

---

(١) سورة محمد(ﷺ) الآية ١٤
(٢) سورة الروم الآية ٢٩
(٣) تفسير الألوسى ٥٩/١٢
(٤) سورة المؤمنون الآية ٧١
(٥) تفسير الرازى ٣٩٤/١١

ولهذا دعا القرآن الكريم الرسول ﷺ إلى أن يكون قلبه يقظاً ، وحذره أشد التحذير وأوكده من الغافلين عن الحق فقال سبحانه: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[١]

يقول العلامة **الفخر الرازى** عند تفسيره لهذه الآية: "قوله تعالى:﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ يدل على أن شرأحوال الناس أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الحق ويكون مملوءاً من الهوى الداعى إلى الإشتغال بالخلق وتحقيق القول أن ذكر الله نور وذكر غيره ظلمة لأن الوجود طبيعة النور والعدم منبع الظلمة".[٢]

ومن ثم حذر القرآن من اتباع الهوى والإنصياع مع وساوسه التى لا تنقضى فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٣].

يقول العلامة **القرطبى**: "﴿ فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى ﴾ نهى فإن اتباع الهوى مُرْدٍ، أى مهلك كما أن اتباع الهوى يحمل على الشهادة بغيرالحق، وعلى الجور فى الحكم إلى غير ذلك قال الشعبى: أخذ الله ﷻ على الحكام ثلاثة أشياء: ألاَّ يتبعوا الهوى، وألاَّ يخشوا الناس ويخشوه، وألاَّ يشتروا بآياته ثمناً قليلاً"[٤].

وقد حفلت آيات الذكر الحكيم بالنهى عن اتباع كل الأهواء لتسلم للناس حياتهم من المنغصات والمكدرات وليتحقق التآخى بينهم فى أكمل وأجمل صورة .

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٥]

---

[١] سورة الكهف الآية ٢٨
[٢] تفسير الرازى ٢٩٩/١٠
[٣] سورة النساء الآية ١٣٥
[٤] تفسير القرطبى ٢٦٥/٣ بتصرف
[٥] سورة البقرة الآية ١٤٥

وقال سبحانه: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾[١]

وقال ﷻ : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ [٢]

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۞ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [٣]

وقال سبحانه :﴿ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[٤].

وهكذا من عديد الآيات الأخرى عن أثر الأهواء فى الكفر بالحق وعدم الإيمان بالله ورسله ونحن نسأل الله تعالى أن يكفينا دواعى الهوى ، ويصرف عنا سبل الردى ، ويجعل التوفيق لنا قائداً ، والعقل لنا مرشداً.

**ضرورة مجاهدة النفس وضبطها :**

جُبِلت النفس البشرية على الميل إلى اللَّذات الحسية والإنجذاب إلى الجهة السفلية، فتنة من الله تعالى ، واختباراً لها.

يقول **ابن الجوزى:** "النفس مجبولة على حب الهوى .. فافتقرت لذلك إلى المجاهدة والمخالفة ، ومتى لم تزجر عن الهوى، حجم عليها الفكر فى طلب ماشُغفت به ، فاستأنست بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة والأمانى العجيبة، خصوصاً إن ساعد الشباب الذى هو شعبة من الجنون، وامتد ساعد القدرة إلى نيل المطلوب[٥] "

فالنفس الإنسانية عنيدة مكابرة غرورة مغترة ترى فى الراحة والخمول أجمل أمانيها وفى اللعب واللهو أحب أوقاتها فى الشهوة والهوى جل حياتها لا تسكن أبداً عن الرغبات الدفينة ولا تهدأعن طلب الآمال العريضة ولا ترضى بالكلية عما وهبها الله تعالى من نعم وعطايا وهبات.

---

[١] سورة البقرة الآية ١٢٠
[٢] سورة الرعد الآية ٣٧
[٣] سورة طه الأيتان ١٥-١٦
[٤] سورة الأنعام الآية ٥٦
[٥] ذم الهوى لابن الجوزى صـــ٣٦

فالنفس إذاً مهما بلغت من التكامل الأخلاقى – ليست بمنأى عن الوقوع فى الشطط والسقوط فى الحماقة والإثم والعدوان فكم من رجل إنسان اقترن اسمه بالعلم والرفعة وقع فريسة لهوى النفس فأضاع كل ما بناه فى لحظات.

والإسلام كسائر رسالات السماء – يعتمد فى إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شىء ، فهو يكرس جهوداً ضخمة للتغلغل فى أعماقها وغرس تعاليمة فى جوهرها حتى تستحيل حزءاً منها.

وما خلدت رسالات النبيين وكونت حولها جماهير المؤمنين إلاَّ لأن النفس الإنسانية ، كانت موضوع عملها ومحور نشاطها ، فقد خلطوا مبادئهم بطوايا النفس فأصبحت هذه المبادىء قوة تهيمن على وساوس الطبيعة البشرية ، وتتحكم فى اتجاهاتها وربما تحدثت رسالات السماء عن المجتمع وأوضاعه ، والحكم وأنواعه ، وقدمت أدوية لما يصيب هذه النواحى من علل.

والإسلام – فى علاجه للنفس ابتغاء إصلاحها – ينظر إليها من ناحيتين :

أن فيها فطرة طيبة ، تهفو إلى الخير ، وتُسُربإدراكه ، وتأسى للشر ، وتحزر من ارتكابه ، وترى فى الحق امتداد وجودها وصحة حياتها.

وأن فيها إلى جوار ذلك – نزعات طائشة ، تشرد بها عن سواء السبيل ، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر ، ويُسِفُّ بها إلى مُنحدرسحيق.

وعمل الإسلام هو إسداء المعونة الكملة للإنسان ، كى يدعم فطرته ويجلى أشعتها، ويسير على هديها.

وكى يتخلص كذلك من وساوس الإثم! التى تراوده، وتحاول السقوط به، وقد وصف الإسلام نفسه بأنه دين الفطرة الخالصة من هذه الشوائب جمعاء قال الله فى كتـــابه العزيز: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١]

ويكره الإسلام أن تعالج الغرائز بالكبت العنيف، وأن تُتَملق بالإسراف البالغ، ويشرع له المنهج الوسط، بين الإفراط والتفريط.

وكما أن ضوابط الفطرة الخيرة فى الإيمان والإصلاح، لا فى الإلحاد والإباحة، فكذلك ضوابط هذه الغرائز النزقة "[٢].

---

[١] سورة الروم الآية٣٠

[٢] خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى صـــ٢١ وما بعدها بتصرف ، ط دار الكتـــب العلميـــة الطبعـــة الاولـــى ١٤٠٨هـــ – ١٩٨٧م.

فالإرتقاء بالنفس والنهوض بها-باعتبار طبيعتها التغييرية- يحتاج إلى ضبط وانضباط خاصَّين، يستمدَّان أصولهما من كتاب الله تعالى، الذى تحدَّث عن مراتب النفس، وبيَّنها من خلال سوره وآياته.

"فالضبط هو لزوم الشيء وحبسه، والضابط هو الذى يلازم ما يضبطه، ويصبر نفسه معه حفظاً وحزماً، والأضبط الذى يعمل بيديه جميعاً، و(ضبط) فعل يتعدى بنفسه، بمعنى أنَّ له فاعلاً ومفعولاً، فالفاعل هو الضابط والمفعول هو المضبوط، أى الموضوع والمجال الذى يقع فيه أو به أو عليه الفعل والعملية الضبطية "[١].

فإذا انصرف المعنى إلى ضبط النفس وانضباطها دلَّ على حبس النفس عن الشر وإلزامها بالخير مع الصبر عليها والحزم معها، وهو ما أطلق عليه علماء التربية بتزكية النفس فى مقابل تدسيتها وقد أقسم الخالق- سبحانه- أقساماً سبعة فى مطلع سورة الشمس على أن المفلح من زكَّى نفسه والخاسر من دسَّاها ، فقال : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۞ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢]

فإذا تتبعنا آى القرآن الكريم وجدناه عنى بتطهير النفس البشرية من جميع الخواطر السيئة والأخلاق النفسية الذميمة.

ولما كانت هناك عوامل خارجة عن النفس البشرية قد تنحرف بها عن الطريق المستقيم لذلك فقد تكفل الله سبحانه بوضع ضوابط لحماية النفس ودعا إلى تنميتها وهيأها لتصل بالنفس إلى المستوى الإنسانى الرفيع فتعلو بها عن صغائر الأخلاق وتحفظ عليها فطرتها كما برأها الله تعالى، ومن أقوى هذه الضوابط تأثيراً على النفس وسلوكها (العقل)وهو قوة فطرية فضل الله تعالى بها الإنسان على الحيوان.

وقد دعا القرآن الكريم إلى تنمية العقل فحث على التأمل فى ملكوت السموات والأرض وفى آفاق النفوس البشرية لمعرفة أسرار الكون وعجائب الفطر، وما تدركه الحواس من مظاهر الحياة ثم التأمل الداخلى فى النفس لهذه المدركات فهذا هو ما ينمى هذه القوة الفطرية التى أودعها الله فى الإنسان وهى العقل.

---

[١] لسان العرب مادة ضبط صـ ٢٥٤٩

[٢] سورة الشمس الآيات ١-١٠

والعقل ككل جزء فى الآلة وكل عضو فى الإنسان متى أهمل ضعف عن آداء وظيفته كما أن جزء من أى آلة إذا أهمل صدىء وتوقف وكذلك فإن أى عضو فى جسم الإنسان إذا ظل زمناً طويلاً لا يعمل فقد القدرة على العمل.

وعمل العقل هو الفكر والتأمل ومن هنا كرر القرآن الكريم فى آيات كثيرة الدعوة إلى النظر والتفكر وكأن ذلك عناية بالعقل وعملاً على تنشيطه وتقويته، وإنما كان العقل ضابطاً من ضوابط النفس وعاصماً من جموح الغرائز لأنه- إذا صفا- يحجز عن الشر ويبعد صاحبه عن الغواية.

"ولما كان الهوى غالباً وإلى سبيل المهالك مورداً، جُعِلَ العقل عليه رقيباً مجاهداً يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته ، ويدفع خداع حيلته، لأن سلطان الهوى قوى، ومدخل مكره خفى، ومن هذين الوجهين يُؤْتَى العاقل حتى تنفذ أحكام الهوى عليه، أعنى بأحد الوجهين ، قوة سلطانه ، وبالآخر خفاء مكره"[١] .

فالنفس البشرية قد يسول لها الشيطان الشر ويدعوها إليه ، وقد يزين لها الأشرار طريق الغواية ولكن العقل يعصمها ويحول بينها وبين الخسران والهلاك.

فنفس الإنسان كثيراً ما تسوقه إلى مواطن الريبة وكثيراً ما تغريه بارتكاب المحرمات ، مطامعها كثيرة وتطلعاتها متعددة ، ومن ترك زمامها جمحت به ولا يستطيع كبحها.

**قال الشاعر:**

وخالف النفس والشيطان واعصهما ** وقَـــــوّمَ النفس بالأخلاق تستقـــــم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على ** حب الرضـــاع وإن تفطمه ينفطـــــم[٢]

وأصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير ما تهوى ، وليس المـراد بمجاهدة النفس منعها مما يُقيمها، ومخالفتها على الإطلاق ، فإن ذلك يُفسد حالها فيعميها ويشتت عزمها ويؤذيها أكثر مما ينفعها.

يقول **ابن الجوزى** فى بيان جميل: "أعجب الأشياء مجاهدة النفس ، لأنه تحتـاج إلـى صناعة عجيبة، فإن أقواماً أطلقوها فيما تحب فأوقعتهم فيما كرهوا ، وإن أقوامـاً بـالغوا فـى خلافها حتى منعوها حقها وظلموها ، وأثَّر ظلمهم لها فى تعبداتهم ، فمنهم من أسـاء غـذاءها

---

[١] أدب الدنيا والدين صـ٣٩

[٢] جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم صـ٥١٦ بتصرف تأليف الإمام زين العابـدين أبى فرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى ، تحقيق حمدى الدمرداش محمد، ط دار المنار – الطبعة الاولى – بدون والأبيات للإمام البوصيرى فى شرح البردة صـ ٣ مكتبـة الآداب ١٩٩١م.

فأثر ذلك فى ضعف بدنها عن إقامة واجبها ، ومنهم من أفردها فى خلوة أثمرت الوحشة من الناس ، وآلت إلى ترك فرض أو فضل من عيادة مريض أو بر والدة.

وإنما الحازم من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فإذا فسح لها فى مباح لم تتجاسر أن تتعداه، فيكون معها كالملك إذا مازح بعض جنده، فإنه لا ينبسط إليه الغلام، فإن انبسط ذكر هيبة المملكة، فكذلك المحقق: يعطيها حظها ويستوفى منها ما عليها"[١]

والإنسان العاقل هو الذى يستعلى على غرائزه ويسيطر على نفسه، ويكون صاحب إرادة قوية، يقف بها حائلاً بين نفسه وبين شهواتها، ولا شك فى أن ذلك يحتاج إلى معاناة ومشقة.

"فإن جميع المعاصى إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء "[٢].

ومن الحقائق المسلمة– التى لا يختلف فيها عاقلان– أن كل الخير فى رضا الله، وأن رضاه تعالى عمن خالف هواه، الذى فيه رداه، فقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [٣]

يقول ابن عباس عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "إن ارتفع لك الخصمان فكان لك فى أحدهما هوى فلا تشته فى نفسك الحق له ليفلج[٤] على صاحبه ، فإن فعلت محوت اسمك من نبوتى ، ثم لا تكون خليفتى ولا أهل كرامتى"[٥].

وإذا كان داء النفس الذى يهلكها – اتباع هواها – فدواؤها الشافى من دائها هو مخالفة ذلك الهوى، وقد قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [٦].

يقول العلامة **أبو السعود:** "﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ ﴾ أى مُقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى، ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى ﴾ عن الميل إليه بحكم

---

(١) صيد الخاطر للإمام ابن الجوزى صـ٩١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) سورة ص الآية ٢٦
(٤) فلج : فلجا : ظفر ، ويقال : فلج بحاجته وبحجته : أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه ، المعجم الوسيط ٦٩٩/٢ مطابع الأوفست ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م
(٥) تفسير القرطبى ١٢٤/٨
(٦) سورة النازعات الآيتان ٤٠-٤١

الجبلة البشرية ، ولم يعتد بقناع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ له لا غيرها "[١].

وللفوز بهذا المآل، والسعادة بمأوى الجنة يحتاج المرء إلى مجاهدة نفسه ، ومقاومتها ، حتى تعتصم بطاعة الله تعالى وتنأى عن الخطايا ، وما يدفع إلى جهنم.

ولقد أرشدنا هادينا صلوات الله وسلامه عليه إلى مجاهدة النفس ، فقال :(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه وتمنى على الله) [٢].

ولذلك : عنى سلفنا الصالح بمخالفة هوى النفس ، ومجاهدته ، حتى كانوا يتدربون على ذلك ، بترك المباح ، ليعتادوا مخالفة هوى نفوسهم على الدوام ، فيسلموا من مخالفة تعاليم الهدى ، وينجو من عصيانه تعالى.

فما أجدر العاقل أن يأخذ بنصح القائل :

" إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة ⁂ وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما ⁂ هواها عدو والخلاف صديق "[٣]

فمخالفة متطلبات النفس أمر ضرورى يقتضى أن يكون سلاحاً لكل عاقل وسيفاً مسلطاً دائماً على رغبات النفس وحاجاتها العاجلة فى الشهوات والأهواء.

فعلى الإنسان إذاً ليخالف هوى نفسه ، الذى يسخط الله تعالى ، ويتبع الهدى ، الذى جاءت البشرى بثوابه ، والسلامة من عقاب مخالفته ، وتأتى نفسه التقوى ، وتميل إلى الخير ، وتترك الفجور والشر ، وتبعد عن شهوات الدنيا ولذاتها ، التى تغضب الله تعالى.

وما أحسن ما قيل :

" إنى بليت بأربع ما سلطوا ⁂ إلاَّ لأجل شقاوتى وعنائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى ⁂ كيف الخلاص وكلهم أعدائى"[٤]

---

[١] تفسير أبى السعود ٨٢٩/٥

[٢] أخرجه الترمذى فى السنن رقم (٢٤٦٧) ، ورواه أحمد (١٧٠٥٩) ، وابن ماجه (٤٢٥٠) ط دار الفكر – بيروت – لبنان ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

[٣] الحارث الكندى – عيون الأخبار لابن فتيبة جـ٥ صـ ٣٥ الهيئة العامة لقصور الثقافة – بدون.

[٤] أبو العتاهية ، عيون الأخبار – لابن قتيبة جـ٣ صـ١٥٥ الهيئة العامة لقصور الثقافة – بدون.

**الخلاصـــة:**

مما سبق يتبين لنا أن النفس هى مأوى كل شر، وأن شأنها دائماً طلب الحظوظ والقرار من الحقوق، فمتى وافقها العبد فيما تريده أسَرتْه واستعبدته، وجهاد النفس أشد من جهاد الأعداء، لأنها محبوبة وما تدعو إليه محبوب، فهى لا تدعو إلاَّ إلى ما تشتهى. فلو لبى الإنسان كل مـا تطلبه نفسه وهواها، لسار بها إلى الهلاك لا محالة، فلن يقيم فريضـة لأن نفسـه تكـره التكليف وتحب الراحة، فإن كان فى قلبه بقية من إيمان وأقام الفريضة فإن نفسه لا تترك عمله يصعد خالصاً إلى الله دون أن تأخذ نصيبها منه، فتجعله إما يرائى به، أو يتكبر بـه على غيره فيظن أنه أفضل من غيره بهذا العمل، أو يُدل به على الله بأن يرى لنفسه مكانة بهذا العمل، عند الناس، أو يُدل به على الله بأن يرى لنفسه منزلة بهذا العمـل عنـد الله ..... وفى النهاية تأخذ نفسه حظها كاملاً من ذلك العمل.

ولن يبالى الإنسان من أى وجهة جمع ماله فكل همه إرضاء نفسه وإشباع رغباتها فى جمع المال.

وسيطلق لبصره العنان بل ولفرجه أيضاً ، وسيملأ بطنه بكل ما تشتهيه نفسه دون نظر إلى حلال أو حرام.

فما من معصية يقترفها العبد إلاَّ بسبب الجهل أو الهوى ، فالذى يكذب لينجى نفسه فى الحال ما فعل ذلك إلاَّ اتباعاً لهوى نفسه فى حب النجاة وخوف الملامة ، والذى يسـرق يتبع هوى نفسه فى حب جمع المال وإنفاقه على شهواتها.

والذى يرائى يتبع هوى نفسه فى حبها للرفعة فى أعين الناس ، بل إن أى تقصير فـى أداء الفروض والطاعات ما هو إلاَّ نتاج اتباع الهوى. فما تثاقل المرء حتى فاتته صلاة الجماعة إلاَّ بسبب اتباعه لهوى نفسه فى حب الراحة، وما ترك المرء الصوم إلاَّ طلباً لراحة نفسه، ومـا ترك قيام الليل إلاَّ اتباعاً لهوى نفسه من حب الراحة وكراهية المشقة.

وبعد : فإن الإسلام يحترم الفطرة الخالصة ، ويرى تعاليمه صدى لها ، ويحذر الأهواء الجامحة ، ويقيم السدود فى وجهها، والعبادات التى أمر بها هى تدعيم للفطرة وترويض للهوى ، ولن تبلغ هذه العبادات تمامها وتؤدى رسالتها إلاَّ إذا كانت كلها روافد لتكوين الخلـق العـالى، والمسلك المستقيم.

وحسبنا أن جهاد النفس، يرفعها من مرتبة النفس الأمارة بالسوء إلـى مرتبـة الـنفس المطمئنة، التى اطمأنت بطاعة الله إلى حسن الحال فى المآل برضاه تعالى فى أخراه ، وكانـت

أهلاً للمخاطبة بقوله تعالى: ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1]

[1] سورة الفجر الآيات ٢٧-٣٠

obeikandl.com

# المبحث الثانى

# الركون إلى شهوات الدنيا

obeikandl.com

# الركون إلى شهوات الدنيا

## مُقَدِّمَة

خلق الله تعالى الثقلين لعبادته وحده لا شريك له ، وأوجب عليهم تقواه والإشتغال بطاعته كما قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [١] وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢]

وامتحاناً منه ﷻ لهم سلط عليهم من نفوسهم الأمارة بالسوء ومن شياطين الجن والإنس ما يزين لهم المخالفة ويدعوهم لها، وصف – سبحانه – طاعته بالمكاره ومخالفة أمره بالشهوات، ليرى – تعالى وتقدَّس– من يُقبل عليه بإرادة واختيار، ومن يلهو فى بحار الشهوات، ويسرح فى أودية الملذات فينسى نفسه والغاية من خلقه.

**حديث القرآن عن الشهوات :**

يحسن قبل عرض حديث القرآن عن الشهوات ، الوقوف على المراد بها فى أصل الوضع اللغوى كما نطقت بذلك المصادر اللغوية.

**جاء فى لسان العرب:** "شهوات جمع شهوة، من شها الشيء شهاد– كدعاد– يشهاه شهوه، وشهاه يشهوه أى رغب فيه ونزعت نفسه إليه"[٣].

**وفى المعجم الوجيز:** "الشهوة الرغبة الشديدة، وما يشتهى من الملذات المادية"[٤]

**وفى المفردات للراغب:** "الشهوة نزوغ النفس إلى ما تريد"[٥].

**وفى معنى الشهوة:** "الهوى ولكن غلب استعماله فى المعنويات كالمذاهب والأفكار والمعتقدات ونحوها مما فيه مخالفة للحق والصواب واستعباد للنفوس"[٦].

ومما سبق يتبين لنا أن الشهوة فى أصل اللغة تعنى : ميل النفس إلى ما تريد وفى معناها الهوى.

---

[١] سورة الذاريات الآية ٥٦

[٢] سورة البقرة الآية ٢١

[٣] لسان العرب ٤/٢٣٥٤ ، وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٤/٤٤

[٤] المعجم الوجيز صـ٣٥٤

[٥] المفردات صـ٢٧٠ ط الحلبى

[٦] معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/٢١٠ بتصرف

**أما عن حديث القرآن الكريم عن الشهوات** " فقد تكرر ورود الكلمة فى القرآن الكريم فى ثلاثة عشر موضعاً "[١] ما بين فعل واسم ، غلب استعمال الإسم منها فى المذموم كقوله سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾[٢] وقوله سبحانه:﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[٣].

بينما غلب استعمال الفعل فى المحمود من الشهوات كقول الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [٤] وقوله ﷻ:﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٥].

ولعل فى ذلك إشارة إلى أن الأصل فى الشهوات الذم ، لما أن الإسم يفيد الثبات واللزوم.

ويدور معناها فى سائر المواضع على معنى ميل النفس ونزوعها إلى ما تريد حساً أو معنى، والقرآن الكريم يقرر أن هذا الميل أمر فطرى فى النفس البشرية كما فى قول الله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [٦].

يظهر مما سبق أن الشهوات فى القرآن الكريم منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم.

**فالشهوات المحمودة** :جاء حديث القرآن الكريم عنها بصيغة الفعل الدال على التجدد والإستمرار ، ولعل هذا الورود كان مقصوداً لتخليص المخاطبين من سلطان الشهوات الزائلة الزائفة فى هذه البيئة الجاهلية ، بأسلوب يترقى بالنفس ويرتفع بها من حضيض الشرك وتوابعه إلى آفاق الإيمان ورحابته ، فيشوقهم إلى النعيم السابغ فى الجنة بقوله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

---

[١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صـ ٣٩٠
[٢] سورة النساء الآية ٢٧
[٣] سورة الأعراف الآية ٨١
[٤] سورة فصلت الآية ٣١
[٥] سورة الزخرف الآية ٧١
[٦] سورة آل عمران الآية ١٤

تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾. [١] وقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [٢]، وقوله تعالى﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ [٣].

كما يشوقهم إلى أفراد هذا النعيم فيقول جل ذكره : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[٤] ويقول ﷻ :﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[٥] وقوله سبحانه: ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [٦]

وكما هى عادة القرآن الكريم فى الجمع بين أسلوب الترغيب والترهيب ، يجىء حديثه عن شهوة محمودة تظهر بعد فوات الأوان ، وهى إشتهاء الكافر الإيمان بعد أن تخلصت نفسه فى الآخرة من سطوة الشهوات ، كما جاء فى قول الله تعالى يقص نبأ ذلك :﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۞ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ .[٧]

"والتناوش: التناول والمعنى: كيف لهم تناول الإيمان وتحصيله وهم فى الآخرة حيث لا رجعة إلى الدنيا ليحصلوا فيها الإيمان"[٨].

وهكذا يبدو من خلال هذا الورود المتكرر فى حديث القرآن عن الشهوات بلفظ الفعل الإشارة إلى ما ينبغى من مجاهدة النفس، وتوجيه ميولها وغرائزها إلى اشتهاء نعيم الجنة ، واشتهاء الإيمان الموصل إلى هذا النعيم ، وضبط نوازع النفس وميولها إلى لذائذ الدنيا وشهواتها بحيث لا تنصرف الهمة إليها ، ولا يُحرص عليها إلاَّ بالقدر الذى يعين على بلوغ الجنة ونعيمها.

واستشعار أن النسبة بينهما كنسبة الوسائل والموصلات إلى المقاصد والغايات والقرآن الكريم يقرر هذه النسبة وتلك العلاقة فى مواضع كثيرة من مثل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٩] وقوله

---

[١] سورة فصلت الآية ٣١
[٢] سورة الأنبياء الآية ١٠٢.
[٣] سورة الزخرف الآية ٧١
[٤] سورة الطور الآية ٢٢
[٥] سورة الواقعة الآيات٢١ -٢٣
[٦] سورة المرسلات الآية ٤٢
[٧] سورة سبأ الآيات ٥١- ٥٤
[٨] مختصر ابن كثير ١٣٧/٣
[٩] سورة البقرة الآية ١٧٢

سبحانه فى مقام الإمتنان والتذكير بنعمه سبحانه: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) وقوله سبحانه يقص دعاء الخليل عليه السلام : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

يقول **الإمام ابن كثير:** "أى ليكون ذلك عوناً على طاعتك".(٣)

ويقول **الإمام الألوسى:** "واستدل به على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هى ليستعان بها على آداء العبادات وإقامة الطاعات"(٤).

ومن ثم فقد حدَّ الله سبحانه لشهوات النفس فى الدنيا حداً شرعياً بـه تكون محمودة، وموصلة لهاتيك الغاية العظيمة، وقد بين القرآن الكريم أن هذا الحد يتمثل فى كون هذه الميول منصرفة إلى الحلال الطيب ولذا قال سبحانه : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٥).

وبين كذلك أن هذا الحد يتسم بالوسطية -وهى سمة أصلية فى هذا الدين -فقال سبحانه:﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٦).

ومعلوم أن الأكل ليس مقصوداً بذاته فى هذه الآية ونظائرها ، وإنما المقصود سائر المنافع المشروعة فى المطعم والمشرب والمنكح وغير ذلك ،وعبر بالأكل لشدة الحاجة إليه وتكررها واشتراك الكل فى هذه الحاجة.

وبين ثالثاً أن إطار هذا الحد الشرعى وما يحويه من الشهوات يلبى كل حاجات الغرائز ويحقق الإشباع الكامل فقال : ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ (٧).

**أما الشهوات المذمومة :** فتتمثل فيما تميل إليه النفس من مشتهيات الحياة الدنيا مما هو خارج عن الإطار والحد الشرعى الذى سبق بيانه.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٦
(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٧
(٣) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٢
(٤) تفسير الألوسى ٢٤٠/١٣
(٥) سورة المائدة الآية ٨٨
(٦) سورة الأعراف الآية ٣١
(٧) سورة إبراهيم الآية ٣٤

وللإمام **أبى الفرج الجوزى** كلام وجيه فى ميل النفس إلى الشهوات ، يطيب لى أن أذكره تحقيقاً للفائدة، إذ يقول – رحمه الله تعالى- : "رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائداً فى المقدار حتى أنها إذا مالت، مالت بالعقل والذهن، فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النصح.

فصحت بها يوماً: ويحكِ قفى لحظة أكلمك كلمات ثم افعلى ما بدالك.

فقالت: قل أسمع، قلت: قد تقرر قلة ميلك إلى المباحات من الشهوات، وأما جُل ميلك فإلى المحرمات، وأنا أكشف لك عن الأمرين، فربما رأيتِ الحلوين مرين.

أما المباحات من الشهوات، فمطلقة لكِ ولكن طريقها صعب، لأن المال قد يعجز عنها والكسب قد لا يُحصل معظمها، والوقت الشريف يذهب بذلك.

ثم شغل القلب بها وقت التحصيل، وفى حالة الحصول، وبحذر الفوات، ثم ينقصها من النقص ما لا يخفى على مميز.

وأما المحرمات: فهى آفة العرض ومظنة عقاب الدنيا وفضيحتها، وهناك وعيد الآخرة ثم الجزع كلما ذكرها التائب.

وفى قرة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة ألا ترين إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً؟

لأنه قُهرَ، بخلاف غالب الهوى فإنه يكون قوى القلب، عزيزاً لأنه قهر.

فالحذر من رؤية المشتهى بعين الحُسن، كما يرى اللص لذة أخذ المال من الحرز، ولا يرى بعين فكره القطع"[1].

فكم من الناس من يأتيهم الفساد من جهة شهواتهم وعدم قدرتهم على التحكم فيها، فيندفعون إلى الشر والسوء وهم يعلمون أنه شر وسوء، ولكنهم ينساقون وراء شهواتهم الجامحة، فمنهم من تفسده شهوة المال، ومنهم من تفسده شهوة الجاه والسلطان، ومنهم من تفسده شهوة الظهور والشهرة، ومنهم من يندفع وراء شهوته الجنسية، أو شهوة الشراب، أو شهوة القمار، أو اللعب أو العبث، فيفسد بذلك سلوكه فى حياته وفى مجتمعه، ويضطرب عليه الأمر فيهما، فينتهى إلى خسران نفسه، وخسران دنياه، وخسران آخرته.

ويسهل علينا أن نرى فى كل مجتمع أفراداً من هؤلاء، لا فى حاضرنا فقط، بل كان منهم كثيراً من الماضين، وسيكون منهم كثيرمن الآتين، فالناس هم الناس فى كل زمان ومكان.

---

[1] صيد الخاطر للإمام أبى الفرج بن الجوزى صـ٤٨ ، ٤٩ بتصرف ط دار ابن خلدون

وربما وجدنا صنفاً من الناس اجتمعت عليه الشبهات والشهوات، وهذا يكثر فيمن فسد اعتقاده ، فقلما يفسد اعتقاد إنسان إلاَّ ويفسد عمله ، وتطغيه شهواته، فإن الإنسان إنما يحارب الشهوات إذا كان له رصيد من الإيمان الثابت، وحظ من الحرص على الحق والذود عن حياضه، فإذا فقد ذلك لم يكن له ما يعجزه عن تلبية شهواته ورغباته.

**وصف الدنيا**

وقد سميت بالدنيا من الدنو أى القرب فهذه الحياة الدنيا هى تلك التى نحياها ونحسها بحواسنا لقربها منا والتصاقنا بها ، ولكن للإنسان حياة ثانية هى الأصل والأساس وهى الباقية الخالدة، وهى الهدف والغاية من وجودنا فى هذه الحياة الدنيا، فهى مزرعة الآخرة ومن زرع حصد.

**جاء فى لسان العرب:** "الدنيا مؤنث الأدنى الأقرب الألصق يقال: هو ابن عمى دنيا (منون وغير منون) قريب لاصق النسب، ثم صارت تطلق على الحياة الحاضرة أو العاجلة التى تسبق الحياة الغائبة أو الآجلة وسميت بذلك لدنوها، أى لقربها منا، إذ يقال دنا من الشىء دناوة، فهو دان: قرب، أو لخستها وحقارتها إذا طلبت لذاتها يقال: هذا دنىء: خسيس دون، أو لنقص، وقصر عمرها فى جنب عمر الآخرة، تقول: أعطى الدنية فى دينه النقيصة"[١].

والمراد بالتنافس على الدنيا: "التبارى فى الرغبة فيها وأسبابها وحظوظها"[٢].

وحب الدنيا رأس كل خطيئة، والتكالب عليها أساس كل بلية، والإنهماك فيها أصل كل رزية.

يقول **الإمام ابن القيم:** "فحب الدنيا والرياسة هو الذى عمر النار بأهلها، والزهد فى الدنيا والرياسة هو الذى عمر الجنة بأهلها والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير، وصاحب هذا السكر لا يفيق منه إلاَّ فى ظلمة اللحد، ولو انكشف عنه غطائه فى الدنيا لعلم ما كان فيه من السكر وأنه أشد من سكر الخمر"[٣].

فمن أراد الدنيا للدنيا انقطعت عنه مع أنفاسه الأخيرة .. وولت هاربه عنه فى لحظاته الرهيبة .. ومن أراد الدنيا طريقاً إلى الآخرة وسبيلاً إلى جنة عرضها السموات والأرض، فحسبه ما طرَق .. وسبيله إلى دار السلام برحمة من الله ورضوان، يقول سبحانه فى وصف

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٤٣٥/٢ ، ١٤٣٦ ، والمعجم الوسيط ٢٩٨/١ ، ٢٩٩ بتصرف

(٢) آفات على الطريق للدكتور / السيد محمد نوح ١٧١/٤ ، ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

(٣) عدة الصابرين للإمام ابن القيم الجوزية صـ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ط دار الحديث الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣

حقيقة الدنيا ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. (١)

يقول **الإمام الزمخشرى** عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد إقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاماً بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورحيقه ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً ﴿ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفه على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ أى متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾ وهو ضرب زرعها ببعض العاهات ﴿ فَجَعَلْنَاهَا ﴾ فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ شبيهاً بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله "(٢).

وهكذا فإن الدنيا كسراب ممتد وليل مظلم .. طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً .

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(٣).

يقول **الإمام القرطبى**: "إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر فى موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها، من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر"(٤).

---

(١) سورة يونس الآيتان ٢٤-٢٥
(٢) تفسير الكشاف للزمخشرى ١٨٧/٢ بتصرف ، ط دار عالم المعرفة
(٣) سورة الكهف الآية ٤٥
(٤) تفسير القرطبى ٢٦٨/٥

"ها هى الدنيا دار أمانى وغرور، أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر ونحن منها على خطر، إما نعمة زائلة وإما بلية نازلة ، وإما مصيبة موجعة ، وإما ميتة قاضية"(١).

قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.(٣)

يقول **العلامة أبو السعود:** "أى إلاَّ كما يلهو ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه"(٤).

وقدم اللعب على اللهو فى بعض الآيات وقدم اللهو على اللعب فى بعضها الآخر كما هو الشأن فى سور الأنعام ، والعنكبوت وغيرهما من السور ، وذلك لنكته عظيمة.

ذكرها **العلامة الرازى** إذ يقول: "ولما كان المذكور هنا (أى فى سورة الأنعام) من قبل الآخرة وإظهارهم للحسرة، ففى ذلك الوقت يبعد الإستغراق فيها، اللهم إلاَّ لمانع يمنعه من الإستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلاً فكان هاهنا (أى فى سورة العنكبوت) الإستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو"(٥).

هذا ولقد بين الله تبارك وتعالى أن الدنيا دار اللهو واللعب لعدة وجوه منها :

**أولاً** : أن مدة اللهو واللعب قليلة سريعة الإنقضاء ومدة هذه الحياة كذلك.

**ثانياً** :أن اللعب واللهو لابد وأن ينساقا فى أكثر الأمر إلى شىء من المكاره ولذات الدنيا كذلك.

**ثالثاً** : أن اللهو واللعب ليس لهما عاقبة محمودة "(٦)

وقال تعالى مزهداً عباده فى الدنيا ومذكراً لهم بذهابها وفنائها : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٣٦/٢ للإمام الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٢

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٤

(٤) تفسير أبى السعود ٢٦٦/٤

(٥) تفسير الرازى ٢٨١/٦ بتصرف

(٦) المرجع السابق.

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١)

وفى هذه الآية الكريمة يكشف لنا القرآن الكريم عن حقيقة الحياة الدنيا، فهى دار لهو واللهو هو كل ما يلهى عن الأعمال الصالحة واللعب هو الجهد غير المنتج وغير المفيد، وقد يصل إلى حد الإضرار بالنفس أو الغير إذا تجاوز القدر المعقول.

وهى عند البعض مجرد رغبة للتكاثر أى الإستزادة من المال مثلاً لمجرد الإستكثار منه والتباهى به ، وهى عند البعض سبيل للتفاخر الزائف والإستطالة على الناس، وهى فى كل هذه الأحوال وأمثالها تصبح وبالاً على الإنسان إذ يتملكه الغرور وينسى حقيقة نفسه ومآله فى النهاية إلى الموت فحفنة من التراب ، وكشأن القرآن دائماً عندما يقرب المعنى للإنسان ، يشبه حال من يغتر بمظهر الدنيا بالنبات أى الزرع يجب أن يتعهد دائماً بالعمل الدائب النافع ، وإلاَّ فإن شأنه أن ينمو ويظل ينمو حتى يهيج فتراه مصفراً ثم لا يلبث أن يجف ويذبل ويتحول إلى هشيم يتكسر وتذروه الرياح ، وما فتىء القرآن يفتح عيون البشر على هذه الحقيقة فالسعيد هو من آمن وعمل بها والشقى من أعرض عنها وتجاهلها.

وما نراه اليوم من بذل الأوقات والجهد والأخذ والعطاء والتدقيق والتمحيص لأجل الدنيا لوجدنا العجب.. فالكثير من الناس مهموم مغموم فى أمور الدنيا، ولا يتحرك له طرف إذا فاتته مواسم الخيرات أو ساعات تحرى الإجابات .. نراه لاهياً، ساهياً .. شارداً .. يجمع ويطرح، ويزيد ويُنقص .. وكأن يومه الذى يمر به سيعود إليه .. أو شهره الذى مضى سيرجع إليه؟!.

قال تعـــالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢)

نعم: نحن فى دنيا أعمارها قصيرة، وفرحها مُكدَّر.. ونعيمها زائل ..!!

وقد حرص الإسلام كل الحرص على أن يبين فى جلاء ووضوح معالم العيش فى هـذه الدار العاجلة فقال ﷺ محذراً من فتنة الدنيا والإنغماس فى لذاتها: (كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) (٣).

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٠

(٢) سورة التوبة الآية ٣٨

(٣) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب قول النبى ﷺ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عـابر سـبيل ٦٤١٦ ، ورواه البيهقى فى الشعب باب الزهد وقصر الأمل ٩٧٦٤

يقول **الإمام ابن حجر**– رحمه الله تعالى–: " ليست (أو) للشك بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى بل ، فشبه السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يؤويه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل، لأن الغريب قد يكون فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يهدأ لمحة"[١].

وهذا الحديث أصل فى قصر الامل فى الدنيا فإن المؤمن لا ينبغى له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها ، ولكن ينبغى أن يكون فيها كأنه عى جناح سفر.

وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطن فينبغى للمؤمن أن يكون حاله فيها على حالين : إما أن يكون كأنه غريب يقيم فى بلد غربة همه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم ألبته بل هو ليله ونهاره يسير إلى بلد الإقامة. فلهذا وصى النبى ﷺ ابن عمر أن يكون فى الدنيا على أحد هذين الحالين. فكل أحوال الغريب وعابر السبيل مستحبة أن تكون للمؤمن فى الدنيا، لأن الدنيا ليست وطناً له، لأنها تحبسه عن داره، وهى الحائلة بينه وبين قراره، وهذا ما أراده الحديث الشريف حتى يقتلع حب البقاء فى هذه الآجلة من قلوب قوم آمنوا بالله ورسوله ومع ذلك تمر أيامهم فيها أسمى ما يتصور إنسان من القيادة والريادة، فلا يعيشون أمعات ولا جبناء، ولا يتكلمون ولا يتواكلون، يعرفون مكانهم فى الوجود فيتسنموه وحماهم فيذرون عنه وحياضهم فيحمونها، ويحيون مستعدين للنهاية الكريمة المرجوة فى إيمان بنعيم دائم وخير مقيم.

وبعد: "فإن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة أيقن أن نعيمها ابتلاء وحياتها عناء وعيشها نكد وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية ، مسكين من اطمئن ورضى بدار حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، إن أخذه من حلال حُسب عليه ، وإن أخذه من حرام عُذب به ، من استغنى فى الدنيا فتن ومن افتقر فيها حزن ، من أحبها أزلته ، ومن التفت إليها ونظرها أعمته".[٢]

قال الشاعر :

إن كنت ياصاح لبيباً حازماً ** فكن لأسباب الهوى مراغما
لا تهو دنياك فإن حبها ** رأس الخطايا تكسب المآثما

---

[١] فتح البارى ٣٥٨/١٤ ، ٣٥٩ بتصرف.

[٢] موارد الظمآن لدروس الزمان تأليف الشيخ / عبد العزيز المحمد السلمان ١٦٩/٢ مطابع الخالد للأوفست بالرياض ، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٥ هـ

غـــــرارة فكل من حلت لـــــه ** لابد أن تذيـــــقه العلاقمـــــا
وإنمـــــا تخدم من أهانهـــــا ** كما تهيـــــن من أتاها خادمـــاً
فكن بهـــــا مثل غريـــــب مصلح ** أزواده على الرحيـــــل عازمـــاً
وبادر الأيـــــام قبل فوتهـــــا ** مخاصمـــــاً للنفس أو مسالمـــــاً
فإنما عمـــــر الفتى سـوق لـــــه ** يـــــروح عنهـــــا خاسراً أو غانمـــاً[1]

وحسبي أن أسوق هذه الموعظة التي تبصر المرء بما يؤول إليه حاله وينتهي إليه مآله.

"استمع يارهين الآفات والمصآئب ياأسير الطارقات النوائب إياك وإياك الآمال الكـواذب فالدنيا دارٌ وليست بصاحب، أما أرتك في فعلها العجائب فيمن مشى في المشارق والمغارب ثـم أرتك فيك شيب الذوائب – أما علمت أن سهام الموت صوائب لا يردهـا محـارب ولا يفوتهـا هارب تدب إلينا دبيب الحيات والعقارب، بينما أنت تسمع صوت مزهر صار صـوت نـادب، ياأسير حب الدنيا إن قتلتك من نطالب كأني بك قد بت فرحاً مسروراً، فأصبحت ترحاً مثبـوراً، وتركت مالك لغيرك موفوراً، وخرج من يدك فصار للكل شورى وعانيت ما فعلت في الكتـاب مسطوراً، وعلمت أنك كنت في الهوى مغروراً ونزلت جدثاً خرباً وتركـت قصـراً معمـوراً ودخلت في خبر كان.

## الدنيا مضمار سباق

لقد ضربت الدنيا في نفوسنا بسهم ، ونصبت في قلوبنا رايات ، ليلنا ونهارنا في حديث عن الدنيا .. جل تفكيرنا كيف نعمل ؟ ؛ وأكثر حيلنا كم نربح !!

إن ضرب موعد للدنيا ذهبنا إليه مبكرين، وأقمنا عند بابه فرحين .. ولا نبقى للآخرة ركناً ولا زاوية.

فنصيب الدنيا في حياتنا كبير وتعلقنا بها شديد .. لا نتحدث إلاَّ فيها ولا نغتم إلا من أجلها .. بل ربما العلاقات الإجتماعية أصبحت المادة أساساً لها

" ننافس في الدنيـــا ونحن نعيبهـــا ** وقد حذرتنا لعمرى خطوبهـــــا
وما نحسب الأيـــــام تنقضي مدة ** على أنها فينا سريع دبيبهـــــا "[2]

فلقد جعل الله تعالى الدنيا عرضاً عاجلاً ومتاع غرور، وجعل الآخرة دار جزاء وثواب وحفَّ الدنيا بالشهوات وزينها بها ، كما قال سـبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ

---

[1] المدهش لأبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي صـ ٥٣٩ ، الفصل السابع والتسـعين ط المؤسسة العلمية .ز بيروت – لبنان ، دار مروان للطباعة والنشر والتوزيع.
[2] حلية الأولياء ١٤١/١٠

وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.(١)

فأخبر سبحانه أن هذا الذى زين به الدنيا من ملاذها وشهواتها، وما هو غاية أمانى طلابها ومؤثريها على الآخرة ، هو سبعة أشياء :

النساء اللاتى هن أعظم زينتها وشهواتها وأعظمها فتنة ، والبنين اللذان بهم كمال الرجل وفخره وكرمه وعزه ، والذهب والفضة اللذان هما مادة الشهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها ، والخيل المسومة التى هى عز أصحابها وفخرهم ، وحصونهم ، وآلة قهرهم لأعدائهم فى طلبهم وهربهم ، والأنعام التى منها ركوبهم وطعامهم ولباسهم وأثاثهم ، وأمتعتهم وغير ذلك من مصالحهم ، والحرث الذى هو مادة قُوتِهم وقوت أنعامهم ودوابهم ، وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك.

"وقدم النساء على سائر الشهوات فى الآية الكريمة لكثرة تشوق النفوس إليهن ، لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال"(٢).

يقول النبى ﷺ : (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) (٣). وقال ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) (٤).

"أى تجنبوا الإفتتان بها وبالنساء ، وتدخل فى النساء الزوجات وغيرهن ، وأكثرهن فتنة الزوجات ، لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر النساء بهن ، ومعنى الدنيا خضرة حلوة يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما : حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تتطلبها طلباً حثيثاً فهكذا الدنيا والثانى: سرعة فنائها كالشىء الأخضر فى هذين الوصفين "(٥)

ولقد أرشدنا القرآن الكريم إلى توخى الحذر من فتنة النساء والولد فقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾(٦)

"وهذا يشير إلى حقيقة عميقة فى الحياة البشرية ويمس وشائج متشابكة دقيقة فى التركيب العاطفى وفى ملابسات الحياة ، سواء فالأزواج والأولاد ، يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤
(٢) تفسير القرطبى ٢٠/٢
(٣) أخرجه البخارى ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة ٥٠٩٦ومسلم ٢٧٤١ ، والترمذى ٢٧٨٩ ، وابن ماجه ٣٩٩٨ ، وأحمد ٢١٦٤٣
(٤) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٢٧٤٢ ، والترمذى ٢١٩١ ، وابن ماجه ٤٠٠٠
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٥/٩
(٦) سورة التغابن الآية ١٤

... ومن ثم اقتضت هذه الحال المعقدة المتشابكة التحذير من الله لإثارة اليقظة فى قلوب الذين آمنوا والحذر من تسلل هذه المشـــاعر وضغط هذه المؤثرات"[١].

فهذا التحذير من الأزواج والأولاد ، كالتحذير من الأموال والأولاد فى قولـــه تعـــالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .[٢]

يقول الشيخ **سيد قطب** عن شقاء الإنسان بأبنائه "وإذا هو يشقى بأبنائه إذا مرضوا ويشقى بهم إذا صحوا، وكم من الناس يعذبون بأبنائهم لسبب من الأسباب، وهؤلاء الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وأمثالهم فى كل مكان يملكون الأموال، ويرزقون الأولاد، يعجب الناس ظاهرها وهم لها عذاب على نحو من الأنحاء، عذاب فى الحياة الدنيا وهم بما علم الله من دخيلهم صائرون إلى الهاوية، هاوية الموت على الكفر والعياذ بالله من هذا المصير"[٣].

**ويقول أيضاً :** "وكلمة فتنة تحتمل معنيين:

**الأول:** أن الله يفتنكم بالأموال والأولاد بمعنى يختبركم، فانتبهوا لهذا وحاذروا وكونوا أبداً يقظين، لتنجحوا فى الإبتلاء وتخلصوا، وتتجردوا لله كما يفتن الصائغ الذهب بالنار ليخلصه من الشوائب.

**الثانى :** أن هذه الأموال والأولاد فتنة لكم توقعكم بفتنتها فى المخالفة والمعصية، فاحذروا هذه الفتنة لا تجرفكم وتبعدكم عن الله وكلا المعنيين قريب من قريب"[٤].

يقول **النسفى:** "قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾بلاء ومحنة لأنهم يوقعون فى الإثم والعقوبة ، ولا بلاء أعظم منهما ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أى فى الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه منكما فى العداوة ، لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة "[٥].

ويقول **البيضاوى:** " ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ إختبارلكم ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيم ﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعى لهم"[٦].

---

(١) فى ظلال القرآن ٣٥٩٠/٦ باختصار
(٢) سورة التغابن الآية ١٥
(٣) تفسير الظلال ١٦٦٥/٣ ، ١٦٦٦
(٤) تفسير الظلال ٢٢٧٢/٤ باختصار
(٥) تفسير النسفى ٢٥٣/٤ ، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، ط دار الكتاب العربـــى – بيـــروت – لبنان ١٤٠٢ هـــ ١٩٨٢ م.
(٦) تفسير البيضاوى ٣٤٧/٥ ط دار الفكر – بدون.

والمعنى: إن أموالكم وأولادكم التى خولكم الله إياها فتنة لأن الله تعالى وهبها لكم اختباراً وابتلاء وأعطاكموها ليبتليكم بها فينظر كيف تعملون من آداء حقوقها وتنفيذ أوامر الله واجتناب نهيه.

ويغلب على عقول كثير من الناس أن سعادة الأمم وقوتها وغلبها وسلطانها إنما يكون بسعة الثروة وكثرة أولاد الأمة، ويظنون أن من أوتيها لا تسلب منه وأن الله تعالى كما فضله بابتدائها، يفضله كذلك بدوامها، يقول ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (١).

والقول الكريم مسوق لتسلية النبى ﷺ عما ناله من تكذيب قومه له، وذلك ببيان أن التكذيب سنن المترفين فى كل أمة، فما من قرية إلاَّ كذب مترفوها نبيهم، وكأن من أهم الدواعى الحاملة على ذلك التكذيب المفاخرة بزخارف الحياة الدنيا وزينتها ومن جملتها الأموال والأولاد، فهم يستعلون بذلك على من لم يكن له حظ منها ولا نصيب كما ينبىء عنه قولهم ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ فاعتقدوا أن ما أعطاهم الله تعالى من حظوظهم الدنيوية دليل على محبته لهم، فاستنتجوا– بزعمهم– أنهم لا يعذبون لمكانتهم عند الله تعالى .

وإنما خص المال والبنين بالذكر لما أن الأول أساس لبقاء النفس، والثانى أساس لبقاء النوع وكلاهما ناصر للإنسان ومعين له، وقدم المال على البنين "لأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم، ولأنه أقدم منهم فى الوجود، ولأنه زينة بدونهم من غير عكس"(٢).

فحقيقة الأولاد زهرة الحياة، وزينة الدنيا ولكن كم من أولاد جروا على أبائهم الويل واتصفوا بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان، بل كم من آباء ذاقوا حتفهم على يد أولادهم طمعاً فى ثرواتهم فى أو لوقوفهم فى سبيل شهواتهم.

"فالمذموم من حب الأموال والأولاد ومن الحرص عليهما شدة ذلك وإفراطه، حتى يطلبهما الإنسان ويتسبب فى حصولهما بكل وجه يمكنه من جائز وغير جائز، ويصير بهما فى شغل شاغل عن التفرغ لعبادة الله وذكره، كما يقع ذلك كثيراً لبعض المفتونين الغافلين عن الله تعالى.

فأما من طلب ذلك بنية صالحة للإستعانة به على الآخرة، وصيانة الدين والنفس عن تعدى الظالمين، وعن الحاجة إلى الناس، ولم يشتغل بسبب ذلك عن عبادة الله تعالى وذكره، ولم تفارقه التقوى والخوف من الله فذلك مما لا بأس به ولا حرج فيه إن شاء الله تعالى"(٣).

---

(١) سورة سبأ الآيتان ٣٤-٣٥.
(٢) تفسير أبى السعود ٢٢٥/٥
(٣) قل هذه سبيلى للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى صـ١٦٠ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾. (١)

يقول **الإمام الواحدى** فى تفسير الآية الكريمة: "﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ هذا رد على الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والأبناء أخبر الله سبحانه أن ذلك مما يتزين به فى الدنيا ولا ينفع فى الآخرة ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ ما يأتى به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الصلوات والأذكار والأعمال الصالحة ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أفضل ثواباً وأفضل أملاً من المال والبنين"(٢).

لكن الإنسان مجبول على حب المال، فلا ينال منه شيئاً إلاَّ طمحت نفسه إلى ما فوقه كما قال ﷺ: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب ويتوب الله على من تاب) (٣).

يقول **الإمام النووى** رحمه الله: "فيه ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها ، ومعنى (لا يملأ جوفه إلاَّ التراب) أنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره"(٤).

هذا وينبغى أن يعلم أنه كما جعل سبحانه المال سبباً من أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة، جعل فيه الشقاء فى الدارين أيضاً، فمن أحسن اكتسابه وأنفقه حسبما أمر ربه، واستعمل العقل فى ذلك: استفاد منه، ومن أساء اكتسابه وإنفاقه، وحبسه فى غير ما أمر الله: شَقِيَ فى الدنيا والآخرة، فهو المفتاح الذى يفتح باب الجنة فى حسن استعماله، وهو المفتاح الذى يفتح باب النار لمن أساء استعماله.

ويوضح ذلك **القرضاوى** فيقول: "فليس المال خيراً مطلقاً، ولا شراً مطلقاً فى ذاته بل هو أداة وسلاح يكون خيراً فى يد الأخيار، وشراً فى يد الأشرار، ذلك أن المال هو وسيلة إشباع الحاجات، والعون على آداء كثير من الواجبات كالصدقة والحج والجهاد، والعدة الضرورية لعمارة الارض.

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٦ .

(٢) تفسير الواحدى ٦٦٣/٢ ط دار الفكر العربى – بدون.

(٣) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال ٦٤٣٦ ، ومسلم كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالث ١٠٤٨ ، وابن ماجه ٤٢٣٥

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥١/٤ ، ط دار ابن حيان

وكل ما يريد الإسلام: ألا يصبح المال صنماً يعبده الناس من دون الله، وألاَّ يفتتن الناس به فيصير غاية فى حد ذاته، وقد خلق ليكون وسيلة، وألاَّ يؤدى بصاحبه إلى نسيان ربه والطغيان على خلقه فهذه هى فتنة المال التى حذر منها الإسلام يقول تعالى: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١] وقال تعالى أيضاً: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. [٢]

وقال تعالى أيضاً: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [٣]

وقال أيضا﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ [٤]

بين أن الطغيان لا ينشأ من مجرد الغنى ، بل من رؤية الإنسان نفسه مستغنياً عن غيره وربما توهم أنه يستغنى عن ربه ﷻ [٥]

فمن المعروف أن المال ذو تأثير ساحر فى الإنسان ، وأنه هو المنطلق الحقيقى لأى انحراف أو التواء أو عدوان، وأن أكثر ما يصيب المجتمع من أدواء وصعاب ومشكلات إنما يرجع إلى لون من ألوان الخلل فى السياسة المالية الفردية أو الجماعية ، فإذا أمكن إصلاح هذه السياسة وتدريب الأفراد فى خاصة أنفسهم ، وفى علاقاتهم التعاملية ، وفيما يتعلق بالمصالح العامة التى يكون لهم حق التصرف فيها ، إذا أمكن تدريبهم فى هذا كله على الأخذ بأحسنه ، وعلى الشعور الداخلى النفسى بالرقابة التى تنهى النفس عن الهوى ، وبالباعث الذى يبعث على الإخلاص والإحسان والإتقان ، فإن أمر الأمة فى مجتمعها العام ، ومجتمعاتها الخاصة ، يصلح ويستقر ، وأن أفرادها يسعدون وترتقى حياتهم.

لذلك عالج الإسلام مشكلات المال، ورسم سياسته على ضوء من تعاليمه السامية التى تعتمد على الربط بين الإيمان والعمل الصالح وما يسمى فى اصطلاح الدين (بالتقوى) أى باتقاء كل ما يؤدى إلى غضب الله ، والحذر مما يوجب نقمته وعذابه.

يقول **د/ مصطفى السباعى:** "ليس المال غاية فى ذاته وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج فمن استعمله فى هذا السبيل كان المال فى يده خيراً له وللمجتمع، ومن

---

[١] سورة الأنفال الآية ٢٨
[٢] سورة المنافقون الآية ٩
[٣] سورة الكيف الآية ٤٦
[٤] سورة العلق الآيتان ٦-٧
[٥] ملامح المجتمع المسلم للقرضاوى صـ ١٩٢ ، للدكتور يوسف القرضاوى ، الطبعة الأولى مكتبة وهبة ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م

استعمله على أنه غاية ولذة انقلب إلى شهوة تورث صاحبه المهالك، وتفتح على الناس أبواب الفساد.

وللإشارة إلى هذا المبدأ الخطير من مبادىء التملك عبَّر القرآن عن المال بالخير فى مثل قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[١].

فالمراد بالخير هنا "المال" وهذا بلا شك ينبه إلى وجوب الحصول على المال من طريق الخير واستعماله فى طريق الخير وبوصفه خيراً رغب الإسلام فى تملكه، فعن موسى بن على عن أبيه قال سمعت عمرو بن العاص يقول بعث إلىَّ رسول الله ﷺ (فقال خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى فأتيته وهو يتوضأ فصعد فىَّ النظر ثم طأطأ فقال إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وأرغب لك من المال رغبة صالحة قال قلت يارسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال ياعمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح) [٢].

والمال الصالح هذا الذى لم يجمع من طريق فيه ظلم ولا خداع والرجل الصالح هو الذى ينفق ماله فى سبيل الخير والصلاح ، ويشير القرآن الكريم إلى أن الناس فى الأكثر الأغلب ينظرون إلى المال على أنه شهوة ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٣]. وبهذا الوصف يكرهه الإسلام ، وهو بهذا سبب شقاء الأمم والشعوب"[٤].

فالأموال قد تكون نعمة يسبغها الله على عبد من عباده حين يوفقه إلى الشكر على النعمة والإصلاح بها فى الأرض ، والتوجه بها إلى الله فإذا هو مطمئن الضمير، ساكن النفس واثق من المصير، كلما أنفق احتسب، وشعر أنه قدم لنفسه ذخراً وكلماً أصيب فى ماله أو بنيه احتسب، فإذا السكينة النفسية تضمره والأمل فى الله يسرى عنه، وقد تكون نعمة يصيب الله بها عبداً من عباده، فإذا القلق على الأموال والأولاد يحول حياته جحيماً، وإذا الحرص عليها يؤرقه ويتلف أعصابه، وإذا هو ينفق المال حين ينفقه فيما يتلفه ويعود عليه بالأذى.

---

[١] سورة البقرة الآية ١٨٠

[٢] رواه البخارى فى الأدب المفرد صـــ ٨٤ ، ومسند أحمد مسند الشاميين رقم ١٧٠٩٦ ط القاهرة – بدون.

[٣] سورة آل عمران الآية ١٤

[٤] اشتراكية الإسلام للدكتور / مصطفى السباعى صـــ١٢٨ ، ١٢٩ ط الناشرين العرب – بدون .

قال الله تعالى :﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[١]

يقول **القرضاوى:** "فكثرة المال ليست هى السعادة، ولا العنصر الأول فى تحقيقها، بل ربما كانت كثرة المال أحياناً وبالاً على صاحبها فى الدنيا والآخرة مصداق ذلك قوله تعالى:﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، والعذاب هنا هو المشقة، والنصب والألم والهم والغم، فهو عذاب دنيوى حاضر.

ومن أبلغ العذاب فى الدنيا : تشتيت الشمل وتفريق القلب، وكون الفقر نُصْبَ عينيه لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب، على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه، ومن أنواع العذاب عذاب القلب والبدن، بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، كما قال بعض السلف من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب، ومحب الدنيا لا يغفل عن ثلاث، هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضى، وقد مثل عيسى بن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً"[٢].

وهذا ما نشاهده بأعيننا فى كل من جعل المال أكبر همه، ومبلغ علمه، ومنتهى أمله، فهو دائماً معذب النفس، متعب القلب، مثقل الروح، لا يغنيه قليل، ولا يشبعه كثير.

هذا ولقد توعد سبحانه وتعالى بالخسران من ألهته أمواله أو أولاده فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٣]

"فالأموال والأولاد ملهاة ومشغلة إذ لم يستيقظ القلب ويدرك غاية وجوده ويشعر أن له هدفاً أعلى يليق بالمخلوق الذى نفخ الله فيه من روحه، فأودع روحه الشوق إلى تحقيق بعض صفاته الإلهية فى حدود طاقته البشرية وقد منحه الأموال والأولاد ليقوم بالخلافة فى الأرض لا لتُلهيه عن ذكر الله، والإتصال بالمصدر الذى تلقى منه ما هو به إنسان، ومن يغفل عن الإتصال بذلك المصدر، ويُلهيه عن ذكر الله ليتم له هذا الإتصال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾وأول ما يخسرونه هو هذه السمة- سمة الإنسان- فهى موقوفة على الإتصال بالمصدر الذى صار به الإنسان إنساناً، ومن يخسر نفسه فقد خسر كل شيء مهما يملك من مال ومن أولاد"[٤].

---

(١) سورة التوبة الآية ٥٥.
(٢) الإيمان والحياة للدكتور / يوسف القرضاوى صـ٧٩، ٨٠ باختصار ط مكتبة وهبة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
(٣) سورة المنافقون الآية ٩.
(٤) تفسير الظلال ٦/٣٥٨٠

كيف لا يُتوعَّد بالخسران من شغلته الدنيا عن أسباب النعيم، وقعدت به الشهوات عن وسائل الهناء المقيم فى جنات النعيم؛ وكيف لا يُتوعَّد بالخسران، وقد آثر الإشتغال بالحطام الفانى على النعيم الدائم؟ كيف لا يُتوعَّد بالخسران، من باع آخرته بدنياه، وقرَّت عينُه بشهواته من الأموال والأولاد، ولم يَمْض فى خدمة مولاه، وغرته الحياة الدنيا وغرَّه بالله الغرور؟

قال ﷺ:(تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) [١].

وأورد الإمام **الحافظ بن حجر** للمراد بالتعس الوارد فى الحديث الشريف عدة معانٍ "الأول: التعس الكب على الوجه، قال الخليل: التعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته، وقيل التعس: الشر وقيل البعد وقيل الهلاك، وقيل التعس: أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه، وقيل تعس: أخطأ حجته وبغيته، ومعنى انتكس عاوده المرض، وقيل إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى"[٢].

تعست والله حياة تشغل الإنسان عن واجب مولاه! تعست والله أموال تقعد بالمسلم عما يجب عليه لله لا كانت الأولاد التى تُلْهى المرء عن فرضه، فيخسر آخرته ودنياه، وذلك وأيم الحق هو الخسران المبين!

ويوضح الإمام/ **أبو حامد الغزالى** آفات المال فيقول : "غوائل المال وآفاته دينية ودنيوية، أما الدينية فثلاث:

**الأولى:** أنه يجرّ إلى المعاصى غالباً، لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت داعيته إليها، والمال نوع من القدرة يحرك داعيته إلى المعاصى، ومتى يئس الإنسان من المعصية لم تتحرك داعيته إليها.

**الثانية :** أنه يحرك إلى التنعم فى المباحات، حتى تصير له عادة وألفاً، فلا يصبر عنها، وربما لم يقدر على استدامتها إلاَّ بكسب فيه شبهة فيقتحم الشبهات، ويترقى إلى آفات من المداهنة والنفاق.

---

[١] أخرجه البخارى كتاب الجهاد والسير باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله ٢٨٨٧ وابن ماجه (٤١٣٥ ، ٤١٣٦ ) ، والبغوى فى شرح السنة ٤٠٥٩

[٢] فتح البارى ٤٧١/٧

**الثالثة:** وهى التى لا ينفك عنها أحد، وهو أنه يلهيه ماله عن ذكر الله تعالى، وهذا هو الداء العضال، فكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران.

ومن جملة الآفات الدنيوية: ما يقاسيه أرباب الأموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال وكسبه"[١].

هذه بعض الآثار الظاهرة التى يعانيها أصحاب المال، وهناك آثار أعمق وأخطر لما لها من مفعول جسيم وبعيد الأثر فى حياة الفرد والجماعة.

فإذا نظرنا إلى أصحاب المال نجدهم دائماً فى حيرة وقلق وهم طول حياتهم فى الدنيا ويعلل ذلك دكتور/ **ناصر العمر** فيقول: "لأنهم يتعبون فى جمع المال، وحفظه واستثماره، القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله، فكم من إنسان يملك المليارات ولكنه خائف! قلق!! لماذا كل هذا الخوف؟ ولم كل هذا القلق؟ إنه يخاف على هذا المال، يخاف أن تأتى هزة سياسية أو يأتى لصوص فيسرقون هذا المال، إذن هو يعيش فى شقاء، وخوف وقلق وهم وغم بل إنه لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب مشاهد، بل قد يكون المال سبب هلاكه ومماته، فكم من غنى خطف أو قتل بسبب تجارته ؟ بل كم من غنى حرم من لذته بسبب أمواله تجده لا يمشى طليقاً، لا يمشى حراً، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله، ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله ، وزالت ثروته ، بسبب أو بآخر ، فعاش بقية حياته فى تعاسة وشقاء"[٢]

"فأين هذا من حال مجتمعات الوفرة والغنى التى ينتحر أصحابها برغم الوفرة وترتفع فيه إحصاءات الجنون، والأمراض النفسية، والقلق، والإكتئاب، برغم الغنى وتتحلل الأسر وتتفكك العائلات، وتنتشر المخدرات والشذوذ الجنسى، والجرائم والسرقات، برغم العلم والتكنولوجيا والتقدم وتتضاعف أعداد مراكز البوليس وأقسامه، ومع ذلك لا تشعر بلحظة أمن ولا تستطيع أن تخرج دولاراً من جيبك، ولا أن تنام دون أن تغلق المزاليج والترابيس خلف بابك.

لأنها مجتمعات مادية كل مليم فيها محسوب بالكمبيوتر، ثم لا اعتبار عندها لأى شىء آخر، أو بشكل آخر لا تؤمن بأن هناك شىء آخر خارج اللحظة الحاضرة، والدولار الذى فى جيبك، لا حساب لشىء اسمه الغيب ولا اعتقاد فى إله.

---

[١] إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالى ٢٣٧/٣ ط دار المعرفة بيروت – لبنان –١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م والغزالى : هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى حجة الإسلام ولد فى مدينة طوس ٤٥٠ هـ وبرع فى كثير من الفنون والعلوم وألف فى التفسير والفقه والأصول وعلم الكلام والتصوف وغير ذلك ت ٥٠٥ هـ (كشف الظنون ٢٣/١ ، معجم البلدان ٧١/٦ )

[٢] السعادة بين الوهم والحقيقة صـ ٩،٨

فالذين يؤمنون منهم بالله لا يدخلون هذا الإيمان فى حساب الكمبيوتر، وهم لهذا يستبدلون الزكاة بشركات التأمين ومعاشات النقابات وبدلات البطالة، وكلها صدقات ولكن ذات منطلق مختلف، فهى لا تعطى لوجه الله تعالى، وإنما اجتهاد عملى من عند صاحبها ولسان حال كل منهم يقول ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [١] وفارق كبير فى النية، والصفائية فى العملين، فأحدهما يقول وفقنى الله فأعطيت ما استطعت ابتغاء وجه الله، والآخر يقول اجتهدت من عندى وأنفقت وأعطيت، فأحدهما لا يرى إلاَّ الله، والآخر لا يرى إلاَّ نفسه، ولهذا ينتهى عمله إلى الإحباط، أما العمل الأول فإن الله يثمره بكرمه ويحفظه برعايته"[٢].

ألا قاتل الله المال، فإنه عَرض زائل، وظل مائل، وأصل الشقاء أو سبب البلاء؛ إنه زخرف كاذب من زخارف الدنيا ، وشهوة فانية من شهوات الحياة.

هو ذلك الذى يميل بصاحبه من الحق إلى الباطل، ومن الرشاد إلى الغىِّ، ومن الهدى إلى الضلال وأخيراً يرمى به فى الهاوية، حيث الشقاء الأبدى والخسران المبين.

وبعد: فإن الناس أصبحوا ماديين فى جميع مظاهرهم، مهمة الكل جمع الأموال، بأى شكل من الأشكال، وغاية الجميع اقتناء الأموال بأى حال من الأحوال، وشاغل الكل الغنى والثراء والعقارات والعمارات.

قال ﷻ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾. [٣]

يقول **الإمام ابن كثير**: "أى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها"[٤].

ولهفنا ولهثنا وراء الدنيا .. نخاف من الفقر ونطمع فى جمع الحُطام .. كأننا نُخلَّد أو نبقى فيها إلى الأبد .. نخاف الفقر ولا نخاف الحساب. يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.[٥]

---

[١] سورة القصص الآية ٧٨ .
[٢] الإسلام ما هو للدكتور مصطفى محمود صـ ٢٤ –٢٦ ط دار المعارف – بدون .
[٣] سورة التكاثر بتمامها
[٤] تفسير ابن كثير ٥٤٤/٤ ، مكتبة الإيمان – المنصورة.
[٥] سورة يونس الآيتان ٧–٨

قال الإمام **ابن كثير** فى تفسيره: "يقول الله تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون فى لقائه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا، واطمأنت نفوسهم، قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتمرون بها، بأن مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون فى دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر"[١].

والمعنى: "إن الذين لا يخافون لقائنا يوم القيامة فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضاً من الآخرة، مطمئنون إليها ساكنون، والذين هم عن آيات الله- وهى أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده، فى إخلاص العبادة له ﴿غَافِلُونَ﴾، معرضون عنها لاهون، لا يتأملون تأمل ناصح لنفسه فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون ﴿أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ أى هؤلاء الذين هذه صفتهم ﴿مَأْوَاهُمُ ﴾ مصيرهم إلى النار نار جهنم فى الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ فى الدنيا من الآثام والإجرام ويجترحون من السيئات"[٢].

إن اشتهاء الدنيا بجنون وطغيان يكاد يختلط بدماء الناس ولحومهم ، ويخرج بهم عن جادة الإعتدال والحكمة ، والإنسان مجادل فى تسويغ شهواته ، وبسط حاجاته ، وتحقير ما عنده ، وإعلان التمرد عليه.

ومن ترهيب الناس عن هذه الحال ما رواه زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ: (من كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما كتب له) [٣].

ومعنى قوله (جعل الله فقره بين عينيه) أى أنه مهما سعى وجمع فإنه لا يرى نفسه إلاَّ فقيراً ومهما اجتهد فى الدنيا وتعب فإنه لا يرى نفسه إلاَّ مقصراً ومهما سهر وكدَّ فإنه يرى أنه لا زال مُحتاجاً فيواصل كده وجهده وتعبه مع هذا الشعور والإحساس حتى لا يستقر له بال ولا تهدأ له نفس ولا يطمئن له قلب ولا تثبت له غاية بل يجرى فى هذه الدنيا حتى أنه لا يستفيد هو من دنياه هذه بفائدة تجمع عليه نفسه وتقرَّ له عينه ، وبهذا يكون قد خسر الدنيا والآخرة.

---

[١] مختصر تفسير ابن كثير ٨٣٦/٢

[٢] تفسير الطبرى ٥٣٣/٦ بتصرف

[٣] أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت ٤١٠٥ ، وأحمد ١٤٨٢ جـ٥ صـ١٨٣ والدارمى فى المقدمة ٢٣٤، ومن حديث أنس رواه الترمذى ٢٤٧٣

يقول الإمام **ابن القيم:** "فإذا أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه فى نفع غيره، فكلما أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته"[١].

وهكذا فقد بين رسول الله ﷺ أن أهل الدنيا يعيشون فى غفلة ، فقد لهتهم الدنيا وغرتهم مفاتنها عن التفكير فى الآخرة والإستعداد والعمل لها وإدراك حقيقتها.

**وقصارى الحديث:** فإن هذه النصوص التشريعية أو الأخلاقية تنبىء عن واقع صحيح يتطابق مع أحداث الزمان، ونوازع الناس وأهوائهم، وحبهم المنافسة والمفاخرة، والمكاثرة بالأموال والأولاد، وأطايب الحياة، مما يضر بدين الإنسان وعلاقاته مع أبناء مجتمعه.

**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**

يظن كثير من الناس أن الإسلام دين روحى فحسب، وأنه دين عبادة ونسك وأنه لا صلة له بنظام الحياة الدنيا، وأنه يعنى بأمر الصلاة والصوم أكثر مما يعنى بشئون الأحوال، وأنه يهتم للعبادة دون تدبير أمور الدنيا، وهذا ظن خاطىء واعتقاد باطل، فالإسلام بطبعه وروحه دين يدعو إلى العمل، وبين أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن التدين لا يمنع الجمع بين الآخرة والدنيا، بل إنه أمر بالسعى فى الدنيا لأنها طريق الجنة كما أنه كره أن يرى أتباعه منهمكين فى العبادة منصرفين عن العمل للدنيا تاركين المباح من الطعام والطيبات من الرزق، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٢].

وفضل الضاربين فى الأرض طلباً للرزق وابتغاء العيش على أولئك الذين تركوا العمل وانقطعوا للعبادة، وحرموا أنفسهم من مباهج الحياة وزينتها، وهجروا الطيبات من الرزق فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣] ذلك الدين واعم ووافق بين مطالب البدن ومقاصد الروح، وأمر بأن يراعى الإنسان حق بدنه، وحظ نفسه، فى دائرة ما أحل الله تعالى، فالقرآن الكريم وإن كان يحذر من الدنيا وأن يقع الإنسان فى حبالها

---

[١] الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية صـ ٨٤ بتصرف ، ط المكتبة السلفية.
[٢] سورة الأعراف الآية ٣١
[٣] سورة الأعراف الآية ٣٢

ويعتبرها متاع الغرور وبالتالى يزهد فيها، فهو من ناحية أخرى لم يطلب من المؤمن لم يطلب من المؤمن تجاهلها فضلاً عن بغضها وكراهتها، وإنما هو على خلاف بعض الأديان السابقة قد دعا المؤمن إلى أن يأخذ نصيبه منها (باعتدال) فقال وقوله الحق: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١]، فهذه الآية تقرر أن العمل للدنيا يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع العمل للدين والدار الآخرة وهذا هو ما يهدف إليه الإسلام.

يقول الشيخ/ **محمد الغزالى:** "وقد صالح الإسلام فى تعاليمه بين مطالب الجسد ومطالب الروح، وبين واجبات الدنيا وواجبات الآخرة، فكأن الإنسان-بعد هذا الصلح الذى عقده الإسلام- كيان واحد يستقبل به عالماً ليست فيه فواصل بين الموت والحياة، وتوضيحاً لهذا المنهج الوسط قيل لكل إنسان: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ليس فى الإسلام إذن إنفصال بين العمل للدنيا والعمل للآخرة فإن العمل للدنيا بطبيعته يتحول إلى عبادة مادام مقروناً بشرف القصد وسمو الغاية، وليس فى الإسلام تغليب للجسد على الروح ، ولا للروح على الجسد ، إنما فيه تنظيم دقيق يجعل معنويات الإنسان هى التى تتولى قياده وتمسك بزمامه ، فلا هو براهب يقتل نداء الطبيعة ، ويميت هواتف الفطرة ، ولا هو مادى يتجاهل سناء الروح وأشواقها إلى الرفعة والخلود "[٢]

ثم إنه دعا بعد ذلك الناس إلى العمل وحظر عليهم القعود، والكسل، وأبان لهم أن مناط أرزاقهم إنما هو السعى فى الارض، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [٣].

يقول **الإمام الألوسى:** "وتقديم (لكم) على مفعولى الجعل فى قوله سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ للإهتمام بما قُدم، والتشويق إلى ما أُخر، فإن ما حقه التقديم إذا أُخر، لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس متراقبة لوروده، فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن"[٤]

---

[١] سورة القصص الآية ٧٧

[٢] الجانب العاطفى من الإسلام للشيخ / محمد الغزالى صـ١٠٤ الطبعة الاولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

[٣] سورة الملك الآية ١٥

[٤] تفسير روح المعانى للإمام الألوسى ١٦/ ٢٤ ،٢٥ بتصرف ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

ومن رحمته سبحانه وتعالى، قسَّم للعباد اليوم إلى قسمين: هما الليل والنهار، فلم تكن الأيام كلها ليلاً للسكن والراحة، ولم تكن كلها نهاراً للسعى والكدح من غير أن ينتفع الإنسان بناتج عمله وسعيه، ثم يستريح قليلاً ليواصل العمل، بل جعل الليل للراحة، والنهار للعمل وطلب الرزق كما قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

"فالليل سكينة وقرار، والنهارنشاط وعمل ، والمتجه فيه إلى فضل الله تعالى، فما يُعطى الناس شيئاً إلاَّ من فضله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما يسره الله لكم من نعمة ومن رحمة وما دبره لكم واختاره من توالى الليل والنهار ومن كل سنن الحياة التى لم تختاروها، ولكن اختارها الله عن رحمة وعلم وحكمة تغفلون عنها لطول الإلف والتكرار"(٢).

وعمل العبادات قد يتخلل أوقات المعايش فتؤدى ثم يعود المؤمنون من عبادتهم إلى أعمالهم دون أن يضيعوا أوقاتهم كما يحدث فى يوم الجمعة ... ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣)

والناظر فى هاتين الآيتين يجد أن الأولى دعت الناس إلى الصلاة بعنوان أنها ذكر الله تعالى، وأمرت الثانية الناس إلى الإنتشار والسعى فى الأرض عقب الصلاة للبيع والتجارة تحت عنوان: أنه فضل الله تعالى وهذا نسق عجيب فريد وتقريب بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، فكلا العملين لله وباسم الله، وبمدد متصل من الله وهكذا فلا معاداة ولا تنافر بين العملين، ولا صراع بين الحياتين لأن الأولى مزرعة للآخرة.

أمر بالإنتشار فى الأرض لطلب الرزق فهو طاعة كالصلاة، وأمتن بهذا الرزق فوصفه بأنه من فضل الله، وأمرنا بمراقبته والإتصال الدائم به ليهدينا الصراط المستقيم، وبين أن السعى والعمل والمراقبة والإتصال به سبب الفلاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهو فلاح فى الدنيا بالرخاء والقوة والأمن وفلاح فى الآخرة بالنجاة والنعيم.

---

(١) سورة القصص الآية ٧٣
(٢) فى ظلال القرآن ٥/٢٧٠٨ بتصرف يسير
(٣) سورة الجمعة الآيتان ٨-١٠

يقول الدكتور **القرضاوى**: "فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة حتى فى يوم الجمعة، بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعى إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك البيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار فى الأرض، وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيراً فى كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح"[١].

"فآداء العبادة له منزلته فى الإسلام، وآداء السعى فى تحصيل متع الحياة له منزلته فى الإسلام كذلك، لأنه إذا كانت العبادة تحمل على إستقامة الأسلوب فى تحصيل متع الحياة فإن تحصيل هذه المتع بسعى الإنسان يعين بدوره على الإستمرار فى العبادة"[٢].

ولقد ارتقى الإسلام بقيمة العمل فتجاوز بها حدود النفعية إلى أن جعله رسالة الإنسان فى الأرض، فعمارة الأرض من أهم المهام التى أرشد إليها القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٣] وإعمار الأرض على هذا النحو يسير فى اتجاهين:

- إتجاه أخلاقى إيمانى ، كى يكون للإنسان المقدمة فى الحضارة ، لا أن تتقدم الأشياء على الإنسان الذى كرمه الله تعالى وخلقه فى أحسن تقويم ، وألا يكون هناك إفساد ولا تخريب، بل تكون منجزات الحضارة لخير البشرية ،فلا تهتز العدالة أمام القوة والطغيان.
- والجانب الثانى من الحضارة هو الجانب المادى ، بأن يكون للإنسان السيطرة على قوى الطبيعة ومواردها التى سخرها الله تعالى للإنسان ، ولذلك سلّح الله الإنسان بالعلم كى يستطيع أن يقوم بمهمة إعمار الأرض .

وحذرت السنة المطهرة من القعود عن طلب الرزق والركون إلى سؤال الناس، والمتتبع لسيرة النبىﷺ يجد أنه كان يضع الحوافز الدافعة أمام أصحاب المواهب والطاقات المعطلة لتستغل فى عمل منتج يكون لهم فيه غنى عن غيرهم، وحفظاً لماء وجوههم من الإراقة فى ذل السؤال.

وإلى هذا يشير قول الرسول ﷺ:(لأن يغدوا أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى به عن الناس، خير له من أن يسأل رجلاً، أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) [٤].

---

(١) الخصائص العامة للإسلام للدكتور / يوسف القرضاوى ، صـ١٢٥ باختصار ط مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

(٢) الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة للدكتور / محمد البهى صـ٤٠ ط مكتبة وهبة الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) سورة هود الآية ٦١

(٤) أخرجه البخارى ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده٢٠٧٤ ، ومسلم كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس ١٠٤٢ ، والترمذى ٦٨٠

فالمتأمل فى الحديث النبوى الشريف يرى أن مهنة الإحتطاب على ما فيها من مشقة، وما يحوطها من نظرات الإزدراء، وما يرجى فيها من ربح ضئيل، خير من البطالة التى يركن إليها الكسالى من الناس الذين يركنون إلى الدعة وعدم تكليف النفس أية مشقة للعمل فيجدون فى مسألة الناس أهون الطرق للحصول على المال.

إن هذا الحديث قد احتوى فى مضمونه خطوات سباقة، سبق بها الإسلام كل النظم التى لم تعرفها الإنسانية إلاَّ بعد قرون طويلة من ظهور العقيدة المحمدية. ذلك لأنه لم يعالج مشكلة السائل المحتاج بالمعونة المادية الوقتية ... كما يخطر على بال الكثيرين الذين يتصدون لحل مثل هذه المشكلات الإجتماعية فى الآونة الأخيرة، ولم يعالجها بالوعظ المجرد والتنفير من المسألة كما يصنع البعض كذلك ولكن أخذ بيده فى حل مشكلته بنفسه ووضع لها العلاج الناجح إذ علمه الرسول الكريم ﷺ أن يستخدم كل ما عنده من طاقات وإن صغرت وأن يستنفذ ما يملك من حيل وإن ضؤلت فلا يلجأ إلى السؤال وعنده شىء يستطيع أن ينتفع به فى تيسير عمل يغنيه.

فيمقت الإسلام أن يعيش المرء عالة على الناس اتكالاً على ما فى يد غيره من مال ويرفع مستوى الإنسان ويراعى كرامته حتى إذا كان من المستحقين للصدقة التى جعلها الله تعالى له حقاً معلوماً ويرتفع بالمعطى فينهاه عن المن بالعطاء فيحرم الأذى والرياء .

يقول **الإمام النووى:** "وفيه الحث على الصدقة والأكل من عمل يده والإكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش"[1].

ومما ينبغى ذكره هنا أن التسول له صوروأساليب شتى قد تروج عند بعض الناس وقد يحسبونها ضرباً من العمل والسعى للمعيشة مع أنه– عند التأمل– ليست إلاَّ تسولاً رخيصاً مطلياً بطلاء كاذب، ولا نجد هنا أفضل ولا أصدق مما قاله الإمام **محمود شلتوت** عما يحدث من بعض الناس الذين يتسترون وراء الفقر والمسكنة فيقول:

"غير أن هذا الصنف كثيراً ما يقع فيه الإشتباه– يتشبه– بأهله الحقيقيين من تُسوّل له نفسه البطالة ويستهين بماء وجهه، فيمد يده بالسؤال، ويتخذ من التسول حرفه بها يتعيش، وبها للمال يجمع، فهذا وأمثاله ليسوا فى واقعهم إلاَّ أرباب نهب وسلب عن طريق استخدام الغش والخديعة، وهم فى حقيقة أمرهم ليسوا إلاَّ عناصر هدم لكرامة الجماعة الإسلامية التى يجب أن

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٣/٤

تعيش وحدتها على أساس من العزة والعفة والعمل، إن هذا الصنف من الناس الذى نزع نفسه من الكرامة نزعاً كثر فى هذه الأيام، وتفنن فى مظاهر العجز، ودواعى السؤال، فمنهم من يتعارج، ومنهم من يتعامى، ومنهم من يقوس ظهره، ومنهم من يزعم أنه خرج من المستشفى، وليس معه أجرة القطار ولا أجرة الماوى، والحق أن هذا الصنف وصمة عار فى جبين المجتمع الإسلامى الكبير، وجدير بالمصلحين القائمين على كرامة المجتمع أن يصنعوا لهؤلاء حداً يحول بينهم وبين التسكع فى الطرقات، ومواقف المركبات وأضرحة الأولياء، والميادين العامة، وسيجد هؤلاء المصلحون إذا ما عنوا بهذا الشأن جيشاً جراراً من هؤلاء به تنتفع البلاد، وبه يتقون الخطر فى الأمن والخطر فى الكرامة"[١].

فالقرآن الكريم دعا إلى شدة السعى فى الأرض وبين أن ذلك هو سبيل الرزق، وأن الرزق لا يأتى الإنسان إلاَّ إذا أخذ فى العمل له بجد ونشاط وتكلف فى ذلك مشقة السعى بكل وجهها، كما بين فى الحديث أن أى عمل يعمله الغنسان ولو كان هوالاحتطاب أفضل وأشرف من أن يقعد الإنسان ساكناً ينتظر المعونات والصدقات ذلك أن الإسلام يُقوِّم العمل ويمجده سواء أكان عملاً عظيماً أم كان عملاً متواضعاً.

ويكفى العمل والعمال فخراً أن الرسل الكرام لم يرضوا لأنفسهم أن يضرب الكسل من ساحتهم، فشرفوا الحياة وشرفتهم الحياة بانضمامهم إلى أسرة العمال، الذين حققوا خلافة أبيهم آدم فى الأرض، فعمروا الكون وأخصبوه بالخير.

يقول ﷺ (ما بعث الله نبياً إلاَّ رعى الغنم فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) [٢].

لم يشعروا فى العمل بنقص، ولم يروا فيه غضاضة، فأقبلوا عليه طائعين مختارين، بل فرحين مستبشرين، مع ما لهم عند الله من جاه، وما أعد لهم من منزلة أقبلوا على العمل بكل بشاشة نفس، لأنهم لا يرضون أن يكونوا عالة على غيرهم، ولا يسمح لهم شرفهم أن يكونوا مرتزقة، يأكلون لقمة الخبز من أيدى الناس، أو أن يكونوا تُجَّاراً بدينهم، يتقاضون من أتباعهم ثمن الهداية والإرشاد، عَرَضاً من الحطام الفانى! تعالَوا عن هذا الهوان وتلك الضَّعَة علوّاً كبيراً.

ولأن سيدنا داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده مع ما آتاه الله تعالى من فضل ونعمة لتأكيد أن العمل شرف وواجب وحياة، جعله سيدنا محمد رسول الله ﷺ مثلاً يحتذى فى

---

[١] الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت صـــ١٠١ بتصرف
[٢] أخرجه البخارى ، كتاب الإجارة ، باب رعى الغنم على قراريط ٢٢٦٢

العمل باليد فقال ﷺ (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) [١].

"والمراد بالخيرية ما يستلزم العمل باليد من الغنى عن الناس، وفى الحديث فضل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره، والحكمة فى تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة فى الأرض كما قال تعالى وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل"[٢].

وبذلك ضرب الرسول ﷺ لأتباعه المثل العليا فى الكفاح كما وضع أمامهم الحوافز التى تحملهم على السعى الحثيث فى طلب المادة التى تكفل لهم الحياة الأبية الكريمة وتيسر لهم الخير وتوردهم موارد العزة والشرف.

ومناهل السنة المطهرة زاخرة بالأمثلة التى تمجد العمل وتؤكد وجوبه على المطالبين به، بل إن العمل والسعى فى طلب الدنيا فى اعتبار الإسلام عبادة ما دام أنه يحفظ به نفسه وأهله وماله وينفع إخوانه.

"والمقصود المعتبر عند ذوى البصائر هو ذم المقبلين على الدنيا إقبالاً يقطعهم عن الآخرة بحيث تتمكن من قلوبهم فتعظم عندهم حتى يعز عليهم إنفاقها ويؤلمهم إخراجها وتملأ عليه فراغهم حتى تقطعهم عن أهم الوجبات الشخصية والفرائض العينية"[٣].

وهكذا نجد أن السنة النبوية قد وجهت الناس إلى منابع المال، ووسائل الحصول على الثروة وبينت لهم أن السبيل هو العمل فحثتهم على الجد والسعى فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الشعوب الكادحة سيكتب لها الفوز فى ميدان الحياة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾. [٤]

يقول **الإمام الراغب** فى كتابه القيم الذريعة إلى مكارم الشريعة: "التكسب فى الدنيا وإن كان معدوداً من المباحات فإنه من الواجبات من وجه، وذلك أنه لما لم يكن للإنسان الإستقلال بالعبادة إلاَّ بإزالة ضروريات حياته، فإزالتها واجبة، لأن كل مالا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب كوجوبه.

---

[١] أخرجه البخارى ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ٢٠٧٢

[٢] فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ٩٣/٦ ، ٩٤ بتصرف.

[٣] شرف الأمة المحمدية ، للشيخ / محمد بن علوى المالكى الحسنى صـ ٢٠٨ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[٤] سورة النجم الآيات ٣٩-٤١

وإذا لم يكن له إلى إزالة ضروریاته سبیل إلاَّ بأخذ تعب من الناس فلابد إذن أن يعوضهم تعباً من عمله، وإلاَّ كان ظالماً لهم سواء أقصدوا إفادتها أو لم يقصدوها، فمن رضى بقليل من عملهم فلم يتناول دنياهم إلاَّ قليلاً يرضى منه بقليل من العمل، ومن أخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعاً فإنه لم يأتمر لله تعالى فى قوله:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [١] ولم يدخل فى عموم قوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢]

ولذا ذَمَّ من يدعى النصوص فيتعطل عن المكاسب ولم يكن له عمل يؤخذ منه ، ولا عمل صالح فى الدين يقتدى به فإنه يأخذ منافع الناس ويضيق عليهم معاشهم، ولا يرد إليهم نفعاً، فلا طائل فى مثلهم إلاَّ بأن يُكدّوا المشارع (المياه)، ويُغَـــلُوا الأسعار ومن الدلالة على قبح من هذا صنيعه: أن الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه إسرافاً وبداراً فما حال من يأكل مال غيره على ذلك، ولا يُنيلهم عوضاً، ولا يرد عليـــــهم بدلاً" ؟! [٣].

وبالجملة: ينبغى لكل مسلم أن يتخذ له مهنة شريفة يتعيش منها، فإنها تحفظ الكرامة، وتعين على الطاعة، وتبعث على الطمأنينة والرضا، وتساعد على رفع مستوى الأمة، فما أبعد الأمة عن السعادة إذا كثر فيها العاطلون والإتكاليون والكسالى، إذ البطالة مرض وبيل شديد الخطر على الفرد والمجتمع يؤدى إلى انتشار الجرائم وتعطل المصالح، ووهن الأمم وضعفها.

وما أبعد الأمة عن السعادة إذا اتجه العاملون فيها إلى عمل غير منتج، أو إلى انتاج غير متقن يعرقل ركب النهضة، ويوقف سير التقدم، أو يجعله على الأقل بطيئاً.

إن نظرة فى التاريخ إلى الوراء، ترينا بما لا يقبل الشك أن الشرق كان سيداً والغرب مَسُوداً، وكان ناهضاً، والغرب خاملاً، وكان منارة علم وهداية، والغرب فى جهالة جهلاء وضلالة نكراء.

ونظرة إلى ما نحن عليه اليوم، ترينا بما لا يختلف فيه اثنان، أن الآية قد انعكست، والوضع صار مقلوباً، فالغرب سيِّد والشرق مَسُود! والغرب فى تقدم واضح، والشرق فى تأخر فاضح! والغرب تسامى إلى قمة المجد والعلاء! والشرق تهاوى إلى مهبط البؤس والشقاء.

فهل فكرنا فى أسباب هذا الإنعكاس العجيب الذى أُصِبْنا به؟!

إننا إذا أمعنَّا النظر فى الموضوع بدقة وعناية، وجدنا الأسباب كثيرة، وفى مقدمتها الإنصراف عن الجد والعمل والإنتاج، إلى الكلام الأجوف، بينما الغرب يعمل ويجد فى العمل،

---

[١] سورة المائدة الآية ٢

[٢] سورة التوبة الآية ٧١

[٣] القيم الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهانى صـــ٣٨ وما بعدها ، تحقيق د/ أبو اليزيد العجمى نشر دار الصحوة – مصر – بدون.

يعمل فى جميع ميادين العمل بكل قواه، فيصيب فى كل يوم نجاحاً جديداً، ويرقى إلى المجد سُلماً عالياً، ويحقق آمالاً كبيرة كانت بغير العمل، تُعَدُّ ضروباً من الأحلام والأوهام.

فواعجباً ممن يتجاهل هذه الحقيقة الماثلة، فيتقاعس عن الجد والعمل، ويركن إلى البطالة والكسل، ويأبى إلاَّ أن يخرق ناموس الطبيعة، ويعيش عالة على الناس، ناسياً أو متناسياً أنه عضو فى المجتمع الإنسانى يجب عليه أن يعمل لإسعاده وإسعاد نفسه، وأن يكون له شرف الجهاد فى كسب المعيشة ونفع الخليقة! وأنه إن كان القعود عن العمل مخالفاً لسنن الكون، فهو أشد مخالفة للدين الذى نعبد الله عليه! فهذا هو القرآن الكريم يستحثنا على العمل، لتحصيل أقواتنا وأرزاقنا، قال تعالى : ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

فالعمل هو الواسطة الثانية للسعادة بعد الإيمان، وبه يرزق ما شاء فى دنياه، ويثاب على عمله عند مولاه، فإذا قصر العبد فى عمله ابتلاه الله بالهم والشقاء، وأصيب بجسده وعقله، أصيب بجسده لأن الجسد الساكن ضعيف معرض للبدانة، ولمختلف الأمراض، ويصاب عقله بالجمود واليأس والضجر، ويصبح عالة على غيره مهاناً محتقراً.

فالصراع الرهيب المفروض على الأمة فى واقعها المعاصر فى مواجهة الحضارة الغربية يحتم علينا أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال:

كيف تعاظم الفارق بيننا وبينهم حتى كانت لهم السيادة والهيمنة وكانت لنا التبعية والضعف والهوان؟!

وقراءة الواقع فيما يتعلق بالأبحاث العلمية المتخصصة فى العلوم والتكنولوجيا تفسر لنا هذه الإشكالية .. فآخر الإحصاءات عن النسبة المئوية للأبحاث العلمية على مستوى العالم والتكنولوجيا ترصد لنا "أن الإنفاق على البحث العلمى فى إسرائيل يتفوق على مثيله فى مصر بأربعة عشر (١٤) ضعفاً، حيث تنفق إسرائيل ٤,٨ % (أربعة وثمانية من عشرة فى المائة) من إجمالى الدخل القومى على البحث العلمى والتطوير، فى مقابل أن مصر تنفق ٠,٢٢% (اثنين وعشرين من مائة بالمائة) من إجمالى الدخل القومى!! والمحزن أن هذه الأرقام قد تغيرت لصالح إسرائيل فى تقرير ٢٠٠٤ م .

ولعل فى هذا التقرير الذى نشرته صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٢م جرس إنذار يهيب بنا أن نستيقظ من غفلتنا وهذا نص التقرير :

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٥

## إسرائيل تتصدر دول العالم
## فى معدلات الإنفاق على الأبحاث العلمية والتنمية

معاريف ٢٠٠٤/٩/٢ بقلم : يوسى جرينشتاين

أظهرت المعلومات الصادرة عن وزارة المالية الإسرائيلية أن معدل الإزدهار فى إسرائيل هو الأعلى بين كل دول العالم النامية .. ليس هذا وحسب، بل إن الإنفاق على البحث العلمى والتنمية فى إسرائيل خلال السنوات الماضية هو الأعلى على مستوى العالم ، حيث بلغ ٤,٨ % من الدخل القومى للدولة، بما يجعله ضعف هذه النسبة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وثلاثة أمثالها فى برطانيا، وخمسة أمثالها فى فرنسا[١].

كل هذا يؤكد حقيقة قرآنية مهمة، هى أن العمل هو سر الحضارة والتقدم، وهكذا قضت سنة الله فى كونه أن طريق الرفعة والعزة هو العمل.

ومن هنا ندرك الفارق الذى جعل لهم السيادة والهيمنة، ومن هنا أيضاً ندرك أن البحث العلمى ضرورة حياتية وضرورة حضارية للأمة إذا أحبت أن تأخذ بأسباب المنافسة الجادة .. أما أن نجلس ونتغنى بأمجاد الماضى، دون أن نكون على مستوى المواجهة اللاهبة فى واقعنا المعاصر، فإن هذا لا يعفينا من مسؤلية التخلف عن ركب المنافسة والقدرة على الصراع والمواجهة، وأيضاً لا يحقق لنا أى طموح على مستوى الواقع.

والعجيب أن واقعنا يتناقض مع القرآن الكريم الذى دعانا إلى العلم والعمل، لكى ننتفع بسنن الله الكونية، فالمسلمون أولى الناس بأن تكون لهم المقدمة لكن المقدمة بين الأمم لا تتأتى بالأمانى وإنما بالعلم والعمل والتضحية.

**وخلاصة القول:**

أن الإسلام أول دين دعا إلى نظام الدنيا وطلب إلينا أن نهتم بشأنها وأن نعنى بتنظيم شئونها فهو دين الأعمال وتعاليمه فى اقتناء الأموال من أحسن مارسم ويقال

يقول الشيخ/ **ابن عطاء الله السكندرى:** "اعلم أن التدبير للدنيا على قسمين، تدبير الدنيا للدنيا، وتدبير الدنيا للآخرة. فالأول: هو أن تدبر فى أسباب جمعها افتخاراً بها، وحباً لها. وكلما زيد فيها شىء ازداد غفلة عن الآخرة وازداد اغتراراً وطغياناً، وأمارة ذلك أن تشغله عن موافقة الشرع وتحمله على مخالفته من أجلها وبسببها.

والثانى: كمن يدير المتاجر ليأكل منها حلالاً طيباً، أو لينفق منها على الفقراء والمساكين، وليصل بها رحمه، وليصون بها نفسه عن سؤال الناس ويحفظ ماء وجهه من ذل

---

[١] القرآن وصحوة العقل للدكتور محمد محمد داود صـ٣٤، ٣٥ بتصرف دار المنار ٢٠٠٤م.

الحاجة وأمارة ذلك عدم الإستكثار والإدخار والإسعاف والإيثار وتفريج كرب المسلمين، والتيسير على المعسرين...

واعلم أن الدنيا ليست مذمومة على الإطلاق.. وليس كل طالب دنيا مذموماً ممقوتاً.. وإنما المذموم هو أن تشغل المرء عن دينه وآخرته، وتصرفه عن عبادة ربه ويصبح عبداً وخادماً لمطالبها.

والطالب المذموم، هو من طلبها لنفسه لا لربه، ولدنياه لا لآخرته، وللكنز لا للإنفاق.. وللتفاخر لا لقضاء الحوائج.

فالناس إذاً على قسمين.. عبد طلب الدنيا للدنيا، وللمفاخرة والمكاثرة والشر والشح والإفساد فى الأرض. وعبد طلب الدنيا ليستعين بها على الآخرة ، ويتوصل بها إلى طاعة ربه"[١].

أما ما ورد من الأحاديث والآيات التى ترمى إلى الزهد وحب الفقر والإقلال من الدنيا والإشارة بالكفاف، فإنما كانت علاجاً للأثرة الدنيوية وحب المال الذى يعمى ويصم، ولتكسر من حدة الشر المالى ولتحد من سلطان الدنيا إذا طغى.

"فإن حقيقة الزهد: خروج حب الدنيا من القلب، وهوان الدنيا على العبد حتى يكون ادبار الدنيا وقلة الشىء منها أحب إليه وآثر عنه من إقبال الدنيا وكثرتها. فأما من أحب الدنيا بقلبه وسعى لجمعها يقصد بذلك التنعم والتمتع بشهواتها، فهو من الراغبين فيها، وليس من الزاهد فى شىء، فإن مال إلى الدنيا ورغب فيها، لا لتنعم ولكن لينفقها فى وجوه الخيرات والقربات، فهو على خير إن وافق عمله نيته"[٢].

يقول **د/عمر الخطيب:** تحت عنوان الفصام الخطير "هذا الفكر المنحرف هو فى الحقيقة سبب ما أصاب الناس من انقسام إلى طوائف وشيع ونحل فى ظل عقائد وفلسفات، ومذاهب لا مسكة فيها من حق، ولا أثارة لها من منطلق، وليست على اختلاف صورها، وتباين أشكالها، تلبية صحيحة مخلصة لتطلع الإنسان نحو السعادة، ذلك أنها لم تعالج فى الإنسان نزوعه الفطرى، إلى الحاجة المادية، والأشواق والحرية فى آن واحد، بل ارتكزت على الفصام الخطير بين هاتين النزعتين اللتين لا تقوم الفطرة إلاَّ عليهما، ولا تستقيم وتصلح إلاَّ بهما، فكان من نتيجة ذلك هذا التناقض العجيب فى نظر الإنسان إلى الكون والحياة وهذا الصراع الحاد بين

---

(١) بهجة النفوس لابن عطاء الله السكندرى تصنيف الأستاذ / على حسن العريض صـــ١٥٨ دراسات فى الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية ، العدد الحادى والتسعون – السنة الثامنة ١٥ من شوال ١٣٨٨هـ – ٣ من يناير ١٩٦٩ م.

(٢) قل هذه سبيلى صـــ١٨٣، ١٨٤ باختصار

الإنسان وفطرته، بين هاتين الفطرتين المتباينتين اللتين لا تحققان ما يطمع إليه الإنسان من سعادة وطمأنينة وسلام جنحت إحداهما إلى النزعة المادية، المحضة فإذا الإنسان بتأثير منها سواء أكان مصدرها الشرق أو الغرب فى جوع مادى عارم، يدمر فى سبيل المادة كل القيم والمبادىء والفضائل، ويزدرى المثل والأخلاق، ذلك أنه فى تهمة الجشع وسعادة الحقد، يتنكر لإنسانيته، ويجهز على ضميره، ويسخر، بوحى من الحضارة المادية، إمكاناته كلها لما يزعم أن فيه سعادة له كفرد، أو سعادة له ولغيره كجماعة... وأى سعادة فى ظل هذا التشويه البشع لحقيقة الإنسان أى سعادة تجنيها البشرية إذا مسخ الإنسان فى جريه وراء المادة وعبادته لها، إلى حيوان ضار، لا حساب لديه إلاَّ للغربة التى يمزقها بالمخالب والأنياب.

ومالت الآخرة إلى النزعة الروحية المحضة ، فإذا الإنسان فى حدود ما صورت له – مخلوق سلبى عاجز – يهرب من الحياة ويتجنب السعى فى آفاق الأرض، والمشى فى مناكبها والإنتفاع بخيراتها ليرهق جسده بضروب من التعذيب، وألوان من الإيذاء، ينأى بنفسه عن الناس، ويسكن المغاور والكهوف، ويعيش فى ظل عقيدة يرفضها العقل، وتأباها الفطرة، كسولاً متخلفاً متواكلاً، يمضى أيامه ولياليه فى اكتئاب وهم وبأس، ويخال أنه متقلب فى أعطاف نعيم السعادة وهو فى حقيقة الأمر غارق فى جحيم الشقاء، ولكنه مسلوب الشعور والإدراك"[1].

إذن فليس الأقرب إلى الشخصية الإسلامية هو الأكثر زهادة فى زينة الله تعالى، والأقدر كبتاً لعواطف ومشاعر البشرية فى نفسه، والأعظم نسياناً لنصيبه من الدنيا، إنما الموضوع هو قدرة المسلم على تمييز الطيب من الخبيث، والحلال من الحرام، واتقاء الله فيما يؤخذ وفيما يترك.

ويتصل بهذا الموضوع ما يقال من أن الإسلام غض من شأن المال وأن المؤمن الحق لا يهتم به، وهذا أيضاً غير صحيح فالقاعدة الأساسية للقرآن فى المال أنه فتنة، أى اختبار وامتحان للبشر فى حياتهم الدنيوية إذ هو الوسيلة إلى الإصلاح والإفساد والخير والشر، وهو مثار التنازع والتنافس فى كسبه وإنفاقه وكنزه واحتكاره، ولا يعتبر ذلك غضاً من شأن المال، وهو كما قال سبحانه من زينة الحياة الدنيا، وموقف الإسلام كموقفه من سائر ما آتاه الله تعالى به فى الدنيا، كل طيب منه حلال ونعمة، وكل خبيث حرام ونقمة.

وقد نظرت السنة النبوية إلى المال نظرة عملية واقعية، فلم تعتبره هو الهدف، بل جعلت الهدف ومنبع الثروة هو الإنتاج، وربطت بين المال وبين العمل والجد والسعى، واعتبرت أن

---

(١) المسألة الإجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية للدكتور/ عمر عودة الخطيب صـــ٢١٢ ، ٢١٣ باختصار ط مؤسسة الرسالة ١٩٧٠م.

الأساس هو الإهتمام بما يوصل إلى الثروة لا بالثروة نفسها، وذلك أن المال ليس بذى قيمة فى ذاته، فالذهب والفضة والمعادن النفيسة وأوراق النقد كل ذلك ليس إلاَّ رمزاً لطاقة الإنسان وجهده، أولما تستثمر الدولة من موارد، والقيمة الحقيقية إنما هى فيما يحسب آداة، أو فيما تستطيع الأمة استخراجه والإنتفاع به من خيرات فى باطن الأرض أو فوق سطحها من زرع وضرع ومعادن، وإن كل هذا لا تتحقق الإستفادة منه ولا يصبح ثروة حقيقية إلاَّ بالعمل والجد والسعى والإستثمار.

ويشير الشيخ **محمود شلتوت** إلى مكانة المال فى الإسلام فيقول: "والمتتبع لتعاليم الإسلام، وسنة رسول الله ﷺ يخرج بنتيجة واضحة هى أنه دين الحياة.

فلا عجب أن يكون للمال فى النظام الإسلامى قيمة كبيرة ومكانة مرموقة وليس من ريب بأن كل ما تتوقف عليه الحياة فى أصلها وكمالها وسعادتها وعزها من علم وصحة وقوة واتساع فى العمران والسلطان، فلا سبيل لكل ذلك إلاَّ بالمال.

هذا ولقد نظر القرآن الكريم إلى الأموال هذه النظرة الواقعية، فوصفها بأنه زينة الحياة، وسوَّى فى ذلك بينها وبين الأبناء، ووصفها بأنها قوام للناس، وقوام الشىء ما به يحفظ ويستقيم، وهى -كما نرى – قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة.

ولما كان الإسلام ديناً عملياً ينظم بأحكامه مقتضيات الحياة، ويوازن فى الوقت نفسه بين مطالب الروح والجسم بميزان العدل والإستقامة، وقد رسم للروح طريق سعادتها، كان من الضرورى أن يرسم أيضاً للمادة طريق سعادتها، ويأمر بتحصيل ما فيه خيرها ونفعها، ومن هنا أمر بتحصيل الأموال من طرق فيها الخير للناس وفيها النشاط والعمل وفيهاعمارة الكون والتقلب فى الأرض وفيها الإختلاط والتعارف والتعاون والمبادلة"[١].

ومسؤلية المسلم هى أن يميز الحدود فلا يجمع المال جمعاً دون التفريق بين الحلال والحرام "فالمال لابد أن يأتى من الطريق الحلال بعيداً عن مصادر الحرام كما فى الخمر والميسر ولحم الخنزير والميتة والسرقة والإغتصاب فكل ما جاء من إحدى هذه الطرق هو حرام لا يجوز تملكه ولا الإنتفاع به"[٢].

فإذا كسب الإنسان المال من وجوهه المشروعة حلالاً طيباً دون أن يلهيه ذلك عن ذكر الله تعالى وتقواه، وإذا أنفقه فيما أحل الله له من طيبات الرزق، وفيما فرض عليه من تكافل

---

[١] الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت صـ ٢٥٠ بتصرف ط الشروق ١٤١١هـ – ١٩٩١ م

[٢] أصول الإقتصاد الإسلامى ، ونظرية التوازن الإقتصادى فى الإسلام صـ٦٦ تأليف د/ أمين مصطفى عبد الله ط عيسى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م

وتراحم واستثمار فى وجوه المنفعة العامة، وبذل فى سبيل الله تعالى للحق والخير، ضاعف الله المال وبارك فيه.

فالمبدأ الإسلامى هو التمييز بين طيب حلال وخبيث حرام ليؤدى المال الحلال كسباً وإنفاقاً واستثماراً وظيفته العامة لخير المجتمع.

هذه صراحة الإسلام، وأن ما نرى اليوم من تأخر المسلمين وتخلفهم عن الركب وقعودهم عن المجد وسوء حالهم، وبؤس مصيرهم، لم ينجم ذلك عن طبيعة دينهم ولا عن نقص فى شريعتهم، وإنما نشأ عن تفريطهم وركودهم، فالإسلام دين وسياسة ورياسة ونظام وعمل. تلك نظرة الإسلام إلى الدنيا وتلك أغراضه التى يسعى إليها وذلك لسانه إذا تكلم عن الحياة، والعاقل من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

**الخلاصة :**

لقد كان من أثر انتشار المذاهب المادية فى عصرنا الحاضر أن تغيرت القيم الخلقية تغيراً كبيراً وأصبحت الفضائل النفسية عند كثير من الناس عبثاً لا ضرورة له، بل عبثاً ينبغى الخلاص منه، وترك النفوس تسترسل مع هواها دون معاناه لكبته...

وأخطر شىء على أخلاق الناس هو هذه الدنيا بمتاعها ومغرياتها، الدنيا بزخارفها وشهواتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث.

إن الغُلو فى حب الدنيا هو رأس كل خطيئة، والتنافس عليها أساس كل بلية، من أجل متاع الدنيا يبيع الأخ أخاه، ومن أجل متاع الدنيا يقتل الإبن أباه، ومن أجلها يخون الناس الأمانات، وينكثون العهود، ومن أجلها يجحد الناس الحقوق وينسون الواجبات.

ومن أجل شهوات الدنيا ومفاتنها يغش التجار ويطففون، ويجور القضاة ويرتشون ويطغى الأغنياء ويترفون وينافق ضعفاء النفوس.

من أجل الدنيا تُسفك الدماء، وتستباح الحرمات، وتُداس القيم، ويباع الدين والشرف والوطن والعِرض وكل معنى إنسانى كريم.

كل هذا من أجل الدنيا ومتاع الدنيا وشهوات الدنيا، من أجل امرأة أو عمارة أو منصب أو دنانير، أو حظوة لدى رئيس، أو شهرة بين الناس، أو غير ذلك من هَمِّ البطن وشهوة الفرج، وحب الجاه والمال، وشهوة السيطرة والإستعلاء.

فشهوة البطن شغلت فريقاً كبيراً من المسلمين، فلاهَم لهم إلاَّ ملء هذه البطون، ولا قيمة بعد ذلك فى أنظارهم لحلال أو حرام، وهكذا تنبت لحومهم من الحرام، وتجرى دماؤهم بالحرام وتنبض قلوبهم بحب الحرام.

ومن الناس فريق آخرون، مُولَعون بشهوة الفرج، فنراهم وقد ملكت عليهم هذه الشهوة كل حواسهم، وقبضت على أعنة مشاعرهم، فسخرتها جميعها فى خدمتها، واحتلت المكان الأول من أفكارهم، وشغلت من عقولهم كل فراغ، أوقفوا كل جهودهم فى سبيل الوصول إلى مرذول أغراضهم، من هذه الشهوة الدنيئة، وإشباع نفوسهم منها ساعة من يوم، يعقبها حسرة وندامة، وفقر مادِّىّ وأدبىّ، وانحطاط خَلقى وخُلُقى، ثم سقوط فى حضيض المذلة والهوان!

ومن الناس فريق ثالث أغراهم المال، فمهمتهم فى الحياة تنحصر فى جمع الاموال، واقتنائها من أى طريق كان، فهؤلاء فى سبيل الوصول إلى أغراضهم، لم يتورعوا عن استخدام كل دنيئة أو ارتكاب كل نقيصة، فاستعملوا النفاق والرياء، واستخدموا الغش والخداع، وخلفوا الوعود، ونقضوا العهود. أولئك قوم أعمتهم شهوة المال: يجمعونه ولا حظَّ لهم غالباً فيه، فنراهم حرَّاساً عليه، يعملون على تنميته وهم منه محرومون، عيشهم شقاء، وحالهم بلاء.

وفى الناس قوم آخرون، غرَّتهم شهوات الأولاد، فألهتْهم عن ذكر الله تعالى، وصرفتهم عما يجب من الطاعة والعبادة للخالق الرازق.

وفريق آخر قتلهم المنصب والسلطان، وحب بمظاهر العظمة والشهرة، فحمَّلوا أنفسهم فوق طاقتها، وادّعوا ما ليس لهم، وظهروا للناس فى غير مظهرهم الحقيقى، وحاولوا أن يكونوا عظماء ولو بالباطل، وصرفوا هذا الباب كلَّ جهودهم، إطفاءً لشهوة العظمة المتمكنة من نفوسهم، ولكن سرعان ما تنكشف للناس حالُهم، وتفضح الأيام دخائل نفوسهم، فتنعكس عليهم الآية، ولا يبوءون بغير الخزى والعار، والهُزء والإحتقار.

ففى الحق أن هؤلاء وأمثالهم، لا دنيا أصابوا، ولا ديناً أقاموا، بل خسروا الحياتين، وتخبَّطوا فى الطريقين، فتاهوا فى ليل من الجهالة والضلال وراحوا ضحيَّة الدنيا وحب الشهوات.

أجل إن حب الحياة والأمل فيها جزء من فطرة الإنسان، ولولا ذلك ما عمرت الأرض، ولا ترعرعت شجرة الحياة، فلم يكن مما ينافى الحكمة أن يزين للناس حب الشهوات، ولكن الخطر كل الخطر أن يستغرق الناس فى حب الدنيا وطول الأمل فيها، وأن تكون هذه الحياة القصيرة أكبر همهم، ومبلغ علمهم، ومنتهى آمالهم، شأن أولئك الذين لا يرجون لقاء الله تعالى ولا يؤمنون بيوم الحساب.

فالمجتمع الغربى ليس سعيداً مع كل ما يملكه، من مستوى مادى مرتفع، وحريات كثيرة، فالقلق والملل من الأمراض الرئيسية للحضارة الغربية، فلا الإباحة الجنسية، ولا المال، ولا الإستقلال، ولاغير ذلك جعل الغرب سعيداً، فحياتهم شقاء وحالهم بلاء.

إن المؤمن بالله تعالى والآخرة هو الذى يستطيع أن يعلو على شهوات الدنيا، وأن يطرح مغرياتها وراء ظهره، ويقول لها ما قال الإمام على بن أبى طالب ﷺ "إليك عنى ياصفراء يابيضاء، غُرِّى غيرى.. إلىَّ تعرضتِ أم إلىَّ تشوقتِ؟ قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها"[1].

درٌ من الحكم تُنثر.. ولكن تبقى الهمة العالية.. والمسارعة المستمرة.. ويبقى دوماً تذكر يوم المعاد.

إن الإيمان قوة قاهرة غلاَّبة، أقوى من الغرائز والشهوات، وأقوى من سلطان العادات، أقوى من كل المؤثرات.

الإيمان وحده هو الذى يعطى صاحبه القدرة على مقاومة إغراء الدنيا وفتنتها، إنه قد يملك الدنيا ولكنها لا تملكه، وقد تمتلىء بها يداه، ولكن لا يمتلىء بها قلبه، وذلك أنه يعيش فى الدنيا بروح المرتحل، كأنه غريب أو عابر سبيل، ومن عاش فى الدنيا بهذه الروح فلا خوف عليه من امتلاك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، إنه يحيا فى الدنيا بقلب أهل الآخرة، ويمشى وقدمه فى الارض، وقلبه موصول بالسماء.

ليس معنى هذا أن يقعد المؤمن السعى فى الحياة، أو يُحرِّم على نفسه طيباتها، أو يدع عجلتها لقيادة الكفار والفجار.

كلا، إنه مأمور أن يعمر الدنيا، وأن ينميها ويرقيها، مأمور أن يمشى فى مناكب الأرض ويأكل من رزق الله فيها، وينعم بطيباتها، ويُسخِّرها لخدمة رسالته وعقيدته، وأن يكون فيها سيداً لا عبداً.

إن الإستعلاء على متاع الدنيا والإستكبار على شهواتها ومغرياتها، ليس معناه أبداً تحريم طيباتها، أو تعطيل مصالحها، إنما المقصود أن تكون الآخرة مراد المؤمن وغاية سعيه، واتخاذ الدنيا وسيلة لا غاية، وممراً لا مقراً.

هذا وبعد أن أُلقيت الضوء على السبب الثانى من أسباب الشقاء وهو الإغترار بالدنيا أنتقل إلى السبب الثالث ألا وهو اقتراف الذنوب والمعاصى فأقول وبالله التوفيق.

---

[1] صفوة الصفوة للإمام أبى الفرج بن الجوزى ١/ ٩٨ بتصرف ط دار ابن خلدون

# الفصل الثالث

# إقتراف الذنوب والمعاصى

## ويتكون من مبحثين:

**المبحث الأول: الذنوب وأقسامها**

**المبحث الثانى: الرياء وأثره على الفرد والمجتمع المسلم**

obeikandl.com

# المبحث الأول

# الذنوب وأقسامها

obeikandl.com

# الذنوب وأقسامها

## مُقَدِّمَة

يمر العالم فى هذا العصر الذى نعيشه وتعيشه البشرية جمعاء بمرحلة دقيقة وظروف عصيبة تحتاج من المسلمين جميعاً فى كل بقاع الأرض أن يكونوا على حذر من التردى فى المعاصى، وعلى يقظة من الوقوع فى الشراك التى تنصب لهم ومواجهة الصعاب التى توضع فى طريقهم وعلى معرفة بأضواء الفتن والمغريات التى تزين لهم المسالك والضروب لغوايتهم وفتنتهم عن دينهم الذى ارتضاه لهم الخالق جلت قدرته وتحويلهم عن منهجهم فى الحياة ، وذلك المنهج الذى وضعه لهم رسولهم الأمين صلوات الله وسلامه عليه وفق ما جاء به كتابهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فإن منبع الشقاء كله هو اقتراف الذنوب والمعاصى فما من شر وهلاك إلاَّ وسببه الذنوب والمعاصى.

يقول الإمام **ابن القيم** : "ينبغى أن يعلم أن الذنوب والمعاصى تضر، وهل فى الدنيا والآخرة شر وداء إلاَّ وسببه الذنوب والمعاصى؟

فما الذى أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب. إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه ومقته أكبر المقت فأرداه ، فصار قواداً لكل فاسق ومجرم رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة ، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك ..

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رواسى الجبال ؟ وما الذى سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ؟

وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم ؟

وما الذى رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً.

وما الذى أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر ؟

وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله ؟

وما الذى بعث على نبى إسرائيل قوماً أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى والنساء ، وأحرقوا اليار ونهبوا الأموال ، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبَّروا ما علوا تتبيراً.

وما الذى سلط عليهم أنواع العقوبات ، مرة بالقتل والسبى وخراب البلاد ، ومرة بجور الملوك ، ومرة بمسخهم قردة وخنازير وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [١][٢]

**تعريف الذنوب :**

**الذنب فى اللغة :** "كلمة الذَّنبَ فى الأصل تطلق على ذيل الحيوان ، وذَنَبُ كل شىء آخره ، ويقال هو ذَنَبُ فلان أى تابعة ، والذَّنب الأمر غير المشروع يرتكب "[٣]

**وفى المفردات :** " الذنب فى الأصل الأخذ بذنب الشىء يقال ذَنَبتُهُ أصبت ذَنَبه ، ويستعمل فى كل فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشىء ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته "[٤]

**الذنب فى الاصطلاح : "يقول الإمام ابو حامد الغزالى :** " الذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى فى فعل أو ترك "[٥]

**ويقول الجرجانى :** " هو كل ما يحجبك عن الله تعالى "[٦]

ويمكن القول : بأن الذنوب هى مخالفة ما أمر الله تعالى به ومقارفة ما نهى عنه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

يؤيد هذا قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [٧]

---

[١] سورة الأعراف الآية ١٦٧

[٢] الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم الجوزية صـ ٤٢ ، ٤٣ باختصار ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

[٣] المعجم الوجيز صـ٢٤٧

[٤] المفردات للراغب صـ٢٤٧

[٥] إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى ٢٢/٤

[٦] التعريفات للجرجانى صـ١٠٧

[٧] سورة النساء الآية ١٤

**أقسام الذنوب :**

"لقد دلَّ القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن الذنوب كبائر وصغائر قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾(١)(٢)

**يقول الدكتور/ سعيد عرام فى تفسيره للآية الكريمة:** " الفواحش والكبائر لفظان مترادفان ، والمراد باللمم ما صغر من الذنوب على رأى جمهور المفسرين وألم بالطعام قل أكله منه "(٣)

**ويقول الشيخ / عفيف طبارة :** " الخطايا فى الإسلام تنقسم إلى صغائر وكبائر ، لقوله تعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾(٤)

فتصريح الآية بالكبائر يدل بالمفهوم على وجود غيرها اى الصغائر وللعلماء فى تعريف الكبائر أقوال شتى نجملها فيما يلى: قيل: كل ما نهى عنه، أو ما نص القرآن على تحريمه، أو ما وجب فيه حد ، أو ما ورد فيه لعنه أو ورد فيه وعيد شديد ، أو وصف فاعلة بالفسق.

وقيل إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر، المنصوص عليها فإن نقصت عن مفاسد الكبائر المنصوص عليها فهى من الصغائر ، وإن ساءت أدنى خطايا الكبائر أوزادت عليها فهى من الكبائر.

وقيل لا كبيرة مع الإستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرر ، والمعنى أن الكبيرة تمحى بالإستغفار والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار على اقترافها "(٥)

"وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن قالوا كل ذنب قرن به وعيد أوحد أو لعن فهو من الكبائر، ... فقتل المؤمن، كبائر لاقترن الحدود بها، وعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن بالوعيد ، أو اللعن ، أو الحد فمفسدته كبيرة "(٦)

---

(١) سورة النجم الآية ٣٢

(٢) الجواب الكافى صـ١٣٥

(٣) تفسير سورة الطور والنجم للأستاذ الدكتور / محمد سعيد عرام صـ٨٥ ط الطاووس – بلبيس – بدون

(٤) سورة النساء الآية ٣١

(٥) الخطايا فى نظر الإسلام للشيخ / عفيف عبد الفتاح طبارة صـ١٢ ، ١٣ ط دار العلم للملايين – بيروت– ١٩٧٦م.

(٦) الإيمان : أركانه .. نواقصه ، للدكتور / محمد نعيم ياسين صـ١٨٣ ، ١٨٤ ط الزهراء ١٩٩٠م نقلاً عن قواعد الأحكام لعز بن عبد السلام صـ٢٣ ، ٢٤ باختصار

"ولقد وضع العلماء حدوداً للكبيرة هى أمارات لها تميزها عن الصغيرة منها :

١- أنها ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنه.

٢- أنها كل معصية استوجب صاحبها الحد فى الدنيا، أو التعذيب على قدرها فى الآخرة.

٣- أنها كل ما نص الكتاب على تحريمه ، أوجب فى جنسه حد وترك فريضة تجب فوراً ، والكذب فى الشهادة والرواية واليمين.

٤- كل كبيرة تعلم بقلة اكتراث أو اعتناء مرتكبها بالدين .

٥- أنها كل محرم لعينه منهى عنه لمعنى فى نفسه ، فإن فعله على وجه يجمع على وجهين أو وجوهاً من التحريم كان فاحشة ، فالزنا كبيرة ، وبحليلة الجار فاحشة "[١]

**أكبر الكبائر :**

إن الناظر فى آيات القرآن الكريم نجد أنها تبين لنا أن الله ﷻ يغفر كل الذنوب كبيرها وصغيرها إلاَّ الشرك بالله ﷻ ، مما يبين أن أكبر الكبائر عند الله سبحانه هو الشرك بالله تعالى، قال ﷻ ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾[٢]

بل وإن السنة النبوية جعلت فى مقدمة الكبائر الشرك فى أكثر من حديث منها ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ (ثلاثاً) الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور، (أوقول الزور) ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت) [٣]

فذكر فى مقدمة الكبائر الإشراك بالله إذ الإشراك بالله إثم عظيم وجرم كبير ، لأن الشرك يُعد تجن على الذات العلية الإلهية المتفردة بالخلق والتدبير لهذا الكون ، فاتخاذ إله آخر مع الله تعالى هو إتهام للذات العلية بالعجز ، وهو افتراء باطل فى حق القدرة الإلهية.

"وأنواع هذا الشرك أربعة"

**النوع الأول :** شرك الدعاء وهو دعاء غير الله تعالى ، قال تعالى ناهياً عن ذلك :﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤]

---

[١] الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام / أحمد بن محمد بن على الهيثمى صـ ١٤ -١٦ باختصار ، ضبطه أحمد عبد الشافى ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

[٢] سورة النساء الآية ١١٦

[٣] أخرجه البخارى ، كتاب الشهوات ، باب ما قيل فى شهادة الزور ٢٦٥٤ ، ومسلم كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها ١٤٣ والترمذى ٢٣٠١

[٤] سورة يونس الآية ١٠٦

**النوع الثاني :** شرك النية وإرادة القصد، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

**النوع الثالث :** شرك الطاعة قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢)

**النوع الرابع :** شرك المحبة قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (٣) (٤)

"ويدخل فى الشرك أيضاً التكذيب برسالة سيدنا محمد ﷺ أو بشيء مما جاء به ، فإن الله تعالى قد أقام الحجة الدامغة على رسالة سيدنا محمد وصدق ما جاء به ، كذلك الأمر بالنسبة لمن لم يرض بحكم الله فزاد عليه حكماً ، أو استحل ما حرمه الله تعالى ، أو حرَّم ما أحله الله تعالى بعد بلوغ الحق إليه ، وقيام الحجة عليه ، إذ هو يجحد النص القرآنى أو حديث الرسول ﷺ ويجعل حكمه أو حكم من اتبعه أفضل وأعدل من حكم الله ﷻ ، فهو قد جعل من نفسه ومن اتبعه نداً لله ﷻ "(٥)

إذاً فالشرك بكافة أنواعه وأقصد الشرك الأكبر المفقد للسعادة فى الدنيا والآخرة ، يعد رأس جميع الذنوب والمعاصى.

**وبعد**: فإن الله ﷻ أعدَّ للمشركين العذاب الأليم ، والشقاء الدائم فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٦)

---

(١) سورة هود الآيتان ١٥-١٦
(٢) سورة التوبة الآية ٣١
(٣) سورة البقرة الآية ١٦٥
(٤) مجموعة التوحيد لابن تيمية صـ٩ وما بعدها ، ط عيسى الحلبى – بدون.
(٥) دعاة لا قضاة لحسن الهضيبى صـ٢٧١ ، وما بعدها ط دار النشر والتوزيع الإسلامية القاهرة – بدون
(٦) سورة الحج الآية ٣١

فإن الشرك مصدر شر على البشرية فى تاريخها الطويل، فهو الذى كبَّل عقول الناس بالخرافات والأساطير، وحال دون رقيهم، وجلب الخصام، والنزاع، وأدى ذلك إلى نشوء طبقات من رجال الدين، استغلت الشعوب فى سبيل ثرائها، والعيش الرغيد على حسابها .

هذا وبعد أن ألقيت الضوء على الشرك الأكبر وأنواعه، أنتقل إلى الحديث عن الشرك الأصغر ويسمى بالرياء حيث يقول ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال: الرياء) [١] وذلك لأن الرياء غش وكذب وخداع ينبثق من القلب المريض.

[١] أخرجه أحمد (٤٢٨/٥) والحاكم فى المستدرك (٣٦٥/٤) والبزار (٤٦/٨)والطبرانى فى الكبيـر(٢٥٣/٤).

obeikandl.com

# المبحث الثانى

# الرياء وأثره على الفرد والمجتمع المسلم

obeikandl.com

# الرياء وأثره على الفرد والمجتمع المسلم

الإخلاص والرياء ضدان لا يتلاقيان، فالإخلاص سببه الإيمان بالله تعالى إيماناً كاملاً، فيعتقد الإنسان أن الله تعالى وحده هو الذى يملك النفع والضر، ولا يملك سواه شيئاً إلاَّ بإذنه تعالى، لذا إذا عمل عملاً فإنه يعمله تنفيذاً لأمر الله ﷻ وإرضاءً له دون النظر إلى خلقه، والرياء سببه عدم الإيمان بالله، أو قلته، لذا يبتغى المرائى بعمله نفعاً من الناس، أو دفع مضرة منهم أو خداعهم.

المخلص واثق من ربه، صادق فى قوله وعمله، شجاع فى دنياه، عالم أن الله ﷻ هو أقوى من فى الوجود، ومهيمن على الكل فلا يمضى أمراً إلاَّ بإذنه ومشيئته سبحانه، لذا استوى عنده ثناء الناس وذمهم، ونفعهم وضررهم ما دام قد أرضى ربه وأطاع أمره، كما أن الله سبحانه اطلع على قلبه فرأى إخلاصه فقبل عمله وأثابه.

أما المرائى فينظر إلى الناس، دون النظر إلى ربه، أو ينظر لربه وللناس، ويرجو من الناس ما يرجوه المخلص من ربه، وقد يعمل ما عمل ليخدع الناس، وليظنوا به الخير ولا خير فيه، فيمقته ربه، ويضرب بعمله وجهه، ويَكِلُهُ إلى الناس ويكشف سره واعتبره منافقاً، والمنافقون فى الدرك الأسفل من النار يوم القيامة.

## تعريف الرياء:

جاء فى **المعجم الوسيط:** "رَاءَهُ مُرَاءَةً ورِئَاءً ورِياءً :أراهُ أنه متصف بالخير والصلاح عى خلاف ما هو عليه".[١]

وفى **إحياء علوم الدين:** "الرياء إرادة العباد بطاعة الله ﷻ".[٢]

والمعنى: يفعل المرائى العبادة لا يريد بها وجه الله وإنما يريد وجه الناس.

يقول **الشيخ/محمد بن علوى المالكى:** "معنى الرياء طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة كالذى يصلى ويصوم، ويتصدق ويحج، ويجاهد ويقرأ القرآن، ليعظمه الناس لذلك، ويكرموه، أو يعطوه من أموالهم– فذلك هو المرآئى، وعمله مردود، وسعيه خائب، سواء فعل له الناس ما أمله أو لم يفعلوه له".[٣]

---

[١] المعجم الوسيط ٣٣٢/١

[٢] إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالى ٢٩٧/٣ ، ط الشعب بيروت – لبنان ١٩٨٣م.

[٣] قل هذه سبيلى للمالكى صـ١٤٦

ويقول الشيخ / **أحمد فريد** فى كتابه البحر ارائق فى الزهد والرقائق: " الرياء مشتق من الرؤية، وأصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإرائهم خصال الخير، والمراد به كثير ويجمعه خمسة أقسام وهى جوامع ما يتزين به العبد للناس وهى: البدن والزى والقول والعمل والاتباع والأشياء الخارجة.

فأما الرياء فى الدين بالبدن فإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الإجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة.

وأما الرياء بالهيئة والزى فمثل تشعيث الشعر، وإطراق الرأس فى المشى، والهدوء فى الحركة، وإبقاء أثر السجود على الوجه، كل ذلك يراءى به.

وأما الرياء بالقول فرياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة والآثار، لإظهار شدة العناية بأحوال الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس .

وأما الرياء فى العمل فكمراءاة المصلى بطول القيام وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الإلتفات.

وأما المراءاة بالأصحاب والزائرين كالذى يتكلف أن يستزير عالماً من العلماء ليقال: إن فلاناً قد زار فلاناً".[1]

**وخلاصة القول**: الرياء فى العبادة، ويطلق عليه الشرك الأصغر، وهو أن يريد الإنسان بعبادته غير وجه الله تعالى، كأن يقصد إطلاع الناس على عبادته وورعه، حتى يحصل له منهم غرض دنيوى، نحو مال أو جاه أو ثناء، فمن يفعل ذلك تكون عبادته باطلة، ويكون مذموماً من الله تعالى، مردوداً عليه عمله، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلاَّ ما كان خالصاً.

والرياء في المعاملة: أن يعمل المرء ما يتظاهر به أمام الناس دون أن يستشعر ذلك في قلبه، يبغي بذلك الفخر واجتذاب الإعجاب الكاذب، وليس له مقصد سوى خداع نفسه، وخداع الناس عن حقيقة نواياه وما ينطوي عليه قلبه، وقد ندد القرآن الكريم في آيات كثيرة بأمثال هؤلاء المرائيين، وأبان مواطن ريائهم حتى لا يغتر بهم الناس ويسلكوهم في زمرة المؤمنين المخلصين، كما سيتضح ذلك فيما بعد.

---

[1] البحر الرائق فى الزهد والرقائق جمع وترتيب أحمد فريد صـ١٤٤ ط دار الإيمان للطباعة والنشر الإسكندرية ١٩٩٠م.

**بيان المرائى لأجله :**

" ينبغى أن يعلم أن للمرائى مقصوداً لا محالة، وإنما يرائى لإدراك حال أو جاه أو غرض من الأغراض، وله درجات .

**أحدها :** أن يكون مقصوده التمكن من معصيته، كالذى يرائى بعبادته ويظهر التقوى والورع وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى منصباً أو يسلم إليه تفرقة مال ليستأثر بما قدر عليه منه، وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى، لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلماً إلى معصيته.

**ثانيها:** أن يكون غرضه نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح، كالذى يظهر العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه أو إعطائه، فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول.

**الثالث:** أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح، ولكنه يظهر عبادته خوفاً من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويُعتقد أنه من جملة العامة"[١].

**أقسام الريـــاء :**

"الرياء جلى وخفى: فالجلى هو الذى يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه، وأخفى منه قليلاً الذى لا يحمل على العمل بمجرده، إلاَّ أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله تعالى كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه.

ومن الرياء الخفى كذلك أن يخفى العبد طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وأن يثنوا عليه، وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه، وأن يسامحوه فى البيع والشراء، وان يوسعوا له المكان، فإن قصَّر فيه مقصرتقل ذلك على قلبه، ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون فى إخفاء طاعاتهم أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله يوم القيامة بإخلاصهم إذ علموا أنه لا يقبل يوم القيامة إلاَّ الخالص، وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة"[٢]

**أثر الرياء على الفرد والمجتمع المسلم :**

الرياء مهلك وخطره عظيم والإحتراز منه واجب مهم، وأشد أنواعه: أن يتجرد باعث الرياء فى العبادة بحيث يصير أول ما يقصده الناس، ويصير حريصاً على إطلاعهم ونظرهم

---

[١] البحر الرائق فى الزهد والرقائق جمع وترتيب أحمد فريد صـــ١٤٤

[٢] المصدر السابق صـــ١٤٥

إليه، ولم يجد باعثاً على العمل غير ذلك أصلاً، ودون ذلك: أن يقصد بعمله التقرب إلى الله تعالى وطلب ثواب الآخرة، مع مراءاة الناس وطلب المحمدة عندهم والمنزلة وهذا قبيح محبط للثواب، والذى قبله أقبح وأحبط وأخطر ولا يخلو صاحبه من الإثم والعقاب.

هذا وإن أخطر آثار الرياء: أنه آفة تفسد العمل، فإذا كان الإخلاص فى القول وفى العمل يؤدى إلى السعادة فى الدنيا والآخرة، فإن الرياء والتفاخر وابتغاء رضا الناس، وإيثار ما عندهم على ما عند الله تعالى، يؤدى إلى حبوط العمل، وإلى عدم قبوله عند الله تعالى. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[١].

يقول **الرازى** فى تفسيره : "أى غافلون غير مبالين بها حتى تفوتهم بالكلية أو يخرج وقتها، أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله ﷺ والسلف، ولكن ينقرونها نقراً ولا يخشعون وينجدون فيها ويتهمون، وفى كل واد من الأفكار الغير مناسبة لها يهيمون، فيسلم أحدهم فيها ولا يدرى ما قرأ فيها إلى غير ذلك مما يدل على قلة المبالاة بها"[٢].

ويقول **صاحب الظلال:** "هذا نص قرآنى ينذر مصلين بالويل، لأنهم لم يقيموا الصلاة حقاً إنما أدوا حركات لا روح فيها، ولم يتجردوا لله فيها، إنما أدوها رياء، ولم تترك الصلاة أثرها فى قلوبهم وأعمالهم فهى إذن هباء، بل هى إذن معصية تنتظر سوء الجزاء"[٣].

ويقول **الصابونى:** "فى تفسيره لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أى يصلون أمام الناس رياءً ليقال إنهم صلحاء ويتخشعون ليقال إنهم أتقياء، ويتصدقون ليقال إنهم كرماء وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء"[٤].

"فالصلاة مع الرياء أمست جريمة، وبعدما فقدت روح الإخلاص باتت صورة ميتة لا خير فيها، وكذلك الزكاة، إنها إن صدرت عن قلب يرجو الله ويدخر عنده قبلت، وإلاَّ فهى عمل باطل قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَـوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٥] [٦]

---

[١] سورة الماعون الآيات ٤-٧
[٢] تفسير الرازى ٤٣٦/١٦ باختصار
[٣] تفسير الظلال ٣٩٨٦/٦ بتصرف واختصار
[٤] صفوة التفاسير للصابونى ١٠٨/٢٠ ، ط دار القلم بيروت – ط الخامسة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
[٥] سورة البقرة الآية ٢٦٤
[٦] خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى صـ٧٠

"المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتفريع بها، مثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك ونحو ذلك، وقيل: المن: هوالتحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه.

أما الأذى: فهو السب والتشكى، وهم أعم من المن، لأن المن جزء من الأذى لكنه نُصَّ عليه لكثرة وقوعه وللتنبيه إليه.

فالمن والأذى يكشفان ممن ظهرا منه أنه إنما كان يريد مقْصِداً دنيوياً، وأنه لم يجعل عمله خالصاً لوجه الله ﷻ، فلهذا كان المن والأذى مُضيعين للعمل، مبطلين للصدقة إذ بَيِّنٌ كل واحدٍ منهما أنها لم تكن صدقة وإنما كانت لأمر آخر، كأن يريد من المنفَق عليه جزاءً بوجهٍ من الوجوه، أو ينتظر ثناءً أو حسن صيت ومنزلة، وإنما الأعمال بالنيات والمقاصد ولكل امرىء ما نوى، فعلى المرء أن يريد وجه الله تعالى وثوابه بإنفاقه على المنْفَق عليه، ولا يرجو منه شيئاً ولا ينظر من أحواله فى حال سوى أن يراعى استحقاقه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١)

أى أن المتصدق الذى يريد بركات الدنيا والدين وخير الدنيا والآخرة ينبغى له أن يكون عطاؤه لله، وأكثر قصده ابتغاء ما عند الله تعالى، وأنه إنما يفعل ما يفعل ليشكر المنعِم سبحانه وتعالى، ولأن دينه حَضَّه وحثه على تطهيـــر المال بالزكاة والصدقات قال الماوردى: وإذا كان العطاء على هذا الوجه خالياً من طلب جزاء وشكر وعُريا عن امتنان ونشْرٍ كان ذلك أشرف للباذل، وأهنأ للقابل، فأما المعطِى إذا التمس بعطائه الجزاء، وطلب به الشكر والثناء كان صاحب سمعة ورياء، وفى هذين من الذم ما ينافى السخاء، وقد شُبِّه طالب الجزاء من المتصَدَّق عليه بالتاجر الذى يريد الربح فهو غير مستحق للأجر ولا للحمد، وقد قال ابن عباس فى قـــوله تـــعالى:﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾(٢) أى لا تعطى عطية تلتمس بها أفضل منها "(٣).

يقول الدكتور/**محمد محمود حجازى:** "والمن والأذى طبيعة فى النفوس وغريزة فى بنى الإنسان ولذا حرمهما الله بأن شرط فى النفقة الشرعية خلوَّها من المن والأذى، وبيَّن أن العدول عن الصدقة التى يتبعها أذى إلى قول معروف خير من تلك الصدقة.

---

(١) سورة الإنسان الآية ٩

(٢) سورة المدثر الآية ٦

(٣) أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم ، تأليف أحمد بن محمد طـــاحون ٦٧/١، ٦٨ بتصـــرف واختصـــار الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ - ١٩٩١م.

ثم بعد هذا كله خاطب المؤمنين بوصف الإيمان ليكون ذلك أدعى للقبول والإمتثال، وحرَّم عليهم المن والرياء صراحة فقال: ياأيها الذين آمنوا لا تحبطوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى

أفسدت بالمن ما أسديـــت من حَسَن ✱ ليـــــس الكريم إذا أسدى بمنَّـــانِ

فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم كمن ينفق ماله للرياء والسمعة، والمرائى يظهر للناس أنه يريد وجه الله تعالى، وفى الواقع هو يريد وجه الناس ليقال عنه: إنه كريم وجواد وغير ذلك من أغراض الدنيا، ولذا وصفه الله ﷻ بقوله: لا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل الذى يمن ويؤذى والذى يرائى، كمثل حجر أصم عليه تراب وقد نزل عليه مطر شديد فذهب التراب وبقى الحجر أملس، وهكذا الذى يمن أو يرائى يلبس ثوباً غير ثوبه، ثم لا يلبث أن ينكشف أمره ويتهتك ستره فيكون ما تلبس به كالتراب على الصفوان يذهب به الوابل فلا يبقى من أثره شيء.

ثوب الريـــــاء يشف عما تحته ✱ فإذا اكتسيـــــت به فإنك عـــــار

فالذى يمن أو يرائى مذموم فى الدنيا من الناس أجمعين وأما فى الآخرة فلا ثواب إلاَّ للمخلصين الذين ينفقون ابتغاء مرضاة الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا رياء، والله لا يهدى القوم الكافرين"[١].

**وجاء فى الدر المنثور فى التفسير المأثور:** "أخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى الآية قال الله للمؤمنين: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فتبطل كما بطلت صدقة الرياء، وكذلك هذا الذى ينفق ماله رئاء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا"[٢].

ويوضح ذلك النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى فيقول قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه) [٣].

يقول الشيخ/ **محمد الغزالى:** "وقد أعلن الإسلام كراهيته العنيفة للرياء فى الأعمال الصالحة، واعتبره شركاً بالله رب العالمين، والحق أن الرياء من أفتك العلل بالأعمال، وهو إذا استكمل أطواره وأتم دورته فى النفس، كما تستكمل جراثيم الأوبئة أطوارها ودورتها أصبح ضرباً من الوثنية، التى تقذف بصاحبها فى سواء الجحيم "[٤].

---

(١) التفسير الواضح للدكتور / محمد محمود حجازى ٤٤٥/١ باختصار الطبعة العاشرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢ م

(٢) الدر المنثور فى التفسير المأثور ، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ٤٤/٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الزهد وقائق باب تحريم الرياء ١١٥/١٨

(٤) خلق المسلم للشيخ / محمد الغزالى صـ٧٣

ومن آثار الرياء: أن الذين يكرههم رب العالمين من خلقه هم أهل الرياء والإعتداء والنفاق والشقاء فالله تعالى لا يحب كل خوان كفور، ولا يحب كل مختال فخور، ولا يحب الظالمين، ولا يحب المستكبرين، ولا يحب المعتدين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قَرِينًا ﴾[١].

فبين سبحانه وتعالى صفات هؤلاء الذين يبغضهم الله فقال ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ .. وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ ... ﴾.

يقول **الصابونى:** فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ﴾ "أى ينفقونها للفخار والشهرة لا ابتغاء وجه الله تعالى"[٢].

**ومن آثار الرياء والنفاق أيضاً :** دخول النار، فبين سبحانه عقاب المنافقين الشديد، وموقعهم من النار فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٣].

يقول **ابن كثير:** فى تفسيره للآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ . أى فى توابيت من نار تطبق عليهم أى مغلقة مقفلة، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ أى ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب "[٤].

ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم فى الدنيا تاب عليه وقبل ندمه إذا أخلص فى توبته وأصلح عمله، واعتصم بربه فى جميع أمره، وبدل الرياء بالإخلاص فقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٥]

يقول **الصابونى:** فى تفسيره للآية الكريمة :﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ ﴾ هذا استثناء أى تابوا عن النفاق ﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾ أى أعمالهم ونياتهم ﴿ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ ﴾ أى تمسكوا بكتاب

---

[١] سورة النساءالآيات ٣٦-٣٨
[٢] صفوة التفاسير للصابونى ١٣٤/٢
[٣] سورة النساء الآية ١٤٥
[٤] تفسير ابن كثير ٤٥١/١، ٤٥٢
[٥] سورة النساء الآية ١٤٦

الله ودينه ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ ﴾ أى لم يبتغوا بعملهم إلاَّ وجه الله ﴿ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى فى زمرتهم يوم القيامة ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾أى يعطيهم الأجر الكبير فى الآخرة وهو الجنة "[١].

## صفات المرائين المنافقين والظواهر السلوكية لخلق الرياء:

لكل خلق أو مجموعة أخلاق ظواهر فى السلوك تدل عليه، مهما حاول صاحب الخلق إخفاء أمره، ومن أسرَّ سريرة ألبسه الله منها رداء يكشف عنها ويدل عليها، وتكون الظواهر السلوكية مناسبة لقوة دوافع الخلق أو مجموعة الأخلاق.

وكما أن المعادن والعناصر والمركبات المادية والثمرات لها ظواهر تكشف عن حقيقتها- وهذه الظواهر لا تختلف، وتكون بمقدار نسبة العناصر أو المعادن أو المواد الجوهرية الداخلة فيها- فكذلك الأخلاق النفسية، والدوافع الداخلية لا بد أن يكون فى الظواهر السلوكية ما يدل عليها، باعتبار أن الإنسان فى داخله وفى خارجه وحدة متشابكة يؤثر بعضها ببعض ويتأثر بعضها ببعض، وتكاد تكون سنن الأشياء وطبائعها وسنن الأحياء وطبائعها متشابهة فى قوانينها الكلية، ولذلك شبه القرآن بعض أنواع من السلوك البشرى ببعض أنواع سلوك الأشياء فى الطبيعة.

وقد أفاض القرآن الكريم فى بيان صفات المرائين المنافقين فى مواطن شتى حتى عَرّى المنافقين من كل أغشية الخداع التى يحاولون بها ستر أكاذيبهم وإخفاء نفاقهم.

" ففى أوائل سورة البقرة جاء الكلام عن صفات المنافقين وظواهرهم السلوكية :

(١) إنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم، فيقولون آمنا بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين، إذ قلوبهم منكرة جاحدة، فهم يكذبون عن تعمد وإصرار، وليس كذبهم هذا فى أمور صغيرة أو عادية، ولكنه كذب فى الدين، كذب فى العقيدة وفى إعلان منهج الحياة، وفى بيان هذه الظاهرة من ظواهرهم السلوكية، التى هى بمثابة التعريف المميز لهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

(٢) إنهم فيما يتظاهرون به من قول أو عمل يقصدون مخادعة الذين آمنوا، ليأمنوا جانبهم وليأمنوا جانب أعدائهم، ويظفروا بالمغانم والمنافع من كلا الفريقين بحسب تصورهم، وفى

---

[١] صفوة التفاسير ١٣٤/٢

[٢] سورة البقرة الآية ٨

بيان هذه الظاهرة من ظواهرهم السلوكية يقول الله تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(١).

(٣) فى قلوبهم مرض خلقى هو السبب فى سلوكهم مسالك النفاق، وهذا المرض عرض طارىء وليس من أصل التكوين الفطرى، ولذلك سماه الله مرضاً، وفى بيان هذا الوصف من أوصافهم يقول الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(٢).

(٤) ومن ظواهرهم السلوكية أنهم يفسدون فى الأرض بأقوالهم وأعمالهم، فإذا قيل لهم: لا تفسدوا فى الأرض، بهتوا الحقيقة بكل وقاحة، وجعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً، دون حياء ولا تلجلج، وقالوا إنما نحن مصلحون، وأخذوا يبررون سلوكهم المنافق المفسد بأنه من الأعمال الإصلاحية وفى بيان هذا من أوصافهم يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾(٣).

(٥) ومن ظواهرهم السلوكية أنهم يزعمون لأنفسهم الذكاء ورجاحة العقل، وحسن التصرف فى الأمور، للتخلص من المآزق الحرجة التى يواجهونها، ويرون أن المؤمنين الصادقين فى إيمانهم أناس سفهاء، ناقصوا العقل قليلوا التفكير. وفى بيان هذا من أوصافهم يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

(٦) ومن ظواهرهم السلوكية أن لهم أكثر من وجه يستعلنون به إذا لقوا الذين آمنوا ولهم وجه آخر يتوارون به ولا يظهرونه إلاَّ إلى شياطينهم، أى إلى إخوانهم الكافرين أمثالهم، أو إلى الموسوسين لهم بأن يسلكوا مسلك النفاق من شياطين الإنس، كاليهود، ويبررون لإخوانهم هذا التلون بأنهم يستهزئون بالمؤمنين، أى: يستغفلونهم، ويخدعونهم ويغررون بهم ، وفى بيان هذا من أوصافهم يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية ٩
(٢) سورة البقرة الآية ١٠
(٣) سورة البقرة الآيتان ١١-١٢.
(٤) سورة البقرة الآية ١٣ .
(٥) سورة البقرة الآيتان ١٤-١٥.

(٧) ومن ظواهرهم السلوكية أنهم يتخذون أيمانهم الكاذبة جُنة يقون بها أنفسهم، ويسترون بها أعمالهم المخالفة لما أعلنوه من الإسلام، ويسترون بها جرائمهم وما يخفون من عداء وكراهية، وقد يتحول النفاق فيهم من ممارسة غير صادرة عن خلق أصيل فى النفس، إلى خُلق يتولد عنه انطماس البصيرة، والطبع على القلوب، حتى لا تجد المعارف الحقيقية والمذكرات بالله واليوم الآخر منافذ تنفذ منها إلى مواطن إدراكها، فهم لا يفقهون ما يسمعونه من دعوة إلى الحق والخير والهدى ، وفى بيان هذا من أوصافهم قال الله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. (١)

(٨) ومن صفات المنافقين أن ظواهرهم قد تعجب الناظرين، وأن أقوالهم ترضى السامعين، وإذا حضروا مجالس العلم والموعظة والتذكير بالله حضروا بأجسامهم فقط، وعقولهم وقلوبهم فى أودية أهوائهم وشهواتهم وأغراض دنياهم، فكأنهم فى هذه المجالس الإسلامية الربانية خُشُبٌ مسنّدة ودائماً فى حالة مستمرة من الذعر والقلق والخوف من انكشاف خياناتهم، وفى حالة تخوف دائم من أن ينكشف كفرهم فيصدر النداء لقتالهم والنكاية بهم، لذلك فهم يحسبون كل صيحة مسلطة عليهم، وفى بيان هذا من صفاتهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٢).

(٩) ومن الظواهر السلوكية للمرائين المنافقين، أنهم إذا قاموا إلى الصلاة مرآة للناس قاموا كسالى، وأنهم لا يذكرون الله إلاَّ قليلاً، والسبب فى ذلك أنهم لا يؤمنون بفائدة الصلاة، ولولا دافع الرياء لم يفعلوها، على أن صلتهم بالله أصلاً ولو عن طريق الإسلام صلة ضعيفة جداً، فهم لا يذكرون الله إلاَّ قليلاً، وفى بيان هذا من أوصافهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .(٣) (٤)

---

(١) سورة المنافقون الآيتان ٢-٣
(٢) سورة المنافقون الآية ٤
(٣) سورة النساء الآية ١٤٢
(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى صـ٥٦٦ وما بعدها بتصرف واختصار ط دار العلم – بدون.

**دواء الرياء وطريقة معالجة القلب منه : ــ**

علمنا أن الرياء محبط للأعمال، وسبب للمقت عند الكبير المتعال، وأنه من كبائر المهلكات، وفى علاجه مقامات :

**" أحدهما** : قطع عروقه وأصوله وهى حب لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما فى أيدى الناس، فهذه الثلاثة هى التى تحرك المرائى إلى الرياء، وعلاجه: أن يعلم مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عليه فى الحال من التوفيق وفى الآخرة من المنزلة عند الله تعالى، وما يتعرض له من العقاب والمقت الشديد والخزى الظاهر، فمهما تفكر العبد فى هذا الخزى وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم فى الدنيا بما يفوته فى الآخرة، وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال، فإنه يسهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكنه إذا بان له أن فيه سمًا أعرض عنه.

**المقام الثانى** : دفع العارض منه أثناء العبادة وذلك لابد أيضاً من تعلمه، فإن من جاهد نفسه بقطع مغارس الرياء وقطع الطمع، واستحقار مدح المخلوقين، وذمهم فقد لا يتركه الشيطان أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء، فإذا خطر له معرفة إطلاع الخلق دفع ذلك بأن قال لنفسه مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالك فأى فائدة فى علم غيره، فإذا هاجت الرغبة إلى لذة الحمد ذكر ما رسخ فى قلبه من قبل آفة الرياء وتعرضه للمقت الإلهى والخسران الأخروى"[1].

يقول الأستاذ/**أحمد لطفى السيد**: " الرياء مرض من أمراض النفس، أى ضعف فيها يجعلها لا تثق بأن لها وجوداً مستقلاً يهولها أمر مستقبلها الدنيوى، يوحشها ألاَّ تعتمد فى حياتها على نفوس كثيرة، تتخذها أرباباً وحماة لبقائها، يخيفها أن يبيت زيد غضبان منها، أو عمر حاسداً لها.

ذلك أن المرض إذا لم يعالج بالتربية، تتضاعف أعراضه شيئاً فشيئاً، حتى تموت فى النفس خاصة الذاتية، خاصة أن يقول الإنسان (أنا) تلك الخاصة التى هى ضرورية لوجود الفرد، ضرورية لسلامته، لازمة لأن تجعل منه ذاتاً تامة صالحة للدخول فى تكوين أمة سليمة قوية، حقيقة بالحرية والإستقلال، متى انعدمت هذه الخاصة، خاصة الشخصية فى رجل، وصارت ذاته تتراوح بين الذوات الأخرى، يسلم فى رأيه من غير اقتناع لإرضائها، ويسلم فى ماله لإرضائها، ويسلم فى مصلحته لإرضائها، ويتهاون فى مصلحة قومه ووطنه، فذلك إنسان قد مات وانقطع وجوده، وأصبح من الحمق أن يعد على أمته فرداً، يوم الإحصاء بل هو أضر

---

[1] البحر الرائق فى الزهد والرقائق صـــ١٤٥، ١٤٦

على الأمة من الميت، لأن الميت تموت معه أمراضه فلا تصل عدواها إلى غيره، ولكن بقاء هذا المريض ينقل داءه إلى أبنائه وأزواجه وخدمه ومن لهم به اتصال من النفوس البريئة التى وضعها سوء الطالع تحت عنايته أو رعايته.

علاج الرياء فى الصغر التربية الحرة وفى الكبر الموعظة الحسنة، وأبلغ ما تكون الموعظة، أن يعزز المرائى بالإعراض عنه، وجعله يلمس بيده نتائج ريائه السيئة "[١].

## ببيان الخطأ فى ترك الطاعات خوفاً من الرياء:

" من الناس من يترك العمل خوفاً من أن يكون مرائياً به، وذلك خطأ وموافقة للشيطان، وجر إلى البطالة وترك للخير، فما دام الباعث على العمل صحيحاً وهو فى ذاته موافق للشرع الحنيف فلا يترك العمل لوجود خاطر الرياء، بل على العبد أن يجاهد خاطر الرياء، ويلزم قلبه الحياء من الله تعالى، وأن يستبدل بحمده حمد المخلوقين.

قال **الفضيل بن عياض:** "العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وقال غيره: من ترك العمل خوفاً من الإخلاص فقد ترك الإخلاص والعمل"[٢].

## وقصارى القول:

"هذه الرذيلة، رذيلة الرياء يستخدمها بعض الناس وسيلة للنجاح فى الحياة، وهى حقيقة وسيلة نافعة فى البلاد الاستبدادية التى يتوقف نجاح الفرد فيها مهما كان كفؤاً على رضى السلطان وأعوانه، وأنه لا شىء يرضى السلطان إلاَّ العبادة وما الرياء إلاَّ ضرب من ضروب تلك العبادة، فالذى يرضى بأن يبيع نفسه عبداً ليشترى بثمنها قوتاً يعيش به استبعد عليه جداً أن يكون حافظاً للصورة التى خلقه الله عليها، صورة الأنانية والشخصية صورة الحرية، وما مثل هذا الناجح بريائه إلاَّ كمثل الذى ينجح فى الحصول على الثروة من طريق السرقة، فبئست الوسيلة وبئست الغاية. أما فى البلاد التى انتشرت فيها الحرية الشخصية وصار كل فرد آمنا على فوائد عمله من تعدى السلطان وأعوانه، وحصل كل امرىء على النتيجة المناسبة لكفاءته، فى مثل هذه البلاد يكون الرياء وسيلة عقيمة فى الغالب، بل يكون ذلك الرياء مسبة للحرية الشخصية لأن بنى آدم لم يجنحوا إلى هذه الرذيلة إلاَّ ليدفعوا عن أنفسهم بطش القاهر وتعديه

---

[١] مجلة منبر الإسلام ، العدد ٥ ، السنة ٢٠ ، جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - أكتوبر ١٩٦٢م تحت عنوان فى الأخلاق (الرياء) ، للأستاذ أحمد لطفى السيد صـ١٧

[٢] البحر الرائق فى الزهد والرقائق صـ١٤٦

عليهم، فإذا أمنوا ذلك البطش والتعدى كان المراءون منهم، كمن يأتى الرياء حباً فى الرياء لا وسيلة للنجاة "[١].

يقول الشيخ/ **محمد الغزالى:** " وإنما كانت حملات الإسلام على الرياء على ما هى عليه من الشدة، لأنها فساد معقد، وطريقة ملتوية فى التنفيس عن الشهوات المكبوته، فالرذيلة السافرة تولد جريمة، وتسير فى المجتمع جريمة، فهى منكورة محقورة ولعل صاحبها لشعوره بسوئها، يتوب منها على عجل أو على مهل ....

أما الرذيلة التى تظهر فى لباس من الطاعة المطلوبة، فهى رذيلة مرهوبة الشر على صاحبها وعلى المجتمع، ذلك أن صاحبها يقترفها وهو يشبع نَهَمَ نفسه، فى الوقت الذى يتوهم فيه أنه يرضى الله .... فكيف يحس أنه ارتكب إثماً ؟ وكيف يتوب مما يفترض أنه خير؟

أما المجتمع العام فمصائبه من الفضلاء المنافقين، أنكى من مصائبه التى ينزلها به معتادوا الإجرام من الصعاليك "[٢].

**وبعد** ....فعلى المؤمن أن يجتهد فى دفع الرياء عن نفسه، وأن لا يكون له نية ولا قصد فى جميع طاعاته وعبادته إلاَّ التقرب إلى الله وطلب ثواب الآخرة، فبذلك يخلص من الرياء، ويسلم من شره وبليته إن شاء الله تعالى .

ومهما خاف على نفسه الرياء، فَلْيُخْفِ أعماله ويفعلها فى السر، حيث لا يطلع عليه الناس فذلك أحوط وأسلم، وهو أفضل مطلقاً، أعنى العمل فى السر حتى لمن لم يَخَفْ على نفسه الرياء – إلاَّ للمخلص الكامل الذى يرجو إذا ظهر العمل أن يقتدى به الناس فيه.

**نعم** ... ومن الأعمال ما لا يتمكن الإنسان من فعله إلاَّ ظاهراً، كتعلم العلم وتعليمه ، وكالصلاة فى الجماعة والحج والجهاد ونحو ذلك، فمن خاف من الرياء حال فعله شيئاً من هذه الأعمال الظاهرة، فليس ينبغى له أن يتركه، بل عليه أن يفعله، ويجتهد فى دفع الرياء عن نفسه، ويستعين بالله تعالى، وهو نعم المولى ونعم المعين.

**الخلاصـــــة** :

مما سبق يتضح لنا أن اقتراف الذنوب والمعاصى سبب شقاء الإنسان فى الدنيا والآخرة، أياً كانت هذه الذنوب سواء كان هذا الذنب أو الخطأ نحو الله تعالى، كالشرك بنوعيه الأكبر والأصغر.

---

[١] مجلة منبر الإسلام، العدد٢٠، جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ أكتوبر ١٩٦٢ تحت عنوان فى الأخلاق (الريـــاء ) الأستاذ أحمد لطفى السيد صـــ ١٦، ١٧

[٢] خلق المسلم للشيخ / محمد الغزالى صـــ٧٣

أوكانت ذنوباً وخطايا نحو المجتمع، كالظلم وعدم البعد عن المنكر والتخلف عن الجهاد وشهادة الزور والنميمة ونحو ذلك .

أو كانت خطايا فى المعاملات: كالغش، وأكل أموال الناس بالباطل وأكل مال اليتيم، والرشوة والربا، .....الخ.

يقول **الشيخ عيد بطاح:** " ابتلينا والحمد لله على كل حال ببعض المثقفين الذين لا يؤمنون بان أخطر أعدائنا هى معاصينا، فالطاعات هى سبب كل خير، وسعادة ونصر، والمعاصى هى سبب كل شر، وشقاء، وهزيمة"[١].

ومما تمادى عليه أهل هذا الزمان، مباسطتهم، ومؤانستهم للعاصين واحترامهم ومقابلتهم بالبشاشة والإجلال، ومصاحبتهم طمعاً فيما عندهم، أو خوفاً من بطشهم مع أن الله تعالى قد نهانا عن هذه الأفعال، لأن معاملة العاصى على هذا النحو يجعله يتمادى فى إجرامه ويستمر فى عصيانه، ويكثر من الوقوع فى حدود الله تعالى.

ولو أن الناس عبسوا فى وجوه العصاة، وعاملوهم بالفتور والاحتقار، وهجروا مجالسهم، وقدموا أهل الدين والورع عليهم وحرصوا على صحبة الصالحين، والإقتداء بهم ومحاكاتهم. لو فعلوا ذلك .. لكان هذا العمل زاجراً لهم عن المعصية، ورادعاً لهم عن الوقوع فيها.

**وبالجملة،** فكلما أنه لا خير فى الدنيا والآخرة إلاَّ وسببه الطاعات فكذلك ليس فى الدنيا والآخرة شر ولا بلاء ولا محنة إلاَّ وسببه المعاصى، فهى سبب كل فساد فى البر والبحر ومن هلاك الأديان والأبدان، والأمراض والأسقام، وفساد الزروع والثمار، والقحط والخوف والغرق فى البحر، وهلاك الأموال والأنفس وغير ذلك.

كل ذلك بسبب الذنوب والمعاصى، فأفٍ من الذنوب ما أقبح آثارها، وما أشقى أهلها، فالله نسأل أن يجنبنا الذنوب والمعاصى وأن يجعلنا من أهل السعادة، وأن يرزقنا الحسنى وزيادة، إنه على ما يشاء قدير.

هذه هي في رأينا أمهات الأسباب التي تكوَّنت فيها عناصر السؤال المريرة لماذا الشقاء؟ ننتقل بعد ذلك إلى مظاهره فنقول وبالله التوفيق...

---

[١] الطريق إلى السعادة صـــ٦٩ للشيخ / عيد بطاح الدويهيس ، ط دار النفائس – الأردن ١٩٩١م.